من إصـدارات

جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الحماسة الكويتية

تأليف

د. يعقوب يوسف الغنيم

الكويت

2017

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

هـاتـف: ٩٦٥ ٢٢٤٥٣٥٩٠ +

فاكـس: ٩٦٥ ٢٢٤٥٥٠٣٩ +

E - mail: kw@albabtainprize. org

التصدير

يسعدني أن أقدم لمحبي الشعر العربي ومتذوقيه في الوطن العربي هذا الكتاب للدكتور الفاضل يعقوب يوسف الغنيم الذي أطلق عليه اسم «الحماسة الكويتية» تيمنًا بما فعله أبوتمام من قبل باثنين من مؤلفاته حين أطلق عليهما «الحماسة الكبرى» و«الحماسة الصغرى»، وهو يجمع بين دفتيه ترجمات زاخرة بالمعلومات والنماذج الشعرية لأكثر من أربعين شاعرًا من شعراء الكويت القدامى والمعاصرين.

مادة الكتاب في أصلها مقالات نشرها المؤلف تباعًا في صحيفة النهار اليومية الكويتية وتحت العنوان نفسه، ليطلع عليها القارئ العادي والمتخصص، وقد قرأت شخصيًّا عددًا من هذه المقالات ساعة نشرها في الصحيفة المذكورة، وقد أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى أن ترتيب الشعراء الذين اختارهم إنما جاء عفو الخاطر دون أن يقصد أفضلية معينة لأحد منهم على الآخر، فجميعهم مبدعون تركوا بصمة كبيرة وواضحة في عالم الشعر والأدب في الكويت.

إن اختيار المؤلف بعض القصائد والمقطوعات الشعرية والأبيات المتفرقة التي نظمها هؤلاء الشعراء في مناسبات مختلفة إضافة إلى كتابة جوانب محددة من سيرة كل شاعر، وصياغتها بأسلوب ميسّر، قدّم للقارئ بلا شك فائدة ومتعة كبيرتين، خصوصًا أنه ابتعد عن التحليلات النقدية الشائكة والإطناب والتفصيلات التي تربك القارئ وتجعله يصرف الجهد وراء أمور فرعية قد ترهقه ولا تحقق له مبتغاه.

لقد فتح المؤلف بابًا واسعًا أمام الباحثين والمهتمين لمزيد من الأعمال والدراسات الأدبية في الشعر العربي في الكويت، إذ لعب الشعر دورًا بارزًا في الحياة الأدبية

والفكرية والسياسية الكويتية منذ نشأتها، حيث واكب الشعر تطور الكويت في محطاتها التاريخية المختلفة، ومن خلال هؤلاء الشعراء الذين لم ينفصلوا يومًا عن هموم أمتهم العربية والإسلامية سنتعرف على الكثير من همومهم وقضاياهم التي تصدّوا لها في قصائدهم.

ويسعدنا في مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية أن يكون هذا الكتاب أحد إصدارات المؤسسة التي قررت طباعتها ونشرها في مهرجان ربيع الشعر في موسمه العاشر مارس ٢٠١٧.

أتركك عزيزي القارئ مع الحماسة الكويتية وشعرائها، راجين لك الفائدة والمتعة وتمام التوفيق.

والله هو ولي التوفيق،،

عبدالعزيز سعود البابطين

****

مقدمة

هذا عنوان عدة مقالات قادمة. وموضوعه مستوحى من عمل أدبي مهم قدَّمه الشاعر المشهور أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي. فقد جمع عددًا من المقطوعات الشعرية الجميلة ذات الموضوعات المختلفة ووضعها في كتاب واحد أطلق عليه اسم: الحماسة، وأطلق عليه الناس من بعده: حماسة أبي تمام.

وقد تمت على الحماسة شروح منها:

١- شرح ديوان حماسة أبي تمام.

وهو من صنع أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي الخطيب، وقد نشرته مكتبة عالم الكتب في بيروت ضمن مجلدين.

بدأ الشرح بمقدمة تحدث فيها الشارح عن صاحب الحماسة، وأثنى على غزارة علمه، وحسن اختياره للشعر، وإتقانه لمعانيه، وأشار إلى أنه توفي في سنة ٢٣١هـ.

وكان أبو تمام قد رتّب كتاب الحماسة على عشرة أبواب تبعًا لأغراض الشعر المعروفة، حيث جمع في كل باب ما اختاره مما يَخُصُّهُ من أشعار العرب. ومن بين هذه الأبواب: باب الحماسة وهو أولها، ومنه أُخذ اسم الكتاب، وفي هذا الباب نجد الأشعار التي تدل على القوة والفتوة والمَنَعَة، وعلى التقدم في الحروب ومهاجمة الأعداء. ثم تأتي أبواب المراثي والأدب والتشبيب (الغزل) والهجاء والصفات، وغير ذلك.

أما الشارح أبو زكريا التبريزي، فكان عارفًا بالأدب، قديرًا في النحو وعلم اللغة، تلقى بعض علمه على يد الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري. وكون لنفسه باطلاعه وبحثه معرفة لا يُستهان بها بين أقرانه، وقد توفى في سنة ٥٠٢هـ.

٢ – وممن شرح حماسة أبي تمام أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، وطبع هذا الشرح في سنة ١٩٥٠م بمصر، وقد حققه كل من الدكتور أحمد أمين وشيخنا الأستاذ عبدالسلام هارون، وجاء الشرح في أربعة أجزاء وهو من حيث الطباعة وجودة التحقيق أسهل على القارئ من الطبعة التي وردت عن شرح التبريزي، لأن هذه الطبعة إنما هي تصوير لطبعة قديمة غير محققة.

ومن جميل ما ورد في شرح المرزوقي على الحماسة قول الشاعر مُرة بن محقان، وهو من معاصري الفرزدق وجرير، وكان كريمًا، تدل الأبيات الواردة عنه على كرمه ، فهو يوقظ زوجته من نومها لكي تُعنى بالأضياف الذين هبطوا ليلًا، في وقت شديد البرودة. وقد قام بإيقاظها طالبًا منها أن تُعنى بالقادمين فتجمع رحالهم وحوائجهم. وهو في أبياته يذكر أن تلك الليلة كانت من ليالي شهر جمادى شديدة البرودة، كثيرة الندى، يلف الكلب ذيله فوق أنفه لكي يتقي البرد، وهو في ظلماء دامسة لا يُبصر من خلالها طُنب البيت الصحراوي الذي يعيش فيه الشاعر وزوجته:

يا ربةَ البيت قُومي غيرَ صاغرةٍ
ضُمّي إليك رحالَ القوم والقُرَبا
في ليلةٍ من جمادى ذات أنديةٍ
لا يُبصر الكلبُ من ظلمائها الطُنُبَا
لا ينبحُ الكلب منها غيرَ واحدةٍ
حتى يلُفَّ على خيشومه الذَّنبا

هذا ولديوان الحماسة لأبي تمام أكثر من طبعة نذكر منها طبعة وردت في مجلد كبير حققه وشرح بعض كلمات أشعاره الدكتور عبدالمنعم محمد صالح، وقد طبعت هذه الطبعة في سنة ١٩٨٠م.

كما نذكر طبعة أخرى غير مشروحة هي التي طُبعت بالقاهرة سنة ١٩٢٧م وصدرت عن المكتبة الأزهرية في جزأين. وقد ذكر الناشر أن هذه الطبعة تمتاز بذكر تراجم الشعراء وبيان سبب الشعر. وتمتاز – أيضًا – بهوامش مفيدة فيها مُسْتقاةٌ من شرح التبريزي للحماسة.

وقد كانت اختيارات أبي تمام في موضوعات الحماسة والحرب والصدق في مقارعة الأبطال من أكثر ما اختار في ديوانه هذا. ومما أورده في هذا الباب قوله: كان الهذلول بن كعب العنبري تزوج امرأة، فدخلت عليه يومًا فإذا هو جالس يطحن. فضربت بكفها على صدرها، وقالت: أهذا زوجي؟ استنكارًا لما هو جالس من أجله، فقال:

تقول ودقّت صدرَها بيمينها

أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ

فقلت لها لا تعجلي وتثبتي

فعالي إذا التفّت عليَّ الفوارسُ

ألستُ أردّ القِرن يركب ردعهُ

وفيه سِنان ذو غرارين نابسُ

(يقصد بقوله: يركب ردعه: يخرُ على وجهه قتيلًا، وقوله: ذو غرارين أي حدين).

وإضافة إلى حماسة أبي تمام فإننا نجد عددًا من الكتب التي تضم بعض الاختيارات المتنوعة من الأشعار أسوة بما صنعه أبو تمام. وكل هذه الكتب تأتي تحت اسم: الحماسة. ومن ذلك:

١ – مجموعة ابن الشجري، ومؤلف هذه المجموعة هو هبة الله بن علي بن محمد. ويطلق على الكتاب اسم: حماسة ابن الشجري. وقد توفى مؤلفه في سنة ٥٤٢ هـ. أما الكتاب فهو مطبوع في الهند بمنطقة حيدر أباد (الدكن) سنة ١٣٣٥ هـ.

وهو متنوع الأشعار، ولكنه لا يسير وفق الخط الذي سار عليه أبوتمام. فهو لا يلتزم بترتيب الموضوعات والسير بموجب ذلك.

٢ – حماسة البحتري، وهو شاعر كبير معروف وكان لأبي تمام فضل عليه، فهو الذي قدمه إلى الناس وأثنى على شعره، والبحتري هو الوليد بن عبيد، وهو من مواليد سنة ٨٢٠م. وله ديوان مطبوع، وله كتاب حماسة البحتري الذي صاغه على مثال حماسة أستاذه أبي تمام وفيه اختيارات جميلة، وهو لصفته شاعرًا كان راقي الذوق لطيف اختيار الشعر.

ج – وهذا كتاب آخر وهو المسمى حماسة القرشي، واسم جامعه: عباس بن محمد القرشي المتوفى في سنة ١٨٨٢م. وكتابه مطبوع في سوريا سنة ١٩٩٥م. وفيه أنواع من الموضوعات الشعرية وفق عشرة أبواب أولها: باب الحماسة والفخر.

د – ومما هو شبيه بكتاب الحماسة كتاب آخر لأبي تمام يطلق عليه الحماسة الصغرى، ولكن اسمه المطبوع هو: الوحشيات وقد جرى فيه على مثال كتابه

الأول. طبعته دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م، وحققه عبدالعزيز الميمني، وزاد في حواشيه شيخنا الأستاذ محمود محمد شاكر.

ومنذ زمن بعيد كان العلماء العرب يهتمون برواية الشعر وجمعه في مجموعات وردت إلينا منها مجموعة عبدالملك بن قريب الأصمعي، وهي «الأصمعيات»، وقد طبعت بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون. وقد تولّت نشر هذه المجموعة دار المعارف بمصر. ووردت إلينا مجموعة أخرى هي: المفضليات التي جمعها عالم كبير هو المفضل الضبي، وحققها مُحققا الأصمعيات، ونشرتها دار النشر ذاتها. وقد جُمِعَتْ في المجموعتين قصائد عربية ذات قيمة عالية منها الطوال ومنها القصار. وهناك كتب أخرى غير هذين قد عمل العلماء على جمع القصائد العربية ورصفها فيها، ولا حاجة للإفاضة في موضوعات هذه الكتب لأنها متوافرة اليوم في المكتبات التي لا تخلو من أمثالها.

ومما يجدر بنا ذكره هنا أن ننوه عن كتاب الأصمعيات بخاصة. إذ إن مما أسعدني فيما يتعلق بهذا الكتاب وأسعد عددًا من زملائي الذين كانوا يدرسون بالقاهرة في سنة ١٩٥٧م أن حضرنا للأستاذ العلامة محمود محمد شاكر دروسًا شرح لنا فيها هذه القصائد، ودلنا خلال الدرس على طُرُق تفهم الشعر ودراسته. وقد كان من حسن حظي أنني قمت بكتابة كل ما دار في تلك الجلسات العلمية النافعة، وأصدرت عن ذلك كتابًا أَحْسَبُ أنه مهم، وكان تحت عنوان: «قراءة في دفتر قديم».

وبعد؛ فإننا سوف نحاول هنا اختيار بعض أشعار مما نظمه شعراء الكويت مع حديث عن كل واحد ممن نختار له، وسوف نقوم بذلك مباشرة بعد هذه المقدمة. ولكننا قبل أن ننتقل إلى ذكر الشعراء الكويتيين الذين سوف يرد الحديث عنهم كما يرد الاختيار من شعرهم، فإننا نود أن نشير إلى ما يلي:

١ – ليس لترتيب أسماء الشعراء دلالة على المستوى الذي يتميز به كل شاعر ولكنه ترتيب جاء عفو الخاطر، وهو لا يدل على أن من ذكر متأخرًا إنما تم ذلك لأنه أقل مكانة من غيره.

٢ – لم يكن ما جاء في كل فقرة من الفقرات التي تحدثت عن الشعراء من نوع الدراسة الشاملة لكل شاعر، لأن ما ورد كان في غاية الاختصار، وكان اختيار الشعر من أهم ما تمت العناية به.

****

شعراء الحماسة

١ - ١ - فهد العسكر

ونعود بعد هذه المقدمة إلى محاولة التشبه بهؤلاء الذين ذكرنا قيامهم بالاختيار من أشعار العرب، ونحن هنا في سبيلنا إلى الاختيار من أشعار الشعراء الكويتيين الذين أنشدوا شعرهم على مدى السنين الطوال التي مرت منذ بدأ تدوين الشعر لدينا. ومنذ ذكر بعضه في كتب تاريخ الكويت، إلى الجيل الذي عرفه جيلنا الحالي عن طريق ما ينشر لهم في الصحف. ولقد كانت مجلة البعثة الكويتية التي صدرت في مصر ابتداء من سنة ١٩٤٦م من أهم ما أولى العناية للشعر الكويتي، وتابع نشر قصائد الشعراء الذين ورد ذكرهم في تلك الفترة التي لولا صدور مجلة البعثة خلالها لكُنا قد فقدنا كثيرًا من منتجات الأدب الكويتي شعرًا ونثرًا.

وليس من المستغرب أن نهتم بشعر شعرائنا، فقد وردنا منه كثير مما يحتوي على ما نحتاج إليه من فنون التعبير عن شؤون الحياة الكويتية. وكان من بيننا من اهتم بالشعر الكويتي وبحث في موضوعاته وفي أحوال شعرائه ومنهم من حرص على نشر مجموعات منه. ونذكر من هؤلاء الدكتور محمد حسن عبدالله الذي ألف كتاب «ديوان الشعر الكويتي» ونشره في سنة ١٩٧٤م، ومنهم الأخ المرحوم مشاري عبدالله السجاري الذي نال درجة الماجستير عن بحثه المتميز في موضوع الشعر الكويتي، وهناك كثيرون غيرهما، ولكننا آثرنا هنا أن نقوم بالتمثيل لنموذجين من نماذج الكتب الخاصة بالشعر الكويتي.

وسوف يرى المتتبع لمقالاتنا القادمة أننا نسير مع الشعر الكويتي على خطى أبي تمام ومن لحقه من المؤلفين، وستكون هذه بدايتنا.

ومما سوف نختاره في البداية بعض أبيات قالها الشاعر الكبير فهد العسكر. وهو من شعراء الكويت البارزين الذين عُرفت أعمالهم الشعرية في خارج الكويت كما عُرفت في داخلها. ونال عَنْ بعض قصائده جوائز معلنة لشعر له قيمته، وله مستواه الراقي.

اهتم الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري بالشاعر فهد العسكر، وبشعره، وكانت صلته به قوية إلى أن فرق الدهر بينهما. فلم يتردد الأستاذ عبدالله في العكوف على كتابة سيرة الشاعر، وجمعِ شعره وتقديمه لقرائه الذين كانوا في شوق إلى الاطلاع عليه. بل أعاد طبع كتابه إضافة إلى ذلك وهو: «فهد العسكر، حياته وشعره» في عدة طبعات يزيد في كل طبعة ما يعثر عليه من شعر صاحبه.

وقد تحدث الأستاذ عبدالله زكريا في بدايات كتابه المذكور عن أمور كثيرة تخص الشاعر فهد العسكر، وتبين للقراء عددًا من الأمور الخاصة التي لا يدركها إلا واحد كان ملازمًا للشاعر خبيرًا بدخائل نفسه، متابعًا لأطوار حياته.

عبر الأستاذ الأنصاري عن سعادته بتلقيه من صاحبه العسكر قصيدة جميلة موجهة إليه شخصيًّا، وقد أسف أشد الأسف لعدم تمكنه من الرد عليها بما يجب كما جرت عادة الشعراء، - لأنه في ذلك الوقت- قد تقرر لَهُ أن ينتقل إلى العمل في مكتب الكويت الثقافي بالقاهرة. واستجَدَ له هناك ما لم يكن في حُسبانه إذ ما كاد يستقر حتى جاءه خبر وفاة صاحبه الشاعر فهد العسكر وذلك في خريف سنة ١٩٥١م، مما أبكاه، وأثار في نفسه كوامن الحزن، وأثار ذكرياته، فاهتم منذ استمع إلى ذلك الخبر بالكتابة عن صاحبه كما رأينا.

ولعل مما ينبغي أن يذكر من القصيدة العسكرية التي وجهها صاحبها إلى الشاعر الأنصاري هو هذه الأبيات التي أشاد فيها بصاحبه فقال :

أرَبَّ الـرقـيـقِ الـعـذب ألـف تحية
ومـثـلُـكَ مـن أعـمـاق قـلـبـي أحـيـيـهِ
وأرفـــعُ إعـجـابـي وشـكـري خـالـصًا
لــه، واعـتـرافـي صـادقًـا وأهـنـيـهِ
ومـثـلُـكَ أهـديـه الـقـريـض مُـهـذّبًا
وَ لِـمْ لا، وأنـت الـراقـصـاتُ قـوافـيـهِ

إلى آخر القصيدة البديعة المعبرة عن المحبة التي يَعْمُرُ بها قلب فهد العسكر تجاه صديقه الأنصاري.

☆☆☆☆

بدأ فهد العسكر حياته الدراسية بتلقي العلم في مدرسة من المدارس الأهلية التي كانت رائجة في وقته وهي التي تُسمى (الكتاتيب). ولم تتعد دراسته بها قراءة القرآن الكريم، والمطالعة العربية والحساب، وكان هذا هو كُل ما تقدمه تلك المدارس. ولكنه انتقل بعد فترة إلى الدراسة النظامية في المدرسة المباركية في حوالي سنة ١٩٢٢م. وكان محبًّا لدراسة اللغة العربية، مكبًّا على حفظ الشعر، وقراءة كتب الأدب، إلى أن تدرج فصار يكتب القصائد في وقت مبكر من حياته.

ولا نريد أن نكثر من الحديث عن كافة جوانب حياة فهد العسكر، ولا عن كل ما ورد من حديث الأنصاري عنه، وهو حديث طويل جاء – على الأخص– في الطبعة الثانية من كتابه، وهي التي صدرت في سنة ١٩٧٠م، تحت عنوان: « فهد

العسكر، حياته وشعره»، الذي صدر تعبيرًا عن وفاء مؤلفه لصاحبه العسكر وقد توج ذلك بجمعه لشعره الذي لولاه لضاع.

☆☆☆☆

سار فهد العسكر – بعد ذلك – في دنيا الشعر فأبدع، ولفت الأنظار إلى مقدرته الشعرية الفائقة، فكانت له قصائد يرددها المعجبون بفنه الشعري، وكان له مجلس يضم عددًا من أصحابه مُحِبي الأدب، كان يُسمعهم شعره، ويستمع منهم إلى ما ينتجون من فنون الأدب شعرًا ونثرًا، وكان من هؤلاء الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري والأستاذ راشد السيف والأستاذ عبدالمحسن الرشيد والأستاذ فاضل خلف وغيرهم.

ومما يمكن اختياره من شعره مقطوعة جميلة نقتطفها من قصيدة له، ثم نوردها في هذا الموضع لأنها نالت هي والقصيدة التي احتوتها استحسان الجميع وإعجابهم.

في مساء يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٥٠م؛ توفي أمير الكويت الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح. وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٥٠م تولى الشيخ عبدالله السالم الصباح حكم الوطن. ولقد كانت الفترة التي مضت بين التاريخين المشار إليهما فترة مظلمة كانت البلاد خلالها في حالة حداد، وكان الناس يشعرون بفقد الأمير الراحل، ويترقبون ما يأتي به الغد، ولم تتبدد هذه الظلمة وينبلج الصباح حتى آن أوان التاريخ الثاني فتولى الشيخ عبدالله السالم الصباح مهامه الرسمية.

ولقد اعتبر الشاعر فهد العسكر - كما أحس بذلك الجميع- أن ارتقاء الشيخ عبدالله لسُدة الحكم بمثابة بزوغ فجر جديد يزيل ظلماء أيام الحداد، فقال قصيدته الرائعة التي كان مطلعها:

جـــاء الــربــيــعُ وأنـــتَ راقــدْ
قــمْ واشــدُ يــا ربَّ الـقـصـائـدْ
مــا لــلـبـلابـل حــين يـبـتـسـمُ
الــصــبــاحُ ولــلــمــراقــد؟
لـــك فـــي الـــريـــاض أسِـــرةٌ
لا كـــالأسِـــرَّةِ والـــوســـائـــد
قُـــمْ حَـــيـــهِ فـــيـــهـــا وصـــغ
بــبــهــائــه أســنــى الــفــرائــد
غـــــرّاءَ يُـغْـضـي الـنـيّـرا
نِ لـضـوئـهـا قـبـل الـفـراقـد
والــــــدرُّ فــــي الأصـــــداف قـبـ
ــل الـــدر فـــي جِـــيـــد الـخـرائـد
تــــروي مـــحـــاســـنـــهـــا الـــكـــوا
كـــب لـــلـــعـــرائـــس والـــنـــواهـــد
غـــــرِّدْ فـــكـــم أطـــربـــتَ مـــعْـ
ــبـــودًا، وكـــم جـــنّـــحـــت عـــابـــد
أســـكِـــرْ بـــهـــا الـــــوادي عـــلـــى
فـــرح الأقـــارب والأبـــاعـــد
ودعِ الحُـــــداة يُـــرَقِّـــصُـــو
نَ بـــهـــا الـــــدراري فـــي الـفـدافـد

وذرِ الخـــليـــج بـهـا يـعـيـ
ـــذُ عـــروسَـــه مــن كـــلِّ حـاسـد

إلى أن يقول:

أهــــلا وســــهـــلاً بـــالـــربـيْــ
ـــعِ بمـــن دنــــت فـيــه الــشــوارد

ولـــــكــــلّ مـــلـــتــــاح صـفـت
شــتــى المــنـــاهـــل والمـــــوارد

أهـــــلا بـــعـــبـــدالـــلـــه أهـــلا
بـــالمـــفـــاخـــر والمحــــامــــد

بـــفـــتـــى الـــكـــويـــت وذخـــرهـــا
وأمـــيـــرهـــا الـــشـــهـــم المــســاعـــد

ثم لا ينسى ذكر الأمير الراحل فيقول عنه:

بـــالأمـــس شـــيّـــعـــنـــا الـــفـــقـــيْـ
ـــــدَ، بـــدمـــعـــنـــا وبمــــا نـــكـــابـــد

والـــيـــومَ بـــين يـــديـــك نُـــلْـ
ـــقـــي بـــالأعـــنّـــة والمـــقـــاود

فـــخـــذِ الـــزمـــام وسِـــرْ بـــنـــا
فـــالـــســـعـــدُ بـــسّـــامُ وصـــاعـــد

هذا، والقصيدة طويلة، وقد نشرت كاملة في الكتاب المشار إليه وفي مجلة البعثة بعد أن كتبها الشاعر مباشرة. وهي على كل حال من النماذج الراقية التي تُحسب للشعر الكويتي.

ولعل من الجميل أن نورد الأبيات الثلاثة الأخيرة منها، ففيها تعبير عن الإحساس بمكانة الشيخ وعن العاطفة الشعبية الصادقة تجاهه:

دُمْ لـلـكـويـت ابـنًـا لـهـا
بَـرًّا، وعِـشْ لـلـشـعـب والـد
لـلـشـيـب مـنّـا والـشـبـا
بِ فـكـلّـنـا سـعـدٌ وخـالـد
هـاكَ الـيـمـين عـلـى المحـبـ
ـبَـةِ والـولا، والـلـهُ شـاهـد

****

١ - ٢ - فهد العسكر

وبعد كل ما قدمنا عن الشاعر العبقري فهد العسكر، ألا ينبغي أن نتحدث بما قاله عنه شعراء عصره الذين استمعوا إليه، وتلقوا منه شعره مباشرة، وأدركوا مدى إحساسه بما يقول من شعر.

بلى... ينبغي أن نذكر ذلك دون أن تكون في هذا إطالة مشعرة بالسأم فنذكر ما ورد عن فهد العسكر في شعر شاعرين من أبناء الكويت، هما: الشاعر صقر الشبيب والشاعر راشد السيف.

كان الشاعر صقر الشبيب معجبًا بشعر فهد العسكر حريصًا على سماعه، وإن كان في فترة متأخرة من حياته قد أحس بتقدم العمر، فانزوى ولم يعدْ يخرج إلى ما تعود الخروج إليه من المجالس، ولكنه بقي على محبته وتقديره لفهد العسكر. وكان يرى أن قصائد صاحبه تصل إلى ذروة من ذرى الشعر يصعب الوصول إليها إلا إلى واحد مثله. لذلك فقد ذكره في قصيدة عبر فيها عن إحساسه هذا فقال:

لـو كـنـت ممـن فـي طـبـيـعـتـه الـحـسـدْ

لحـسـدتُ دون الـنـاس شـاعـرنـا فـهـدْ

ثم وصف شعر العسكر قائلًا:

جــرتِ الــقــوافــي مــنــه فــي خَــلَــدي كما
يــجــري لــذيــذُ الــبــرءِ فــي مُــضْــنــى الجسدْ
أو مــثــلَ مــا يــجــري زلالٌ بــاردُ
مــتــداركًــا أحــشــاء حَـــرَّانِ الــكــبــد
زامــلــتُــهُ ظــلــمًــا يــدعــوايَ الــتــي
إن يــرضَــهــا أُصــبِــحْ بــهــا مِــمَّــن سَــعِــد
مــتــخــيّــلاً أنـــي لـــه فـــي نــظــمــهِ
مــا راقــنــي مــن مــحــكَــمــاتِ الــشِّــعــرِ نِــد

☆☆☆☆

صقر الشبيب شاعر كبير ولكنه يقر بمنزلة فهد العسكر الشعرية، ويؤكد أنه يغبطه على مكانته تلك، بل ويرى أنه زميل له في دنيا الشعر بصفة فيها من الظلم شيء كثير، فإنه يرى شعر فهد العسكر اكثر عذوبة، وأملك للنفوس. ثم يقول:

هَــنَــأَتْــكَ يــا فــهــدُ الــقــوافــي واثــبًــا
مــن مــقْــولٍ لــك مــا تــخــطّــاه الــسَّــدَد
فــبــهــنَّ تــفــتــخــرُ الــكــويــتُ مُــقِــلَّــةً
مــنــهــنَّ تــاجًــا فــوق هــامــتــهــا انــعــقــد
فَــبِــغُــرِّ آدابِ ابــنــهِ ان لــم يــنــلْ
فــخــرًا فــمــاذا يُــكــسِــبُ الــفــخــر الــبــلــد

واخيرًا فإن صقر الشبيب يعتبر قصيدته هذه إنما هي جهد المقصر، وإن فهد العسكر يستحق أكثر مما ناله منه من ثناء.

لقد كان الشاعر الشبيب من معاصري فهد العسكر، وإن كان العسكر قد سبقه بالوفاة. فإن الشبيب توفي في سنة ١٩٦٣م، ولكنه نال من حفظ شعره ما لم ينله أكثر شعراء الكويت فقد تصدى لجمعه أستاذ كبير هو أستاذنا أحمد البشر الرومي الذي صدر الديوان أول ما صدر بجمعه والتقديم له. ثم تهيأت له فرصة أخرى حين قامت مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية بإعادة طبع الديوان مع الزيادات التي عُثر عليها فيما بعد، وقد كان لي الفخر في إعداد الطبعة الثانية مع الاضافة إليها والتقديم لها اضافة إلى ما فعله أستاذي أحمد البشر، وقد تم نشر هذه الطبعة في سنة ٢٠٠٨م.

أما الشاعر الثاني الذي ذكر فهد العسكر فهو كما قلنا الشاعر راشد السيف. وهو الآخر شاعر كبير له ديوان يضم قصائد كثيرة تضمها ثلاثة مجلدات. وقد قامت مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية – كعادتها في حفظ الشعر الكويتي – بطبع هذا الديوان بهذه الطبعة الفاخرة التي بين أيدينا الآن، وقد صدرت في سنة ٢٠١٥م، وكان لي شرف مراجعتها وتقديمها. وقد قمت بذلك تقديرًا مني لطلب أخي الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، واعترافًا بفضل أستاذي الشاعر راشد السيف علي منذ كنت تلميذًا في المدرسة الأحمدية التي كان ناظرًا لها.

أحس الشاعر راشد السيف بالألم لوفاة صاحبه ورفيق دربه الشاعر فهد العسكر. فنظم قصيدة بعنوان «دمعة حمراء» نشرها في مجلة البعثة مطلعها:

رزء يحدد موقفي بوضوحِ
عند الرثاء لبلسم المجروحِ
خِلِّي الوفي فلم أجدْ لفراقه
صَبرا يعالج علّتي وجروحي

ولقد قال فيه ست قصائد وردت كلها في ديوانه ومنها تهنئته للعسكر بنيله جائزة في مسابقة شعرية:

فَـيَـا فـهـد لا تـبـخـلْ بـإحـيـاء فـكـرةٍ
عـلـى مـعـجـبٍ فـيـمـا تـقـول وتـنـتـقـي
وهـــا أنـــا قــد عــبّــرت عــمـا يُـحـسّـهُ
فــــؤاد مُــــود فــــاق حــد الــتــفَــوُّقِ

وممن ذكَر الشاعر فهد العسكر بعد وفاته شاعر كويتي معروف هو الأستاذ عبدالله سنان محمد، وقد أورد قصيدة عنه في ديوانه المسمى: «نفحات الخليج» وكانت تحت عنوان «فهد العسكر». والشاعر السنان يذكر فيها صاحبه، والأوقات الجميلة التي كانت تجمعه به وبمن معه من الأصحاب في بعض الأمسيات على ساحل البحر عند الموقع المعروف إلى اليوم باسم الوطية. ومما قاله:

هـــلّا وقـفـت سـويـعـة فـي (الـوطـيـة)
فـوق الـرمـال هـنـاك عـنـد (الـحـظـرةِ)
هـــلّا ســألــت الــســاحــل الـرمـلـي كم
جـلـس الــرفـــاقُ بــه لـعـقـد الــنـدوة
سـل، صَـخْـرَهُ، سـل رَمْـلَـهُ، سـل أَرْضَـهُ
وســمـــاءه، سـل طـيـره فــي الـغـلـسـة

وحول هذا الموقع الذي ذكره عبدالله سنان محمد، وتذكر فيه مجلس الشاعر فهد العسكر وما كان يدور في جلسات الوطية التي كانوا يحرصون على عقدها هناك، وردت قصيدة من قصائد العسكر لها ارتباط بذلك، ولكن هذا الشاعر مختلف في نمطه، وفي تناوله للمسائل التي يكتب عنها. قال في قصيدة

جعل عنوانها «من وحي الخريف» ثم أضاف إلى هذا العنوان عنوانًا آخر هو: «على الشاطئ» وهي على طريقة الرباعيات ونختار منها ما يلي:

(١)

يــــا نــــديمـــي فـــي صِـبــايـــا
أنــــت يـــا مُـــلـــهِـــي الـصـبـايـا
أنــــت يـــا مـــهـــدَ هـــواهـــا
ورؤاهـــــــــــا وهــــــوايــــــا
أنــــت يـــا مُـــلـــهـــمَ قـــلـبـي الـشْـ
ـــشِـــعـــر جــــــــدّدت أســـايـــا
وبـــعـــثـــت الحـــــبّ وا لـــهْـ
ـــفِـــي عـــلـــى تـــلـــك الـبـقـايـا

(٢)

إن لــــي عـــنـــدك لحـــنًـــا
هـــاتـــه يـــا مــــوج هـــاتِــــهْ
مـــن لحــــونٍ هـــتـــف الـصـيـ
ـــفُ بـــهـــا فـــي أمـــســـيـــاتـــه
فَـــهِـــي الـــقـــلـــبُ وكـــم رتْـ
ـــتَـــلـــهـــا فـــي صـــلـــواتـــه
أنــــا فــــي مـــعـــبـــده قـــد
صـــغْـــتُـــهـــا مـــن عـــبـــراتـــه

(٣)

كـــنْ ضـــنـــيـــنًـــا أيـــهـــا الـلـيْـ
ـــل بـــســــرٍّ قـــد أذاعـــــــهْ

تـــائـــه يـــبـــحـــث فـــي جـــنْـــ
ـــحـــكَ عـــن كـــنـــزٍ أضـــاعـــه
هـــو كـــالمـــلاح حـــيـن الْـــ
ـــتَـــهَـــمَ الـــيـــم مَـــتـــاعـــه
وانـــبـــرى لـــلـــريـــح والمـــو
ج، فـــلـــم تُـــغْـــنِ الـــشـــجـــاعـــه

(٤)

يـــا لـــيـــالـــي الـــقـــرب والإلْـــ
ـــهـــامِ بـــالمـــاضـــي الـــقـــريـــبِ
كـــم تـــــراءى لـــي عـــلـــى ذكـــ
ـــــراك مـــن طـــيـــفِ حـــبـــيـــبِ
فـــطـــغـــى الـــشـــوقُ وقـــد يـــلـــ
ـــهـــي الـــنـــوى بـــعـــض الـــقـــلـــوبِ
مـــا أنـــا بـــعـــدك بـــالـــحـــا
ســـي وبـــالـــشـــادي الـــطـــروبِ

وهذه القصيدة التي وصفناها، طويلة، تتحدث كلها تقريبًا عن هيجان الأجواء في وقت الخريف. وهو لا يعتبر ذلك أمرًا يمنع الوصال بين المحبين، فإن للحياة قانونها الخاص، وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال الأولون، ولكننا على الرغم مما نلحظه من إلحاح عند الشاعر، ورغبة في أن يوصل إلى من يحب تطلعه إلى ما يريد فإننا لا نستطيع في هذه العجالة أن نقدم كامل القصيدة بكل ما احتوت عليه من معانٍ وأفكار، ومن أساليب شعرية جميلة تأخذ بالألباب، فكان أن اخترنا منها ما يدل على محتواها، وجاء الاختيار بحيث لا يخل بالسياق العام لمقاصد فهد العسكر.

وإذا اردنا التأكيد على مرامي الشاعر في كل ما قاله فيما استوحاه من الخريف، فإننا لابد وأن ننتهي إلى ختام القصيدة حيث جاءت الفقرة الأخيرة التي يطلب من محبوبته فيها أن تعاود الزيارة، وأن تكون كما كانت على اتصال دائم معه، وطلب منها ألا تتعلل بالأجواء التي تحتدم خلالها الرياح. وتصطخب فيها الأمواج، وتدمع فيها الأمطار. ثم يقول إنه على الرغم من هذه الأجواء العاصفة، فإنه لم ينس من يحب ولم يتجه إلى مليحة أخرى «وفي الحي مِلاح» لأنه كما قال لها: أنت كل شيء بالنسبة لي.

فتعالي فزئير الريح بالوصل صُداحُ
واصطخاب الموجِ شَدوُ وُدموع المزن راحُ
لا تقولي نَسِيَ الماضي، وفي الحي مِلاحُ
أنت قيثاري وكأسي وسمائي والجناحُ

هكذا غنى فهد العسكر قصائد الحب والشوق واللهفة، ولكنه لم يقف عند هذا الحد فهو شاعر غزير الإنتاج متنوع الموضوعات وفق ما تمليه عليه مواقف مليئة بالبؤس والشقاء حتى لقد قال ضمن قصيدة له:

ليلى إذا حمّ الرّحيْـ
ـلُ وغصَّ قيسك بالأنينِ
ورأيت أحلامَ الصّبا
والحب صرعى في جفوني
ولفظتُ روحي فاطبعي
قُبَلَ الوداع على جبيني
وإذا مشوا بجنازتي
ببناتِ فكري شيِّعيني

وإذا دُفـــنـــت فَـــبـــلِّـــلـــي

بـــالـــدمـــع قـــبـــري، واذكـــريـــنـــي

وهذا البائس هو الذي ينادي إخوانه أبناء الأمة العربية قائلًا:

أبـــنـــاءَ يـــعـــربَ والـــكـــوارثُ جـمّـةٌ

هـيّـا انـــبـــذوا الأحـــقـــادَ والأضـغـانـا

وتـــآلـــفـــوا وتـــكـــاتـــفـــوا وتـــســـانـــدوا

مـتـــراصـــفـــيـنَ وحـــــرِّروا الأوطـــانـــا

إنـــا بـــعـــصـــرٍ لا يـــعـــيـــش بـــه ســـوى

مـــن كـــان يـمـلـك صـــارمًـــا وسِـنـانـا

وبعد، فقد كانت حياة شاعر الكويت فهد العسكر حياة مليئة بالتجارب الحلوة والتجارب المرة، ولكنه ترك تراثًا من الشعر نعتز به ونفخر.

****

٢ - محمود شوقي الأيوبي

الشاعر محمود شوقي الأيوبي من أغزر الشعراء الكويتيين إنتاجًا، وأكثرهم تنويعًا في أغراض الشعر ، ولقد كانت له إلى جوانب إطلاعه الواسع، مقدرة فنية وتجارب واسعة في الحياة أوحت إليه بكثير من قصائده، وكانت له مع ذلك علاقات مع الشعراء والأدباء في الكويت وفي خارجها وَسّعَتْ من مقدرته الشعرية، وهيأت له سبل الاتصال التي انتشر بسببها شعره الجميل.

وعندما توفى محمود شوقي الأيوبي رحمه الله في سنة ١٩٦٦م كان قد بلغ من السن ما يقرب من ٦٥ عامًا.

وكان قد أنجز عددًا من الدواوين الشعرية التي نستطيع أن نفاخر بها، إذْ إنه على الرغم من أن المطبوع من هذه الدواوين قد بلغ سبعة دواوين، فإن الأمل يملؤنا في نشر كل إنتاجه الشعري حتى يكون بين أيدي الباحثين ومحبي الشعر الجميل.

وقد تميز شعر هذا الشاعر بمسحة روحية سامية. وتَطَلُّعٍ دائم إلى المثُلِ العليا وتوق إلى المناقب الراقية التي يحب أن يرى الناس عليها أجمعين، وهو يهتم بأشواق الروح، ورغبتها في الانعتاق من براثن المادة وقيودها. وهذه الصفات نراها كثيرة في شعره. وهو ينتهز كل فرصة للتعبير عنها، دون أن ينسى ما ينبغي عليه أن يُنوه به من حب للعروبة والوطن والأصحاب. ودون أن يعبر عن

أمانيه في هدوء الأنفس وسيرها على الطرق القويمة التي تبعد بها وبالمجتمع عن كل ما يمكن أن يتسبب بمشكلات تفرزها رعونة بعض الناس، الذين لا يقدرون مدى المصلحة التي تعود على البلاد والعباد بالفائدة الجُلّى. ولا يشعرون بأن من واجبهم الاهتمام بأداء الحقوق إلى أصحابها، ذلك لأن التخلف عن أداء الحقوق أمر يثير الأحقاد في جميع النفوس. وهو مدعاة إلى الفساد الاجتماعي.

ومحمود شوقي الأيوبي بالإضافة إلى أنه شاعر رائق الشعر غزير الإنتاج كما أشرنا من قبل، فإنه مُعلّم، كان من العاملين في سلك التدريس منذ أمد طويل وأذكر أنني تلقيت عليه دروسًا في سنة ١٩٥١م واستفدت منه كثيرًا. وصفة المعلم هذه لم تُنْتَزَعْ منه إلى حين تقاعده. فقد استمر مدرسًا طيلة حياته يوجه أبناءه التلاميذ، ويعلمهم، ويحرص على أن يغرس في نفوسهم أطيب الصفات. وقد أثر حب التعليم فيه من جهة أخرى فقد كان معلمًا في شعره، يدعو في قصائده إلى الخير والعدل، وينصح باتباع أفضلِ الطرق، ومما يدل على ذلك ما جاء في ديوانه «الموازين» الذي رصد فيه موازين الأخلاق. وحث قُراءه من خلال ما كتب على أن يَزِنْوا تصرفاتهم بميزان العدل والأمانة. ومن الأمور التي ينبغي أن نذكرها أنه كان حريصًا على إيصال شعره إلى كل الناس لأنه يعلم ما يحتوي عليه هذا الشعر من فوائد ونصائح، وما يمثله من قيمة أدبية عالية المستوى، يحبها المستمعون.

أذكر أنني كنت أصلي يوم الجمعة خلف الشيخ أحمد خميس الخلف في مسجد البدر بالقبلة، وعندما انتهت الصلاة فوجئت بالشاعر يقف إلى جوار الإمام ويُسِرُّ إليه بكلمات قصار على أثرها تأهب لإلقاء قصيدة جميلة كانت – يومذاك – تتعلق بذكرى الميلاد النبوي الشريف. وكانت طويلة، ولكن المستمعين

لم يتحركوا من أماكنهم حتى انتهى من إلقائها رغبة منهم في السماع، ورضًا بما قدم إليهم في هذه الذكرى الكريمة.

الأستاذ الشاعر محمود شوقي الأيوبي من مواليد الكويت خلال سنة ١٩٠١م على حسب أحد الأقوال. وعندما وصل بسِنّه إلى المرحلة التي تؤهله للدراسة التحق بمدرسة الشيخ زكريا الأنصاري الأهلية، وكان مقرها غير بعيد عن سكن أهله، فهي في سكة ابن دعيج. ودرس فيها ما تقدمه الكتاتيب الأهلية عادة، فختم فيها القرآن الكريم وأجاد القراءة والكتابة، ثم انتقل للدراسة في المدرسة المباركية، ولم يلبث أن غادر الكويت إلى البصرة حيث تعلم فن الطباعة، ومن ثَم واصل انتقاله فَحَلَّ بمدينة بغداد حيث التحق بدار المعلمين التي تخرج فيها.

ولم يكتف طوال هذا الوقت بما كان يُحصِّل من علم في مجالات الدراسة التي التحق بها، فكان يغشى مجالس العلماء، ويأخذ عنهم علومهم التي كوّن منها ثقافته الواسعة وعلمه.

وعندما أنهى دراسته حاول أن ينال حظه من العمل في اندونيسيا وكان يطلق عليها اسم: جاوة. وقد انتقل إليها بعد أن أمضى فترة في الكويت، حيثُ افتتح هناك مدرسة خاصة به، وسعى إلى نشر التعليم الديني الإسلامي وإلى تعليم اللغة العربية، وقد أقام هناك مدة طويلة لم يعد إلى وطنه بعدها إلا في سنة ١٩٥٠م.

ومنذ عاد من غربته بدأ فورًا بممارسة العمل الذي يحبه وهو التعليم. فصار مدرسًا بمعهد الكويت الديني، ثم في مدرسة الشعيبة، فمدرسة حولي، واستمر نشاطه التربوي حتى سنة ١٩٦١م.

كان الشاعر محمود شوقي الأيوبي موصوفًا بحسن الخلق، وكان حريصًا على اكتساب الأصدقاء، وله سمعة حسنة بين الناس جميعًا، ولا يزال تلاميذه يحتفظون له بالود، ويذكرون أيامه بالخير، ولا يزال اسمه يتردد على الرغم من أنه توفي في سنة ١٩٦٦م.

ولقد ترك آثارًا مهمة جمع فيها شعره، وتمثل ذلك في دواوين بعضها مطبوع والبعض الآخر في انتظار الطبع، ومما هو مطبوع: ديوان الموازين، وديوان الأشواق، وهاتف من الصحراء، ورحيق الأرواح وغيرها.

ولقد كانت لهذا الشاعر المجيد تجربتان مهمتان في حياته، لأننا رأيناهُ بعد انتهاء دراسته واكتمال تحصيله العلمي يتجه إلى اندونيسيا فيمضي فيها وقتًا يقضيه في التعليم، وبذلك يكون قد عاش ذلك الزمن في بلدٍ أعجب بأهله وبطبيعته الخلابة، وكانت الحياة فيه بمثابة تجربة إنسانية مهمة عاشها فأثَّرت في حياته، وأثرت في شعره وفكره.

ثم رأيناه يعود إلى الكويت في سنة ١٩٥٠م لكي يباشر عمله في التعليم هنا فيؤدي واجبه الوطني تجاه وطنه بعد أن اكتفى بتجربته الأولى. وهنا في الأماكن التي التحق بها وعلم أبناءها رافق عددًا من المعلمين، والتصق بالحياة أكثر، وكانت تجربته المهمة هنا عندما انتقل إلى قرية الشعيبة فصار مدرسًا في مدرستها فأعجبَهُ العيش هناك، وارتاح للهدوء والسكينة، وإلى طبيعة الناس، وحبهم له، ولم يتمن الانتقال من ذلك المكان لولا الظروف الخاصة التي حتَّمت عليه الانتقال.

وعن هاتين التجربتين كتب قصيدة جميلة ومهمة وردت في ديوانه الصادر تحت اسم: «الأشواق» وهو أول ديوان يصدر له بعد ديوان الموازين.

استيقظ في الصباح الباكر كما هي عادته، فوجد الدنيا تتنفس استعدادًا ليوم جديد، فوصف ذلك المنظر بقوله:

الـديـكُ هـلّـلَ وانجـلَـى الـسَّـحـرُ
يُـضـفـي عـلـيـه شـعـاعَـهُ الـقـمـرُ
والـنـجـمـةُ الـشـقـراءُ راقـصـةٌ
تـخـتـال فـي غَـنَـجٍ وتـزدهـرُ
تـشـتـدُ فـي مـرح الـهـوى شغفًا
تـرنـو بـطـرف مِـلـؤه الحـذرُ

ثم يقول:

الـقـفـرُ يـبـعـث نـشـوةً بـدمـي
كـالـسـحـر بـالأحـلامِ يـشـتـجـرُ
والـبـحـرُ غـنّـتـنـي عـرائـسُـهُ
لحـنًـا هَـفَـتْ لحـنـانـهِ الـفِـكَـرُ
فـحـلـمتُ فـي الـسّـحـر الـبـهـيـج وقـد
طـافـت مُـلَـوِّحَـةً لـيَ الـذِّكـر
الـبـيـدُ عـن يُمـنـايَ تجـذبُـنـي
والـبـحـرُ عـن يُـسْـرايَ يـزدخـرُ

هذا هو ما أحسه في القرية الهادئة التي ألقى مراسيه فيها، فعاش بها سعيدًا مؤديًا لواجبه في الحياة، مؤدبًا لنشء جديد يرجو له مستقبلا زاهرًا.

أما جزر اندونيسيا فإن له إليها التفاتة تعبر عن شوقه القديم، وتشرح الآثار التي تركتها إقامته بها في حياته، فقد كانت تجربة مهمة وحياة ذات معنى من غير الممكن أن ينساها، وقد أمضى معها سنين طويلة:

وإلـــى الجــنــوب شـخـصـت لــلافــق ال

نـــائــي وقـــد لاحـــت لـــي الجُـــزُرُ

ذا (الأرخـــبـــيـــل) وقـــد قـضـيــت بـه

عـشـريــن عـــامًــا مَـــرَّهَـــا الُـعـمــرُ

والأرخبيل هو مجموعة الجُزُر التي كانت تسمى جُزُر الهند الشرقية، ثم أُطلق عليها اسم اندونيسيا.

إنه في هذه الأبيات يقول لنا إنه لا يمكن أن ينسى تلك الأماكن التي عاش فيها عشرين عامًا من عمره، ولقد كانت عمر الربيع، فلم يعد منها إلا بعد أن دب إليه المشيب. ثم إنه الآن كما قال:

أنـــا هـــاهـــنـــا فـــي قـــريـــة جَـــثَـــمـــتْ

وسُــنَـــى يَـــصُـــوغ مـصـيـرهـا الـــقَـــدرُ

مَـــــرَّ الـــشـــتـــاءُ بـــبـــرده ومـــضـــى

عـــنـــهـــا، وَحَـــــلَّ ربـــيـــعُـــهـــا الـــنـــضِـــرُ

لـــغـــة الـــربـــيـــع درســـتـــهـــا زمـــنًـــا

فـــي الـــشـــرق حـــيـــث الـــورد والـــزهَـــرُ

أمـــفـــاتـــن الـــدنـــيـــا بـــيَ الـــطـــرب

يـــهـــتـــزّ عـــن حـــلـــمٍ ويـــضـــطـــربُ

فَـــلَـــشَـــدّ مـــا رَقَـــصْـــتُ مـــنـــفـــردًا

فـــي الـــقـــفـــر لـــحـــنًـــا جـــرسُـــهُ عـــجـــبُ

بـــيـــن الـــتـــلال أجـــول لا أحـــدٌ

يُـــصـــغـــي لألحـــانـــي ويـــحـــتـــسـب

هذه العبارات الجميلة السامية التي ضمها في أبياته واستعان على التعبير بها بتنويع القوافي حتى لا يمل القارئ عندما يقرأ قصيدة طويلة تشتمل على صورتين لحياتين مختلفتين.

****

٣ - أحمد مشاري العدواني

من شعراء الكويت الذين يعتز بهم وطنهم الشاعر أحمد مشاري العدواني. وهو من الشعراء الموهوبين الذين أبدعوا واكتسبوا تقدير الناس وثناء كل من يتابع إنتاجهم. ولقد كان شعره جميلًا راقيًا سامي العبارة، صادق التعبير عن مكنون نفسه.

تراه يقول الشعر في كل مجال، ولقد طبع شيئًا من شعره في حياته، ثم طُبع له باقي ما كتبه بعد أن توفي في سنة ١٩٩٠م.

الأستاذ أحمد مشاري العدواني أديب وتربوي ومتمكن من العلوم العربية، وله صفات كريمة تحبب إليه الناس وتقربهم منه، ثم إنه لكرم أخلاقه بعيد عن الكبرياء والخيلاء، ، أقرب ما يكون إلى التواضع.

درس في أول بعثة إلى الأزهر بالقاهرة وكان معه الأستاذ عبدالعزيز حسين والأستاذ يوسف العمر والأستاذ يوسف مشاري البدر.. وكان له نشاط أدبي كبير في بيت الكويت في القاهرة، ومما يدلنا على ذلك أنه كان ينشر عددًا كبيرًا من القصائد في مجلة البعثة التي تصدر هناك. وكان يشارك في احتفالات بيت الكويت ويخالط زملاءه في كل نشاط. وعندما تخرج في كلية اللغة العربية عاد إلى الكويت وعمل في سلك التدريس، ثم انتقل إلى العمل الفني بإدارة معارف

الكويت وبقي بها إلى أن جرى تحويلها إلى وزارة تحت اسم وزارة التربية، فصار وكيلًا مساعدًا للشؤون الفنية.

ولم يتخل عن نشاطه الجانبي فقد كان عضوًا فاعلًا في نادي المعلمين، وأحد الثلاثة المشرفين على مجلة الرائد التي كان هذا النادي يصدرها. ولما كانت نفسه قد تشربت حب الأدب ومالت إلى النشاط الأدبي فقد أصدر بالتعاون مع صاحبه الأستاذ حمد الرجيب مجلة أطلقا عليها اسم: «البعث» تيمنًا باسم البعثة التي أحباها يوم كانا في القاهرة، ولكن مجلتهما لم تعمر طويلًا وإن كانت قد قوبلت بترحاب كبير من القراء ومن المشتغلين بالأدب على حد سواء.

ثم وجدنا الأستاذ العدواني ينتقل إلى وزارة الإعلام وكيلًا مساعدًا بها. ثم نشأ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب فصار أمينًا عامًا لهذا المجلس، وسار به منذ تأسيسه حتى قطع خطوات مهمة من طريقه وحقق بعض أهدافه بسرعة تشهد على مقدرة الأستاذ أحمد مشاري العدواني ورغبته في خدمة الأدب والثقافة.

هذا ولقد استمد هذا الشاعر الكبير شهرته من كونه شاعرًا رقيق المشاعر، جميل العبارة، تَتَسَلْسَلْ الأفكار في قصائده تسلسلا لطيفًا يُعجب القراء، ويَشُدُّ أذهانهم إلى المتابعة قراءةً واستماعًا.

ولد الأستاذ أحمد العدواني في سنة ١٩٢٢م وكانت دراسته في المدرسة الأحمدية، ثم المدرسة المباركية قبل أن يتجه إلى مصر من أجل التزود بالدراسة والتحصيل العلمي، وقد تقاعد في سنة ١٩٧٣م بعد أن نفذ عددًا كبيرًا من المشروعات الثقافية المهمة كان منها مجلة «عالم الفكر» وسلسلة كتب: «عالم المعرفة»، وحصل على جوائز مهمة.

هو الذي كتب النشيد الوطني الكويتي الذي تصدح به الفرق الكويتية ويردده تلاميذ المدارس إلى اليوم:

وطـنـي الـكـويـت سـلـمـت لـلـمـجـد

وعـلـى جـبـيـنـك طـالـع الـسـعـد

وأصدر ديوانًا في إبان حياته تحت اسم: «الأجنحة المتكسرة» وألف مسرحية باسم: «مهزلة في مهزلة «وغنت له أم كلثوم أغنية وطنية عنوانها: «يا دارنا يا دار «وأخرى باسم «أرض الجدود «كما تغنى له الفنان شادي الخليج بعدد من الأغنيات. وطبعت له مجموعة أخرى من القصائد.

وأفضل ما ورد عنه هو الديوان الشامل الذي احتوى قصائده كلها. ومنها قصيدة نود الإشارة إليها كما يلي:

من قصائد الشاعر أحمد العدواني البارزة قصيدة كتبها تحت عنوان:

«شطحات في الطريق» وقد وردت ضمن أعماله الشعرية الكاملة التي صدرت في مجلد واحد عن مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

وهي طويلة جدًّا حَمّلَها كثيرًا من أفكاره ومما يجول بخاطره من أحاسيس. فهو يتحدث في البداية عن مجلس الشراب، وما يثيره فيه من مشاعر، وما يجتلي فيه من أسرار الوجود.

ثم عن حيرته، وفي الوقت نفسه هو يؤكد:

لا لـن أحـيـدَ عـن الـبِـذَار وإنْ رَعَـتْ

زرعـي الجـرادُ بـجـيـشِـهـا الجـرَّارِ

ثم يُطَوفُ في الأفكار متحدثًا عن تحديه للتيار المعاكس طالبًا من الله سبحانه أن يمن عليه بشاطئ يستقر فيه.

ثم يتبادل الهموم مع من وجه إليها قوله:

لا تـكـتـمـي بـيـنـي وبـيـنـكِ قـصّـةً
أســـرارُ قـلـبـك فـي الــهـوى أســراري

ثم يكرر الشكوى من الأقوام الذين يخضعون للظالمين ويقبلون على أنفسهم بالمذلة. وفي مقابل هذا فهو يتحدث عن عزة نفسه قائلًا:

أنـــا ســائــحٌ دنــيــاهُ تحــت مَـداســهِ
مــا هــمَّــه مَــن ســــادةُ الأمــصــارِ

لذا فهو في نعيم إذا رمى من على كاهله الشعور بالذل وتدرع بدروع العزة والكرامة، وهو يرى أن الحياة وإن أظلم ليلها فإن تباشير الصباح توشك أن تهل على الناس، وأن قوى الظلام إلى انهيار.

ثم ينصح الذي يطلب الحياة الرخيصة بالحذر، وألا ينصاع للهاجس الغرار. وأن عليه أن يسمو بحياته ويترك التهاون للرديء من الناس. ويؤكد أن الحياة كلها تجارب وخيرنا من يستفيد من تجاربه.

ثم يعيب على العصابة السيئة سلوكها فإنها قد غلبت مباذلها على أحسابها، وأباحت الحرمات، وأصبح من يملك الدينار يملك أمرها، وهو يراها على هذه عصابة تمثل أمة ميتة وإن كانت تسير في الحياة بيننا.

ثم يتحدث عن المكابرين والكسالى الذين اعتادوا حياة الترف والنوم، فيقول:

قُــل لــلــذي ظــنَّ المــعــالــي سلـعـةً
المــجــدُ غــيــرُ بــضــاعــةِ الــتُّـجَّــارِ

وأضاف إلى ذلك حديثه عن جماعة تطلب مداراة الأعداء وعدم الاحتكاك معهم، وهو يرى نفسه بعيدًا عن أفكار هذه الفئة، ويرى وقع السيف عليه أرحم من التذلل للعدو. وهم في هذا مثل أولئك الأقوام الذين حمى الشاعر ذمارهم ولكنهم خانوه، على الرغم من تحمله الكثير من الأذى في سبيلهم. وهو بعد ذلك – خلافًا لهم– ينظر إلى العلا ويحاول إدراك المجد على عكس ما يفعلون. ويرى أن رواد العلا هم أنصاره الحقيقيون.

أما ما يمكن أن نختار له من شعره فهذه الأبيات التي تم اختيارها بموجب نزعتنا إلى الاختيار من شعر شعرائنا، يقول الشاعر العدواني في ديوان: «صور وسوانح» الذي نشره مركز البحوث والدراسات الكويتية في سنة ٢٠٠٧م واعتنى بنشره كل من د. خليفة الوقيان ود. سالم عباس خداده:

(١)

اللـيـلُ والـبـرقُ والسّـحـابُ
والـبـحـرُ أمـواجُـهُ غـضـابُ
والـرعـدُ يَـسْـري لـه هـزيمٌ
يَـنْـشَـقُّ مـن هـولـهِ الـعُـبـابُ

(٢)

مَـوكـبُ رعـبٍ لـه صِـراعُ
الجـنُّ مـن وَقْـعِـهِ تُـراعُ
وقـد تحـدتـه فـي سُـراهـا
سَـفـيـنـةٌ فـوقَـهـا شِـراعُ

(٣)

تُـسـابـق الـريـحَ فـي عـنـادٍ
فـتـسـبـقُ الـريـح فـي الـطـراد

يـــقـــودهـــا عـــنـــوةٌ رجـــالٌ
تـــوارثـــوا مـــهـــنـــة الجِـــلادِ

(٤)

والـــشـــمـــسُ فـــي غـــمـــرةِ الـــصـــحـــارى
تـــســـرَبـــت فـــي الـــرمـــالِ نـــارا
وفـــي خـــلال الـــلـــظـــى خـــيـــامٌ
وحـــولـــهـــا فـــتـــيـــةٌ غَـــيـــارى

(٥)

فـــوارسٌ دوَّخـــوا الـــلـــيـــالـــي
وارتـــهـــنُـــوا الـــعـــمـــرَ لـــلـــنـــضـــالِ
دَعَـــتْـــهُـــمُ لـــلـــفِـــدا بـــلادٌ
عـــزيـــزةُ الأهـــلِ والمـــنـــالِ

(٦)

يـــا قـــصـــةَ الأمـــس مـــا الجـــلالُ ؟
مـــا المـــجـــدُ؟ مـــا الـــشـــعـــرُ؟ مـــا الخـــيـــالُ؟
لـــولاكِ لـــم يـــنـــتـــظـــمْ فَـــخَـــارٌ
ولـــم يـــكـــنْ لـــلـــعُـــلـــى مَـــجـــالُ

(٧)

حـــكـــايـــةُ الـــســـورِ والـــقـــلاعِ
وســـطـــوةُ الـــســـيـــف والـــشـــراعِ
أنـــشـــودةٌ لـــلـــكـــفـــاح تـــحـــيـــا
عـــلـــى المـــدى حـــلـــوةُ الـــســـمـــاع

(٨)

فــي الــبــرِّ، فــي الــبــحــرِ ذكــريــاتُ
تُــــزهــــرُ فــــي ظِـــلــهــا الحــيــاةُ
بَــنَــتْ عــلــيــهــا الــكــويــتُ مَــجْــدًا
فَــعَــظُــمَ المــجــدُ، والــبُــنــاةُ

كانت هذه الأبيات هي ما تغنى به الفنان عبدالعزيز المفرج (شادي الخليج) بألحان الفنان أحمد باقر، من شعر الشاعر أحمد مشاري العدواني.

****

٤ - محمد أحمد المشاري

نقدم هنا شيئًا من شعر الشاعر الكويتي محمد أحمد المشاري، وهو شاعر فنان، موهوب له ديوان مطبوع وله - أيضًا - مجموعات من الأشعار الخاصة بالأطفال، وقد قام بنشر ذلك كله مركز البحوث والدراسات الكويتية.

كان هذا الشاعر رقيق الشعر، بعيدًا عن التعقيد والخروج عن المألوف في عباراته، وكان شعره مألوفًا لدى كل من يقرأ له. ولقد عاش طائرًا متنقلًا من موقع إلى آخر دون أن يترك عزمه على التغريد بفنه الشعري الجميل، وهو في عمله الأخير دبلوماسي، وعادة العاملين في هذا المجال عدم الاستقرار في بلد بعينه، بل هم يتحركون وفقًا لما تطلبه منهم وزارة الخارجية وهو أمر معروف، ومحمد المشاري وهو واحد من هؤلاء نراه دائمًا وبسبب النأي عن الوطن يتذكر حياته وصحبه في مسقط رأسه، ويؤكد في شعره دائمًا على أنه محب لبلاده لا يرتاح لفراقها. وأنه حريص على أن يعيش بها إلى آخر العمر. ولذا فإن الله سبحانه وتعالى قد قبل منه وحقق أمنيته. وكان في أيامه الأخيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، ولكنه عاد فجأة إلى الكويت لكي يلقي حتفه في وطنه الذي أحبه وغنى له.

ولقد كانت وفاته - فجأة - في اليوم الثالث والعشرين من شهر يونيو لسنة ٢٠٠٠م، وذلك بعد أن ترك تراثًا شعريًّا فاخرًا.

إن من يقرأ ديوان محمد أحمد المشاري ليشعر بأنه يقرأ لشاعر مجيد، وأنه يعاشر رجلًا يحب وطنه وأهل وطنه. ثم إنه شاعر لا ينسى أصحابه الذين عاش معهم منذ كان طالبًا إلى أن تخرج وعمل في المجالات التي تهيأ له العمل بها، وكان آخرها هو العمل الدبلوماسي الذي وجدناه بسببه سفيرًا للكويت في نيروبي عاصمة كينيا. وفي هذا البلد غرد كثيرًا بأجمل ألحانه، وملأ الأجواء هناك بأناشيد الحنين إلى الوطن. وكان لا يتأخر عن التعبير عن فرحته لفرحة يفرحها وطنه، ولا عن الألم لكل ما يكدر هذا الوطن. عاش بإخلاص شديد ووفاء نادر، وكانت نفسه الراضية هي التي دفعت به إلى محبة الأطفال، والاهتمام بهم فقدم لهم أحلى الأشعار بأسلوب رقيق سهل أفرحهم وأسعدهم.

نختار هنا من مجموعته الخاصة بأناشيد الطفولة، هذه الأبيات التي جعل عنوانها: «الفيل والنملة»، وهي أبيات تُعَبّرُ عن فكرة جذابة، ولها معنى يدل على ضرورة الانتباه إلى كل خطوة يخطوها المرء بحيث لا يكون مُضِرًا لغيره. وفي الوقت نفسه فإنه يجب أن يكون متوقعًا لرد الأذى عنه، حتى ولو كان مُتَلَقي الاعتداء أقل حجمًا، وأضعف في الخلقة.

والفيل الضخم وهو يسير في طريقه مختالًا بعيدًا عن التواضع يزدري كل من هو أقل منه حجمًا حتى وإن أدى ذلك إلى أن يخبط بأقدامه أولئك الضعاف كالنمل مثلًا. ولقد وقع تحت هذه الأقدام الجبارة طائفة منها، ولنا أن نتخيل حجم المصائب التي يمكن أن ينزلها هذا الخطب بتلك الطائفة إذا عزم على أن يقوم بإيذائها. ولكن هذه المخلوقات الصغيرة الضعيفة تستطيع أن ترد كيده بأسلوبها الخاص، وأن توقفه عند حده إذا تمادى.

مضى الفيل في خيلائه معجبًا بحجمه الكبير، وطاقته القوية، مقدرًا أن كل من يقف في طريقه فهو مُعرّض للأذى، وفي أثناء سيره مر دون اكتراث على قرية من قرى النمل فحطمها، ودمرها تدميرًا كاملاً. وتلقى هؤلاء المساكين تلك الصدمة بذهول شديد واجتمعوا حول بعضهم يشكون حالهم، ويفكرون بالطريقة التي تمنع الفيل الكاسح. ولم يجدوا وسيلة إلا في أن يرسلوا إليه وفدًا يرجوه أن يكف أذاه عنهم، ويعيش في موضعه بعيدًا عن الإضرار بهم. وقد ساءهم أن يرفض الفيل دعوتهم له بالكف عن أسلوبه القاسي، فعادوا وهم في أشد حالات الأسف لما حدث، ولكنهم بَيتوا النية على القيام بأمر ما للانتقام من عدوهم.

ثُمَّ ابتدأ الشاعر بأبيات يشرح فيها ما حدث بعد هذا القرار (النملي) وذلك بعد أن قدم لهذا بما سبق لنا ذكره من عزم طائفة النمل على الانتقام من الفيل، فقال:

وكانَ نَوْمُ الفيلِ في رَبْوَةٍ
مُصخرَةٍ عاليةِ النهضِ
فَدَخَلَ النمْلُ بِخُرْطومِهِ
وابتَدؤُوا بالقَرْص والعَضِّ
فَجُنَّ لِما لم يُطِقْ مَا بِهِ
واهْتاجَ في قَفْزٍ وفي رَكْضِ
ثُم هَوى مِنْ حالِقٍ مُثْخنًا
بالنزفِ والتكسيرِ والرض
لا تَحْتَقِرْ أمرًا صَغيرًا فَقَدْ
يَنْشأ عَنْهُ الخَطَرُ المُنضي
مَحضْتُكَ النُصْحَ فَخُذْ أو فَدَعْ
وَلَيْسَ لغْو القَولِ كالمحُضِ

أما الأبيات التي اخترناها في النطاق الذي أطلقنا عليه اسم «الحماسة الكويتية» فهي التي وردت في قصيدة الشاعر محمد أحمد المشاري التي كان عنوانها: «شتان ما بين دنيانا ودنياكم»، ومطلعها:

رأيــت فــي روضــةٍ تـلـتـفُّ أغـصـانـا
وتحـضُـنُ الـزهـر أشـكـالًا وألـوانـا
طـيـريـن فـي مــرحٍ حــلّا عـلـى فَـنَنٍ
مـن بـعـد أن لـعـبـا فـي الجـو أفـنـانـا

ومن هنا استمر الشاعر في حديثه عن الطائرين وموقفه منهما. وكيف حلّقا في الجو وهما يرسلان الأغاريد الجميلة التي هزته، وجعلته يتابع سماع النغم بأذنه وبعقله، ثم يدنو حتى يكون قريبًا من واحد منهما، وقال في هذه الحالة:

ورحــتُ أرقــبــه حــيـنًـا ويـرقـبـنـي
يُـقـلّـب الــرأسَ والمـنـقـار حـيـرانـا
كـأنمـا جَـمَـعَـتْ مـا بـيـنـنـا لـغـةٌ
فـأعـجـب لـهـا، نَـظَـمـتْ طـيـرًا وإنـسـانـا

ثم يقارن بين أمة الطير وأمة الإنسان، فيرى أمورًا تلفت نظره عندما يتأملها، وهو يبدأ في مقارنته هذه بقوله:

مـا بـالُـنـا أيـهـا الـغـريـد أرجـلـنـا
فـي الـدرب حـائـرة ذلًّا وأحـزانـا؟
هَـلاَّ أبـنـت فـقـد فـاضـت جـوانـحـنـا
هـمًّـا وَأَرَّقَ مـنـا الـفـكـرُ أجـفـانـا
أمـا تـرانـا وقـد أهـوت مـعـاوِلُـهُ
بـه عـلـيـنـا وأدمـتـنـا بـلايـانـا

أمـا تـرانـا وهــذا الـعـلـم بمنحنا
كـسـبًـا نُـحـوّلـهُ بـالـشرِّ خُـسـرانـا
مِـنّـا الــذي لا تـكـاد الأرض تَحـمـلـهُ
ونَـفْـسـه تحـمـل الأحــقــادَ أطـنـانـا
ويـكـذب الـكـذبـةَ الـكـبـرى فيـتـبـعُـهُ
غـوغـاؤه يمـلـؤون الأرض عُـدوانـا
مـنّـا الـذيـن إذا مـا سـاقـهـمْ طـمـعٌ
أضـحَـوْا بـه لا يــرونَ الحــقَّ عُـمـيـانـا
مـنّـا الـذيـن قـصـاراهـم مُـهـاتـرة
كم شذبـوا الـقـول في الـتـجـريـح إمعانا
وكـم تـوالـد شـر مـن تحـاسـدنـا
وكـم حـمـلـنـا مـع الـعـلات أضـغـانـا
فـكـيـف لا أنـثـنـي عـمـا أراه ولا
أروح أنـشـد عـن دنـيـاك سُـلـوانـا؟

ولكن الطير الذي حن لشاعرنا اتجه إليه بالنصح وبين له كثيرًا مما كان خافيًا عنه، وقال له إن أردت المقارنة بيني وبينك فأنت المخطئ فحياة الطير تختلف عن حياة الإنسان:

فانظُرْ تَجِدْني مَراحِي الـروضِ مبتسمًا
وَرْدًا وفـلاً ونَـسْـريـنًـا وريـحـانـا
اسْـتـقـبـلُ الـشـمـسَ في اشـراقـهـا غَـرِدًا
حـتـى أودعـهـا فـي الـوكـر نـعـسـانـا
تـعـيـدنـي نـقـرة فـي المـاء مـرتـويًـا
وحـبـةٌ مـن خـشـاش الأرض شـبـعـانـا

فـــلا تحـــاول عـــلـى جـــهـدٍ مـقـارنـة

بـل جـاهـدِ الـنـفـسِ إصـلاحًـا وإحـسـانـا

هـيـهـاتَ تـنـزع ثـوبًـا أنـت لابـسـهُ

وهـل تُـطـيـق لـهـذا الـزهـو فُـقـدانـا؟

فـارجـع لـدنـيـاك واضـربْ فـي مسالكها

شـتّـانَ مـا بـيـن دنـيـاكـمُ ودنـيـانـا

هذه الأبيات المختارة تعبر عن فكر الشاعر محمد أحمد المشاري، وتدلنا على المداخل التي يدخل إليها عندما يعتزم كتابة قصيدة ما، فهو يتأمل الكون من حوله، ويكتب على منوال الإيحاء الذي يصدره إليه هذا الكون.

****

٥ – صقر الشبيب

صقر الشبيب شاعر من شعراء الكويت الكبار، له شعر مُتنوع فيه السياسي والاجتماعي والأخلاقي، والغزلي. وفيه كثيرٌ من الحديث عن نفسه، وعن معاناته الطويلة مع الحياة. لأنه عاش جزءًا كبيرًا من حياته وهو في حاجة مادية شديدة الوطأة. وأصيب في وقت مبكر من حياته إصابة أودت به إلى العمى، وصار – لذلك – ملتزمًا بالبقاء في بيته لا يبرحه، حتى وُصِفَ بأنه رهين المحبسين الجديد أسوة بالشاعر العربي الكبير: المعري. وصار الناس يطلقون عليه لقب: مَعَري الكويت لذلك. وكل معاناته نراها واضحة في شعره، فهو يُعبّر عنها كلما ضاقت به ظروف الحياة، وأصابه نكد العيش.

ولد هذا الشاعر في الحي الشرقي من عاصمة الكويت في حوالي سنة ١٨٩٦م.

وبدأ دراسته في الكُتّاب، فكان يحفظ القران الكريم، ثم صار يستمع إلى من يقرأ له بعض الدواوين الشعرية المتيسرة له في ذلك الوقت. ولم تكن قراءة الشعر وحفظه والاهتمام به مما يُرضِي والده، فكان كثير النهي له عن اتباع هذا الطريق. ونتيجة لضغط الوالد من هذه الناحية فإن صقر الشبيب قد عزم في سنة ١٩١٤م على مغادرة الكويت حتى يصد عن منازعة والده، وحتى يزداد علمًا. فكان اتجاهه إلى الأحساء، وكان هذا البلد في ذلك الوقت يهيئ لطلاب

العلم مجالات الدراسة والإقامة والمصروفات الأخرى. وكل ذلك يتم من أوقاف كثيرة أقيمت لهذا الغرض.

وبعد سنة ونصف السنة من إقامته في الأحساء عاد إلى الكويت، لأنه لم يستطع أن يتلاءم مع طبيعة الدراسة هناك، فهو رجل حر التفكير يريد أن يسأل عن كل معلومة ويناقشها مع مُعلمِهِ، ولم يكن ذلك متاحًا، إذ وجد أن الطالب ينبغي أنْ يتلقى العلم من أستاذه وهو صامت.

وعندما عاد إلى الكويت صار واعظًا في أحد المساجد لفترة قصيرة، ثم عاد إلى الانكباب على الدرس، وكان أستاذه في هذه الفترة الشيخ عبدالله خلف الدحيان الذي يعطف عليه، ويَبُرهُ ، ويقدر فيه مدى إقباله على العلم، وكان الشاعر يحب شيخه كثيرًا، ولذلك فقد رأيناه يرثي الشيخ عبدالله الخلف عندما توفى سنة ١٩٣٠م بقصيدتين من أروع قصائده.

هذا وقد كانت لصقر الشبيب علاقات كثيرة مع الشعراء وغيرهم. وكانت له صلات بعدد كبير من الشعراء في خارج الكويت. وكان كثيرون منهم يزورونه عند قدومهم، وذلك قبل أن يمتنع عن استقبال أحد بعد أن دخل بيته لا يغادره، ولا يستقبل أحدًا إلى أن حانت وفاته في سنة ١٩٦٣م.

هذا ولقد كان في وقت نشاطه ينشر شعره في عدد من المجلات منها مجلة الكويت التي صدرت في سنة ١٩٢٨م إضافة إلى مجلة البعثة، ومجلات أخرى غير كويتية.

وبعد هذا فإن الاختيار من شعر صقر الشبيب سوف يكون في مُنتهى الصعوبة لأنه متنوع الأغراض، كثير مادة الشعر، يصعب على الباحث أن يحدد ما يمكن أن يختاره منه.

ومع ذلك فإننا وقد عرفنا مقدار شكاية هذا الشاعر من معاصريه، ومن دهره، وعدم تمكنه من العيش في يسر وراحة بال، فإننا نختار هذه الأبيات التي فيها بعض الدلالة على كل ما كان يتصف به في حياته، وما سوف نذكره ينمّ عن ذلك، فهو في أبياته التي نسوقها هنا يعبر عن عزة نفسه وعن ملامته لأولئك الذين لا يهتمون به وبشعره ولا يقيمون وزنًا لما يقدمه لهم من جميل المديح في هذا الشعر، بل إنهم ليجازونه على ذلك بعكس ما يتوقعه منهم، ويقول:

وكم لي في الكويت أُولو عَداءٍ
بلا ذنبٍ صَغيرٍ أو كبيرِ
سِوى أني صريحُ القولِ حُرٌّ
يُترجِمُ مقولي ما في ضَميري
ولما لم أجِدْ في الناسِ حُرًّا
يُعينُ على مُلِماتِ الأمورِ
نَبَذْتَ الناسَ ظِهْرِيًّا وَرَائي
و ناديتُ المنون ألا فزوري
فمثلي ما له في العيش خيرٌ
وهل للعيش خيرٌ للفقير
أخافُ إذا بقيت تَذِلُ نفسي
على طمعٍ لِذي مالٍ كثير
فَتَمْنَحُهُ مَدَائحها اللواتي
تَعِزُّ على الفرزدق أو جريرِ
فَيَجزيني على شعري شعيرًا
ولست من البغالِ أو الحميرِ

ولـكـنــي- كـمـا سُـمِّـيـتُ - صـقـرُ
وهَـــلْ أبـصـرت ذُلًا فــي الـصـقـورِ

تحمل الشاعر صقر الشبيب كثيرًا من المشاق وعانى كثيرًا من البلاء في حياته منذ كان صغيرًا. وهذا كله ظاهر في شعره الذي يضمه ديوانه الكبير الذي طبع باهتمام مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وله في الشكوى قصائد متنوعة، فهو يشكو الحاجة إلى المادة، ويشكو عدم الإبصار، والوحدة، كما يشكو عدم الاهتمام به من أبناء وطنه الذين صاروا يفخرون به بعد مماته، باعتباره شاعرًا مُجيدًا غزير الإنتاج، مُبدعًا فيما يقوله من شعر.

ومن قصائده الشاكية قصيدة وردت في ديوانه تحت عنوان: «فلي في الصبر ما هو أرحب»، ومطلعها قوله:

لـقد طـال مـني المكثُ في مظلـمِ الأسـى
إذا انجــاب عـنـي غـيـهبٌ جـاء غـيـهَبُ
ومــا زالــت الأيـــامُ تـرمـي صـروفـهـا
فـــؤادي بـمــا مـنــه أخـــاف وأرْهَـــبُ

فنراه منذ بداية قصيدته هذه وهو يئن كثيرًا لأن الحزن المظلم قد أظله، فمكث في ظلامه مدة طويلة. وهذا الظلام لا ينجلي عنه أبدًا، بل هو يتجددُ دائمًا. ويتمثل ذلك بما تفعله الأيام به، فهي ترميه بأحداثها التي تصيب قلبه بكل ما يُخيفه من الشدائد والأمور المحزنة. ولذا فإننا نجد بعد هذين البيتين قوله:

إلــى كَـمْ وقـلْـبـي لـلـشـوائـب مـسـرحُ
إلــى كـم وقـلـبـي لـلـنـوائـب مـلـعـبُ
إلـــى كـم ســـروري وجـهـه مُـتَـجـهِّـمٌ
إلــى كـم مُـحـيّـا راحــتـي مُـتَـقـطِّـبُ

إلـى كـم جَـهَـامٌ مـن رجـائـي سَـحَـابُـهُ
وحـتـى مـتـى بـرقُ الأمـانـي خُـلَّـبُ
لمـاذا يـعـاديـنـي الـزمـان ويـعـتـدي
عـلـيَّ بمـا مـنـه الـتـصـبُّـرُ يُـسْـلَـبُ
كـأن زمـانـي عـاشِـقٌ وكـأنـنـي
لـه عـاذِلٌ والـعـذلُ لـلـصَّـبِّ مُـغْـضِـبُ
أُقـاسـي مـن الأحـزان مـا لَـوْ أَقَـلُّـهُ
يَمَـسُّ نجـومَ الأفـق مـا لاح كـوكـبُ
ولـو حـلَّ بـالـبـحـرِ المحـيـطِ أقـلُّ مـا
يُـعـانـيـه قـلـبـي مـا جـرى فـيـه مـركـبُ
أَبِـيـتُ إذا مـا بِـتُّ ممـا أُجِـنُّـهُ
عـلـى مـثـل مـشـبـوبِ الـغـضـا أتـقـلَّـبُ
وتُـصـبـحُ إن أصـبـحـتُ نـشـوى محـاجـري
ولـيـس لـهـا إلا مـن الـسُّـهـدِ مـشـربُ
أمـا لـلـيـالـي الـصـائـلات بِـهُـدْنَـةٍ
فـقـد أَوْشَـكَـتْ نـفـسـي الـنـفـيـسـةُ تَـعْـطَـبُ
تحـاربـنـي حـتـى كـأنـي مجـرمٌ
إلـيـهـن جُـرْمًـا أو كـأنـيَ مُـذْنِـبُ

(المحيا: الوجه، الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، خُلب: خادع لا يمطر، أجَنه: ستره، الغضا: نبات صحراوي يوقد به).

وبعد؛ فلعل فيما قدمناه ما يكشف لنا عن مجرى حياة صقر الشبيب. وما تعرض له من الأذى ويبين لنا مستوى شعره، وقيمة ما قدمه لنا منه طوال حياته.

****

٦ - فاضل خلف

اختيارنا في هذا المجال من شعر الأديب الشاعر فاضل خلف. وهو رجل فاضل له من اسمه الشيء الكثير، يمتاز بدماثة الخلق، ويحظى بمحبة الناس ورضاهم، ويسعد الجميع بما يقرؤون له من نثر ومن شعر. وهو كثير القراءة محب لحفظ الشعر، متحدث لبق يقدم لمستمعيه موائد ثقافية عامرة بكل جديد. نشر عددًا كثيرًا من الكتب منها ما هو بحث ومنها ما هو رواية أو مجموعة قصص، ومنها الشعر. وشعره لطيف تحبه النفس وترتاح إلى قراءته وسماعه، وهو إلى جانب ذلك حريص على أن ينشر إنتاجه في الصحف لا يتردد في تقديم أفكاره للقراء، وعرض ما عنده من آراء عليهم.

ومن الكتب التي احتوت أشعاره نذكر دواوينه الثلاثة التي هي الآن بين أيدينا: على ضفاف مجردة، ٢٥ فبراير، وكاظمة وأخواتها.

وإذا كان هذا الأديب متنوع الإنتاج، فإننا سوف نهتم هنا بشعره كما تعودنا في الحماسة الكويتية منذ الوعد الأول لها.

تلقى الأستاذ فاضل خلف دروسه في المدرسة الشرقية، ثم في المدرسة المباركية. وعندما أنهى دراسته في هذه المدرسة امتهن مهنة التدريس في المدرستين المذكورتين، ثم في مدرسة الصباح الابتدائية، وكان عمله في هذه

المدارس مستمرًا منذ سنة ١٩٤٩م حتى سنة ١٩٥٢م، علمًا بأنه كان من مواليد سنة ١٩٢٧م، وهذا يدلنا على صغر سنه عندما أنجر دراسته وتوجه للعمل في سلك التدريس. وفي سنة ١٩٥٨م غادر البلاد متوجهًا إلى بريطانيا بعد أن أمضى فترة من العمل في دائرة المطبوعات والنشر (الإعلام حاليًّا) حيث انتقل وأقام في مدينه كيمبردج ولقي فيها عددًا من المستشرقين، وأجاد اللغة الانجليزية، واطّلع على النشاط الثقافي في تلك البلدة المشهورة بجامعتها العريقة. وفي سنة ١٩٦١م عاد إلى وطنه، وقد تغيرت فيه أمور كثيرة، إذ ألغيت الاتفاقية التعاقدية التي كانت تربط الكويت ببريطانيا، وأصبحت للكويت سفارات تمثلها في عدد من الدول، وفي بعض هذه السفارات مكاتب صحفية يرأسها ملحق صحافي يمثل الكويت أعلاميًّا، ويتحدث عن النشاط الكويتي العام، وَيُكَوِّنُ له صداقات تصب كلها في صالح الوطن. وقد قام الأستاذ فاضل خلف بهذه المهمة خير قيام إذ وجدناه يمثل الكويت في تونس، فكان شعلة من النشاط وعرف عددًا من الكتاب والشعراء والسياسيين، وصار اسمًا معروفًا لامعًا في ذلك البلد العربي.

وكان انتشار اسمه بين الناس هناك سببًا لأن يدعى إلى الندوات والمحاضرات والمجالات التي يطلب منه فيها أن يلقي حديثًا أو قصيدة، فكان لا يتأخر عن ذلك، وهو يرى أن أي جهد يبذله إنما يأتي في مصلحة الكويت.

شعر الأستاذ فاضل خلف متنوع، فيه الغزل وفيه الوصف وتاريخ المدن والقصائد الدينية، ولقد كتب شعرًا ضمّنه الحديث عن جبل طارق وعن المدن الأندلسية بعامة، وقال غزلًا جيدًا يحسب له ويضاف إلى مرتبة الشعر الجميل البديع، اما القصائد الدينية فله قصيدة جميلة يتحدث فيها عن الإسراء والمعراج،

وكان قد استمع إلى حديث أدلى به أحد رجال الدين من إذاعة الكويت وتناول هذه الحادثة النبوية الفريدة فتأثر الشاعر بذلك وكتب قصيدته.

وقد انطلق بها من قوله:

لـكَ الـفـخـرُ أَنْ لـقَّـنـتَ أنفسَـنـا الـفـخـرا
ونــالــتْ بــفـضـلٍ مـنـك أمـتُـنَـا الـنَّـصـرا
لـقـد صــانــكَ الـرحـمـن مـن كـل غــادرٍ
وزفّــت لـنـا الـدنـيـا بـمـقـدمِـكَ الـبـشـرى
وأصــبــحــتِ الـدنـيـا بــنــوركَ تـهـتـدي
وتـنـشـر فـي الارجــاء مـن مـجـدكَ الـعـطـرا

ثم يمضي في قصيدته هذه واصفًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلًا إنه نبي طأطأ له التاريخ هامته، وصار بانتصاره الشامل آية من آيات الله الكبرى التي لا مثيل لها. وجاء بالإعجاز في ظواهر كثيرة وفي آيات عظيمة تدل عليه. ونحن المسلمون نحمد الله على هذه النعمة التي أولاها لنا عندما هيأ لرسوله الكريم أن ينهض بالرسالة العظمى وأن ينشر الدين الحنيف حتى عم كل الآفاق، وتعلقت به القلوب.

لقد كانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم حربًا على الظلم والجور، ونصرًا للمظلومين الذين لا يجدون من يقوم بدفع الأذى عنهم.

ولقد صدع بدعوة الحق، فجلجل صوته في الآفاق، وملأ الدنيا عدلًا وعلمًا وخيرًا، ونشر السعادة في القلوب والطمأنينة بين معتنقي الإسلام. وانطوت بوجوده صفحة الجهالة والفقر والبغي والعدوان ليفتح صفحة كلها بر وحق وعدل.

ولقد أكد الأستاذ فاضل أن الرسالة المحمدية قد جاءت لكي تزيل عن الفقراء فقرهم وعن المهمومين همومهم، ولذا قال في قصيدته نفسها:

وجــاء رســولُ الـلـه بـالـعدل والـتُّـقَـى
فـصـار ذلـيـلُ الـقـوم مـسـتـبـشـرًا حُــرّا
وألّـــفَ بــين الــقــوم حــتــى رأيــتــهــم
وقـــد نـشـروا الـديـنَ المـظـفـر والـفـكـرا

وما نود أن نذكره هنا في نطاق الحماسة هذه القصيدة التي قالها الشاعر فاضل خلف في مناسبة حزينة، وهي مناسبة تذكَّر فيها صديقه الشاعر فهد العسكر، فجاءت قصيدته هذه معبرة عن شكواه لما أحس به من ألم الفراق وذكر – تخيلًا– كيف حال صاحبه في الدار الأخرى.

عنوان القصيدة هجرة البلبل والبلبل هو فهد العسكر، وقد أطلق عليه هذا اللقب لانه صاحب قصيدة البلبل الشهيرة التي نال عليها جائزة سنية.

مطلع قصيدة فاضل خلف هو:

يــا مـوحـيَ الـشـعـرِ والانــغــام والـغـزلِ
ونــاشــرِ الـعـطـر مـن نـــوَّارهِ الخَـضِـلِ
وبــاعــثَ الحــبِّ مـن أعـمـاق خـافـقِـهِ
وواهـــبَ الـفـيْـضِ مـن شـلاّلـهِ الَـهـطِـلِ
وصـــائـــغَ الـــفـــنِّ لا يـــســمـو لـرفـعـتـهِ
شـــادٍ مـــنَ الحـــيِّ مــن غـضٍّ ومـكـتـهِـلِ

وتمضي القصيدة على هذا المنوال إلى أن يتنقل الشاعر إلى مجال الذكرى التي من أجلها صاغ قصيدته فيقول:

يا مبدعَ الشعر قد وافَى الربيعُ وما
زالت قوافيك خلف السترِ والكِلَلِ
فهل وجَدْتَ بدار الخُلد ما نشَدَتْ
آمالُك الشمُّ في الأَبكار والأصُلِ؟
فَرُحَت تمرحُ في نُعمى وعافيةٍ
تعُبُّ من سلسبيل الخمر والعسل
تُغازلُ الحُورَ في شعر تُنضِّدُهُ
تهفو إليه قلوب الحور في جذل
تعانقُ الروحَ والريحانَ في شغفٍ
مستمتعًا بنعيمٍ غيرِ مُنْتَقِلِ
فصفْ شعورَكَ والتُّفَّاحُ تلثُمُهُ
وقد علَتْ صفحتيهِ حمرَةُ الخجل
وضع عقودك والرمان تهصره
وقد أمنْتَ عوادي اللومِ والعَذَلِ
انشد قصيدكَ فالأنهار دافقةٌ
وقد غدت بهجة الأسماع والمقل
أطلقْ نشيدك فالأطيارُ شاديةٌ
تسبّحُ الله في إنشادها الجزل
وانشرْ بيانك فالأدواح زاهيةٌ
وقد تَرَدَّتْ بديع الحُلى والحُلل
وصِفْ حياتك في عَدْنٍ وبهجتها
إذ كنت فينا حليف الهمِّ والفشل

يــا فــهــدُ إن الــبــلاد الــيــومَ فــي ظفرٍ
قـد أُبْـلـغَـتْ رفـعـة فـي الـقـول والـعـمـل
نــالــت مــن الــنـصـر والأمــجــاد ذروتــهــا
وأصـبـحـت قِـبـلـةَ الـقـصـادِ والـرسـل
أعـلامُـهـا قـد غــدتْ فـي الأفــق خـافـقـةً
تُـسـجِّـل المـجـدَ مـجـدَ الـظـافـر البطل
تـهـيـمُ بـالمـثُـلِ الـعـلـيـا وتَـنـشُـدُهـا
فـي كـل رَبـعٍ مـن الأمـصـار والـدُّول
شـعَّـتْ مـآثـرُهـا فـي كـل نـاحـيـةٍ
وفــاض نـائـلُـهـا فـي كـل مُـحـتَـفَـل
فـعـشْ سـعـيـدًا بـدار الخُـلـد حـيـثُ غـدَا
مـجـدُ الـكـويـت، بـحـقٍّ، مَـضْـرِبَ المثل

ومن هذه الأبيات نعرف أن هذه القصيدة لم تكن قد قيلت عند وفاة الشاعر فهد العسكر، ولكنها قيلت بعد ذلك لأن الأستاذ فاضل خلف يقول: وافى الربيع، وهي عبارة يشير بها إلى قصيدة فهد العسكر: جاء الربيع وأنت راقد ولأنه يقول: ومازالت قوافيك خلف الستر والكلل، ويبدو أنه عندما كتب هذه الأبيات لم يكن قد اطّلع على ما أصدره الأستاذ عبدالله زكريا من طبعات كتاب: فهد العسكر: حياته وشعره، ما يدل على أن تاريخ القصيدة التي ذكرناها سابق على صدور الطبعات الأخيرة من الكتاب المذكور، أما الأبيات الستة الأخيرة فهي أكثر دلالة على ما نشير إليه، فقد جاءت – وهذا واضح فيها– بعد الاستقلال وبعد تطور البلاد وتقدمها.

****

٧ - عبدالمحسن محمد الرشيد

الأستاذ عبدالمحسن محمد الرشيد، من أساتذتي في المدرسة الأحمدية، وهو رجل فاضل اكتسب محبة التلاميذ وتقديرهم بسبب إخلاصه لهم في العمل واهتمامه بإيصال المعلومات إلى أذهانهم بكل يسر.

كان شاعرًا، ولكننا لم نعرف له هذه الصفة إلا بعد أن كبرنا وصرنا نقرأ له بعض شعره في مجلة البعثة وغيرها من المجلات، فنفخر بأستاذنا المبدع الفنان، الذي يقول هذا الشعر الجميل الرائق.

وكان إلى جانب النشر مشاركًا في الاحتفالات التي كانت تقام في البلاد من وقت إلى آخر وفق مناسبات متعددة تسعى دائرة معارف الكويت إلى الاحتفاء بها، فهو يدعى إلى الحضور والمشاركة فيلبي دون تردد.

ثم أنه صار - بعد ذلك - من أهم العاملين في دائرة معارف الكويت، واستمر بها حتى بعد أن صارت وزارة عنوانها: وزارة التربية، وقد تولى عملًا اهتم به كثيرًا خلال وجوده بهذه الوزارة، وهو ما يتعلق بالوسائل التعليمية التي درسها في بريطانيا، ونال دبلومًا خاصًا بها من هناك، وتعلق قلبه بها لأنه عرف مدى الفائدة التي تعود على التعليم إذا ازداد الاهتمام بالاستفادة من هذه الوسائل بأنواعها المختلفة فهي تُقَرِّبُ للتلاميذ البعيد، وتُسَهِّل على المدرسين الشرح والإيضاح.

صار هذا العمل أساسيًّا بالنسبة له، وعندما رأت الوزارة أهمية عمله هذا قامت بترتيب جديد يؤدي إلى رفع مستوى ما يقوم به في مجاله هذا فصارت للوسائل التعليمية دائرة هو مديرها.

وعندما آن أوان تقاعده، بعد أن مرت عليه مدة من الزمن وهو يمارس هذا التخصص الفريد ويقدم من خلاله في كل يوم جديدًا نافعًا، ترك للكويت مؤسسة كبرى هي دائرة الوسائل التعليمية التي أنشأها وتوسع في فروعها، وأفاد بإنتاجها الدائم المدارس بكافة مراحل الدراسة فيها بعد أن أمدهم بكل ما يحتاجون إليه من أدوات وأفلام سينمائية وأجهزة شارحة، كان لها دورها في تقريب المعلومات للتلاميذ.

كان في المدرسة يعلمنا القراءة، وكان يحرص على أن نعرف - جيدًا- معاني الكلمات، وبين فترة وأخرى يسألنا عن هذه المعاني لكي يعرف مدى تحصيلنا، ولذا فإنه يكون سعيدًا حين نذكرها له كما أفادنا وبدون تَرَدُّد.

ولد الأستاذ عبدالمحسن محمد الرشيد في حي من أحياء منطقة القبلة من العاصمة في سنة ١٩٢٦م، ودرس في إحدى المدارس الأهلية، ثم درس في المدرسة القبلية النظامية، وفي سنة ١٩٤٢م بدأ عمله في سلك التدريس بالمدرسة التي درس فيها. وتابع مسيرته في المجال التربوي إلى أن لقى وجه ربه الكريم في سنة ٢٠٠٨م.

وحسبنا أن نقول أن هذا الرجل كان متميزًا إلى أقصى حد، فهو في الأدب أديب بارع، وفي الشعر شاعر مجيد هو فيه فارس ميدانه. وهو في العمل التربوي نموذج من نماذج المعلمين المربين الذين يتركون وراءهم أطيب الآثار في طلابهم، وفي أعمالهم بصفة خاصة.

ويكفيه للدلالة على حبه للعمل التربوي أنه انقطع عنه فترة من الزمن اشتغل خلالها بأعماله الخاصة ثم عاد إلى المدرسة معلمًا كما كان. ولكنه في فترة انقطاعه عن هذا العمل حصل على فوائد كثيرة إذ كان يعمل في التجارة ويُكثر من الأسفار. وكان من الأماكن التي كان يرتادها لعمله الخاص إيران فاستفاد من زياراته لها أنه اكتسب اللغة الفارسية وقرأ بها.

كان الشاعر عبدالمحسن محمد الرشيد مهتمًا بشعره، يحفظه في مكان أمين، ويعود إليه مرة بعد مرة، وهو يرى أن هذه القصائد لصيقة به قالها في مناسبات تخصه، وأنه كلما قرأ قصيدة منها ذكرته بموقف من المواقف التي مرت في حياته، وهذا هو سر محافظته الدائمة على شعره، فهو يحفظه في ورق ثم يضعه في ظرف لا يفتح إلا بمعرفته. وكانت كل خشيته على هذا الشعر أن يضيع فتندثر بذلك ذكرياته التي يعيش عليها أيامه كلها.

ومن المهم أن نذكر أنه عندما واتته الفرصة قام بطباعة هذا الشعر كاملًا ونشره، ولقد كانت طباعة جميلة ولم يترك شيئًا مما كتبه في الماضي إلا وقد أدرجه فيها. وأسعدني أستاذي بإهدائه نسخة من هذا الديوان الذي أطلق عليه اسم: «أغاني ربيع»، وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٧١م، وقد تمتعت بقراءته، وتذكرت بعض قصائده التي سبق لي أن قرأتها.

والديوان متنوع الأغراض، ولكنه يميل أكثر ما يميل إلى الناحية الانتقادية، فهو لا يرضى بكثير من الأمور التي طرأت في البلاد مما لم يتعود هو ولا أبناء الشعب عليها. وهو ولاشك رجل مستقيم لا يعجبه أي شكل من أشكال الاعوجاج.

والديوان يبدأ بداية شعرية جميلة تتكون من بيتين نحس فيهما نبض الشاعر وإحساسه بكل ما قاله من أشعار في حياته التي سبقت طباعة الديوان، فهو يقول:

بُلبلٌ كان في ربيعٍ فَغَنّى
ثم أمسى يبكي الربيعَ الفاني
أين منه أنشودةُ الحب والنجـ
ـوى وبثّ الأشواقِ والأحزانِ

ما أجمل ما قاله هذا الشاعر عن نفسه، إنه يبحث عن شيء افتقده. ولكن شعره هو الذي يُدلهُ عليه.

وإذا أردنا أن نختار له هنا، فإن خير ما يمكن لنا أن نقدمه هو قصيدته التي عنوانها: «الوساطة والمال»، فهو يرى أن الوساطة داء وبيل، وعنصر من عناصر تخريب المجتمع. وهي تُفسد على الصالحين مجرى حياتهم، ولا تتيح لهم فرص التقدم في الطريق الذي يستحقونه، فيقول:

دَعْ عنكَ أنك من أهل الكفاءاتِ
ما الفوز إلا لأصحاب الوساطاتِ
هي المطايا التي يُرجى الوصولُ بها
إلى مَنَال مطاليب وغاياتِ
كم جاهل مُستفيضِ الخُرق نالْ بها
بالسعي ما لم ينلْ أهلُ الدِّراياتِ
فإن تطلبتَ في العلياء منزلةً
شمّاءَ أوفت على الزُّهْرِ العليّاتِ

لا تقطعِ العمرَ سعيًا في تَطلُّبِها
فالأمرُ أهونُ من جُهد ومَسعاةِ
اخترْ لنفسك ذا جاهٍ ومنزلةٍ
وكلُهم جاهلٌ جَمٌّ الحماقاتِ!
وانسجْ حواليهِ أثوابًا مُنمقةً
منَ المديح كما يهوى جميلاتِ
زَيّنْهُ في ناظِرٍ بالحمقِ ممتلئ
وكُن له حينَ يرنو خيرَ مِرآة
تَنَل على كتفيه ما طمِحتَ له
من دَوحَةِ المجدِ أغصانًا رفيعاتِ

ثم يعود يعد ذلك إلى النصح فيقول:

ماذا انتفاعك من علمٍ ومن أدبٍ
سِوى اجتلائك أوضاعًا أليماتِ
كَمْ مِن أديب تراهُ رهن زاويةٍ
وجاهلٍ تحت أعلام وراياتِ
عَهْدٌ به طُرُقُ العلياءِ قد عُكستْ
وكلُ عهدٍ بأوضاعٍ جديداتِ
فاسلكْ مع الناسِ ما ألَفيتهم سلكوا
ولو تناهتْ بهم طُرْقُ الضَّلالاتِ
ما في التمرد من جَدْوى لصاحبهِ
سِوى اكتواءٍ بنيران العداوات

ومن الجدير بالذكر هنا أن نقول أن هذا الشاعر قد صاغ قصائد وطنية جميلة منها هذه التي غنتها المطربة الكبيرة فيروز وأولها:

مــرحــبًــا عــيــدَ بـــلادي مــرحــبَـا
عُـــــدْتَ فــالــدنــيــا نــشــيــد وصِــبــا
مــا تـــرى الأيـــام قـــد بــاهــت بــنــا
وبِــنــا هَــنَّــا الـــزمـــانُ الـــعَــرَبــا
وطــــن حـــــرٌّ وشـــعـــبٌ مــاجــدُ
أنِـــفَـــتْ هَـــامَـــاتُـــه أن تُـغْـلـبـا

وأخيرًا غادر هذا الغريد دنيانا بعد أن ملأها شعرًا وعملًا دائمًا، وترك فيها أعمالًا تشهد له وتلاميذ يذكرونه في كل حين. ومنهم كاتب هذا المقال الذي وقف يوم وفاة أستاذه فقال:

مــن ذا يــغــنِّــيــنــا أغـــانـــي ربــيــعْ
فــقــد أتـــى الـــدهـــرُ بــخــطــب مُــريــعْ
مــضــى أبـــو مـــاهـــرٍ مـــن بــيــنــنــا
فــانــسـكــبــتْ يـــومَ الـــفـــراق الـــدُّمـــوعْ

****

٨ - إبراهيم سليمان الجراح

الشاعر إبراهيم سليمان الجراح، هو خالي الذي عشت معه زمنًا، وتعلمت منه كثيرًا، وقد لا يعلم أحد بهذه العلاقة العائلية، ولكنها حقيقة عشتها واستفدت منها علمًا وأدبًا، لقد تحدثت عن شعره يومًا فقلت: إنني استمعت إلى شعر الخال إبراهيم الجراح، ولكنه لم يكن يقرأ عليَّ شعره. وإنما كنت أَتَلَقفُهُ من غيره الذين يحبونه ويروون له. وعندما رحلت إلى مصر من أجل الدِّراسة في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة أتحفني بثلاث قصائد جميلة أسعدتني في غربتي، ولقد كانت غربة حقيقية لأن الاتصالات في ذلك الوقت لم تكن متيسرة، فلم نجد إلا البريد وسيلة وحيدة لذلك. كانت القصيدة الأولى من القصائد الثلاث التي أرسلها ردًّا على رسائلي التي أرسلتها إليه منذ غادرت الوطن، وكان يعتبرها من أجود ما كتب من شعر، وفيها قوله:

تحدثت عن مصرٍ فأعربت عن خُبْرِ
حنانيكَ هام القلب حُبًّا بما تُطْرِي
لقد حبَّبَتْ مصرًا إليَّ رسائلُ
«جلبنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري»

أما القصيدة الثانية فكانت تعليقًا على قصيدة كتبتها وأنا هناك، فأرسل إليَّ هذا التعليق:

رُبَّ لـفـظٍ رَقَّ حـتـى فـتـنّـا
رَقَّـةَ الـقـلـبَ وسَـرِّ الأُذُنَـا
نـغـمـةٌ عـابـرةٌ جـاءت بـهِ
فـأزالـتْ بـصَـداهُ الإحَـنَـا

وقصيدته الثالثة هي التي قَرَّضَ بها كتابي: «كاظمة في الأدب والتاريخ» يوم صدر في سنة ١٩٥٨م. ولقد سرتني هذه القصائد الثلاث واحتفظت بها كنزًا ثمينًا أخاف عليه من الضياع إلى أن زينت بها كتابي الذي ألفتُهُ عنه بعنوان: «إبراهيم سليمان الجراح، حياته وشعره»، وقد صدر في سنة ٢٠٠٣م، وكان ذلك بعد أن انتقل إلى رحمة الله تعالى.

هذا هو موضوع الحديث في هذا الموقع من الحماسة الكويتية، وهو كما يتضح مما تقدم أنه يتعلق بشاعر كويتي لم يكن حريصًا على نشر شعره، ولم يكن أحد يطلع على قصائده فيما عدا أفراد له علاقة صداقة خاصة بهم. ومع ذلك فقد أتيحت الفرصة لجمع ما أمكن جمعه من هذا الشعر الجميل الذي وجدت أكثره عند الأخ جراح داود الجراح، وكانت لديه عدة قصائد بخط يد الشاعر، كل قصيدة منها مؤرخة بخط يده.

الشاعر إبراهيم سليمان الجراح من مواليد الكويت، وهو شقيق العلامة الشيخ محمد سليمان الجراح والشاعر داود سليمان الجراح. والمطلع على المجموعة الموجودة الآن من شعره يستطيع أن يخمن أن لهذا الشاعر شعرًا كثيرًا يتجاوز ما هو موجود، وسبب هذا التخمين هو المقدرة الشعرية الفائقة التي يتمتع بها، ثم تنوع أغراض شعره حتى لم يترك مجالًا دون أن يَطْرُقَه.

وإلحاقا بما ذكرناه عنه وعن قصائده التي وردت في كتابنا المشار إليه فإننا ينبغي أن نشير إلى أنها مهما تكن قليلة العدد فهي تضم إشارات إلى أمور كثيرة جديرة بالنظر والمتابعة. فهو حريص فيها على المحافظة على أصدقائه، يجتهد في الارتباط بهم فيرسل لهم التهاني عند المسرات، ويرسل التعازي في حالات الحزن، كما يطلب من الله سبحانه لهم الشفاء العاجل في حالة المرض، ويعتذر إليهم عن التقصير في الزيارة أو في تلبية دعوة دُعي إليها من قبل واحد منهم. ناهيك عما كان يتحدث به عن الوطن، وعن حنينه إلى ماضيه، ودفاعه عنه في الملمات. وكانت له قصائد يرد بها على الشعراء هي من باب المداعبات التي تُسْعِدُ الذين يتلقونها منه. ولقد أبدع غاية الإبداع في قصيدته التي قالها في رثاء أخيه العلامة الشيخ محمد سليمان الجراح رحمه الله. وكانت قد صدرت من قلب أخ محب لأخيه.

ولقد عبر فيها عن إحساسه بدنو أجله، بعد وفاة شقيقه الذي عاش معه طويلًا، وتقاسم وإياه أفراح الحياة وأتراحها، يقول:

ما كنتُ أحسَبُ أن تطولَ حياتي
حتى أراك سبقتني بمماتِ
قد كنتُ أرجو أن أفوزَ بدعوةٍ
مبرورةٍ لي منك أو بصلاةِ
فسبقتني ضيفًا لربك، للذي
يُقْري النزيل لديه بالجنّاتِ

وفي هذه القصيدة بيت واضح الدلالة على شعور إبراهيم الجراح بدنو أجله لوفاة شقيقه وهو قوله:

شِـقّـي لأنــت ومَــن تَـسَـاقـطَ شِـقُّـهُ

كــان الـــرّدى مـنـه عـلـى خُــطُـواتِ

ولقد كانت وفاة هذا الشاعر في صباح يوم السبت الموافق للثامن من شهر ديسمبر لسنة ٢٠٠١م. وهو عالم من علماء الكويت البارزين في اللغة والأدب والفقه، يُحس من يجلس إليه بمقدار ما لديه من علم وما يتمتع به من معرفة شاملة، كما يجد لديه الرغبة في إيصال معلوماته إلى من يريد، على الرغم من أنه في أواخر أيام حياته كان حريصًا على الاعتزال. وهو على الرغم من ذلك – أيضًا – يستقبل في مصلاه في أحد مساجد الكويت عددًا من طلاب العلم الذين يأتون إليه بصورة غير منتظمة للسؤال عن أمر من الأمور التي تُشكل عليهم، فيجدون عنده الجواب الشافي. ومن ذلك يدرك هؤلاء مقدار علمه، ومدى تَمكُّنِهِ من الإحاطة بكثير من المسائل العلمية التي يسعى هؤلاء إلى معرفتها.

وكان قد درس مع أخويه داود ومحمد عند عدد من علماء عصرهم، وكان منهم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، وقد اشتهر الشاعر إبراهيم الجراح بالتواضع والزهد وعدم الرغبة في الاختلاط بالناس. وكان مُلمًّا بتاريخ الكويت وعالمًا بمواقعها الجغرافية لا يفوته شيء من ذلك.

وفي مجموعة الأشعار التي بين أيدينا من شعره ثلاث قصائد تدل على حبه للكتاب، وتعلقه به، وهي أولاً: القصيدة التي عنوانها: عتاب. وقد وجهها إلى صديق له في سنة ١٩٣٢م، وكان هذا الصديق قد وعده بإعارته ديوان شعر لشاعر قديم له قصيدة بائية كان شاعرنا يود قراءتها، ولم يتسنَ للصديق الوفاء بما وعد، فكانت هذه القصيدة:

يــا نــزهــةَ الأدبـــــاءِ والــظــرفــاءِ

حــقًّــا أقــولُ وقــد أطــلــتَ عـنـائـي

خـالـفـتَ اسـمـك فـي مـعـامـلـتـي أَ ذاَ
حـــقُّ الــصـداقــة أم جـــزاء ولائــــي؟
أمَّـــلْــتَـــنـــي بــقـصــيـدةٍ بــائــيــةٍ
غـــراءَ جـــاء بـــهـا فـتـى الـبـطـحـاء[1]
ثـم انـثـنـيـتَ إلـــى الـتـعـلـل مُـخْـلـفًـا
والـخــلــفُ شـــأنُ الــغـــادةِ الـهـيـفـاء[2]

وأما القصيدة الثانية فقد كتبها إلى أحد أصدقائه الذي وعده بإعارته كتاب «معجم الشعراء» وأخلف، فقال:

يــا أيـهــا الـشـيـخُ الأديـــبُ ألـــم تـكـنْ
أمّــلــتــنـــي بـــتـــراجـــمِ الـــشـــعـــراء
فـــعـــلامَ طــــال الانــــتــــظــــار ولــــم أنــــلْ
مـــن وعـــدك المـــأمـــولِ غـيـــرَ هـــواء
فـابـعـثْ وعــجِّــلْ بـالـكـتـاب وكُـــن بــه
مُـــتَـــفَـــضــــلًا ومــــبـــــادرًا بـــوفـــاء

أما الثالثة من القصائد التي أشرنا إليها ففيها اعتذار قدمه إلى صديق له أعاره أحد أجزاء ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي الأربعة، وأثناء وضع الكتاب في الحجرة تساقط عليه المطر من السقف وأتلف الكتاب مما أحزن الشاعر على الرغم من حرصه على حفظ الأمانة وإعادتها كما كانت. فقال:

يـا متحفي بـالـذي يـحـوي مـن الـتُّـحَـفِ
ومَـانـحـي مـن نَـــدَاهُ أبـدع الـصُـحـفِ

---

(١)نظن أنه يشير إلى الشاعر عمر بن أبي ربيعة، وهو أقرب الشعراء الأقدمين إلى مسمًّى: فتى البطحاء. والقصيدة البائية المشهورة له، وهي التي مطلعها:

قال لي صاحبي ليعلم ما بي   أتُحبُّ القتول أختَ الربابِ

(٢)كتاب معجم الشعراء للإمام محمد بن عمر المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ. ولعل الطبعة المقصودة هي التي صدرت في سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م).

بعثتَ لي رُبْعَ شوقي فانهمكتُ بهِ
ما زلتُ أتلوه من ياء إلى ألفِ
تراكضتْ بي إلى شتى خمائلهِ
بناتُ أفكارهِ في الحسن والظّرف
قطفتُ ما شئتُ من وردٍ ومن ثمرٍ
ما بين مختلف منه ومؤتلف
ومن تنزه في روض البيان على
ما راق من زاخر الآداب، يقتطف
وقلتُ للنفس ذا نهرُ البلاغة في
صفائه فاكرعي ما شئت واغترفي
غوصي سريعًا على ما فيه من دُررٍ
ومن لآلىءِ لم تخرجْ من الصدف
فما اشْتَفْت بعدُ نفسي من نفائسهِ
أَوْ ملَّ طرفيَ ما فيه من الطُّرَف
وصنته عن أديم الأرض مجتهدًا
لم أدرِ أن له حتفًا من السقف
فَشَوّهتْ قَطَراتُ الماء طلعتَهُ
كما يُشوّهُ حسْنُ الوجه بالكلف
أتى إلي بأثواب النّقا قشب
ثم انثنى بعد ما رثّتْ من التَّلف
فاغضضْ - فديتك - طَرْفًا عن رثاثتهِ
فقد أتاك على استحياءِ مقترف

هذا هو الشاعر العالم الجليل إبراهيم سليمان الجراح تحدثنا عنه باختصار، ثم أوردنا نماذج من شعره، وكانت منها القصيدة الأخيرة التي تعتبر من أجمل الشعر.

****

٩ - عبدالرزاق عبدالعزيز العسكر

الأخ الكريم الأستاذ عبدالرزاق عبدالعزيز العسكر شاعر من أسرة فيها عدد من الشعراء. ولذا فإن مما هو جدير بالذكر أن نقول إنه واحد من شعراء هذه الأسرة المجيدين، نقل إرث الشعر ممن هم أكبر سنًا من بين أَفْرادِ أهله، وشدا به خلال سنوات طويلة، وارتاح أصحابه إلى ما يُقدمه لهم من أشعار يطربون لها ويسعدون بسماعها.

قدم لنا الجزء الأول من ديوانه في سنة ١٩٩٦م، وضم بين دفتيه مجموعة قيمة من القصائد، وهي كلها ذات طابع شخصي لأنها تعبر تعبيرًا صادقًا عن نفس الشاعر، وإحساسه بما حوله. ونحن لا نريد من الشاعر إلا أن يكون معبرًا هذا التعبير الصادق الذي يجعلنا نترقب كل قصيدة يقولها فنهتم بسماعها، ولقد كان يفصح عن رأيه في الشعر فيقول:

هـوَ الـشـعـرُ لـلإنـسـان مـرآةُ نفسهِ
فـمـا كـان مـكـتـومًـا نـراه مُـذاعَـا
وكـم أمـنـيـاتٍ فـيـه لـيـست حـقـيـقـةً
ولـكـن نـراهـا عـادةً وطـبـاعـا

ولقد قدم لهذا الجزء من ديوانه بمقدمة شاملة ومفيدة، شرح فيها حالته الشعرية الخاصة، وبين أسلوبه في قرض الشعر، وفي هذا الشأن يقول: «إن

الشعر خيال وأماني، يخرجها الشاعر في قالب، فيظن القارئ أن ما سمعه هو حقيقة واقعة، وذلك بسبب إجادة الوصف، ودقته عندما يتحدث عما لقيه مع من أحبه، وقد يصف الشاعر أمورًا يظنها السامع توجب الحد بينما هو لم يزاولها، ولم يقترفها».

وفي المقدمة تحدث – أيضًا – عن الشعر في الكويت وذكر أنه كان غزيرًا، ولكنه ضاع، ولكن الأمر في الوقت الراهن مختلف، فان تسجيل الأشعار عن طريق الوسائل المتعددة المعمول بها يحفظ كثيرًا مما يقوله الشعراء، ولذا فإنه لا خشية من ضياع شعر من هو معنا الآن من الشعراء، فهو محفوظ ولن يضيع.

وفي ختام المقدمة لم ينس أن يقدم شكره إلى الشاعر إبراهيم سليمان الجراح الذي برر شكره له بقوله: «وذلك لما قدمه لي من عون على إصلاح ما أُقدّمه له من نظم، وتوجيهه لي إلى الطرق السليمة للنظم، ومما أوصاني به هو أنني إذا نظمت قصيدة فلا بد من أن أتركها لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام قبل نشرها، ثم أعود إليها فأقرأها مرة ثانية، لكي يتبين لي ما فيها من نقص أو زيادة».

على الرغم من صغر حجم هذا الجزء من ديوان عبدالرزاق العسكر، فإنه ضم عددًا لا باس به من القصائد والمقطعات، وقد تنوعت موضوعاتها فهي تضم النوع الوطني وبخاصة ما يتعلق بالأعياد الوطنية المتكررة، والغزو العراقي الغاشم لبلادنا إضافة إلى بعض الموضوعات الاجتماعية وبخاصة ما يتعلق به شخصيًا وهذا من حقه، فهو إنما يعبر عن نفسه أولًا. ولكنه خرج عن ذلك ليقدم لنا قصائد عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وعن أحداث

لبنان، وعن فكرة إنشاء السور الرابع، ومؤتمر القمة العربي، والطائرة الكويتية المختطفة: «كاظمة». وكل ذلك يضاف إليه ما كتبه من شعر خلال رحلاته إلى الهند وبريطانيا وألمانيا وتركيا. وإذا تخيلنا الموضوعات الأخرى التي لم نُشر إليها هنا عرفنا كم هو شاعر متنوع الشعر.

ومما يلاحظ في شعره تراكم الهموم عليه، وهو يتَّجِهُ إلى الله سبحانه في ذلك راجيًا أن يلهمه الصبر، وأن تتفتح نفسه للحياة من جديد مهما كانت المصاعب. وهو يلقي كل همومه على الزمان الذي يعبث بالإنسان، ويصبغ شعره بالشيب قبل الأوان. أما الناس فإنه يقول عنهم إن بعضهم يميل إلى الخير ، وبعضهم الآخر ارتبط بالشطط وخرج عن القاعدة. ولهم طباع غير متشابهة فهذا كريم، وهذا تراهُ بخيلًا لا يعرف السخاء، وهذا الخلط لا ينطبق على الناس العاديين وحدهم ولكنه ينطبق – كذلك – على كبار القوم وعلى الولاة إذ نجد بينهم من هو سائر على نقيضين.

وعن هذا الذي ذكرناه عن آرائه في الزمان نراه يقول:

هـــــذا الـــــزمـــــانُ مـــربـــكٌ
فـــيـــه هـــــمـــــومٌ وشـــطـــطْ
والمـــــــــرء مـــــن هـــمـــومـــه
بـــــرأســــه الـــشــــيـــب وخَــــطْ

ثم يضيف:

بـــعـــض الأنــــــاس ذو سـخـا
يُـــســـرع بـــالـــبـذل نَــشِـــطْ

بــــعـــض الأنــــــــــاس خـــيــرُ
والـــبــــعــــض بـــالـــشـــرِّ ارتـــبـــط
يـــخــتــلـــف الـــنــــــاس هــــوىً
ثــــــم طـــبـــــاعــــاُ وَنَمَــــــــــطْ

ولم يكن مقتصرًا في حديثه الشاكي على ما ذكرناه من ضيقه بالمتقلبين من الناس، بل هو يشكو من الأوضاع العربية العامة، ويتألم بما حل بأمة العرب من مصاعب ومشكلات، ويتمنى اللحظة التي تزول عندها تلك المصاعب والمشكلات. إنه يرى نفسه، بل يرى أمته العربية كلها في ليل مظلم لا يجد الساري فيه إلى دربه طريقًا. ويستمع إلى العروبة وهي تستجير وتشكو بالصوت العالي ما حل بها، دون أن تَجِدَ من أهلها من يرفع عنها الضيم، ويجيرها مما حل بها.

يـــا أيـــهـــا الـــســـاري ولـــيـــلٌ مـظـلـمُ
سُـــــدَّتْ مـــســـالـــكُـه وغـــيـــمٌ مُـــعْـــتِـــمُ
لا يُـــهْـــتَـــدَى فـــيـــه ولا مـــن مـــرشـــدٍ
إلا الـــضـــيـــاء لـــعـــلـــه يَـــتَـــقـــدّمُ
إن الـــعـــروبـــةَ تـــســـتـــجـــيـــر مـــن الأذى
إذ جُـــــلُّ مـــن فـــيـــهـــا مُـــهـــانٌ يُـــظْـــلـــمُ

وفي الأبيات التالية ينهى عن الفرقة، ويدعو إلى وحدة الصف، ويطالب الناس بالنأي عن الاختلاف، فإن الأمم لا تفقد مكانتها ولا استقلالها إلا إذا اشتد الخلاف بين أبنائها. وهذا هو ما نشاهده في بعض البلدان العربية التي صارت شهوات النفوس تلعب بمستقبلها، وتحطم طموح أبنائها، بل هي تكاد تودي بهذه الدول التي دب فيها الخلاف.

ثم يوحي إلى قارئه أن حب الوطن، والحرص على كرامته من أهم الأمور التي تؤدي إلى التقدم والرقي، وإلى الاستقلال والنماء. وليس هناك من تعبير صادق عن حب الوطن أكثر من تعاون أهله وحُبِّ بَعْظِهِمْ. ثم يقول:

يا بلادي العزيزة لقد ملكت قلوبنا، ولذا فاحكمي علينا بما تشائين فأنت مُحَكَّمة بمصائرنا. وتبت يدا أي شخص لا يريد لك النهوض والتقدم. بل نحن من أَجْلِكِ على أتم الاستعداد لتقديم أرواحنا رخيصة فداء لك، وصونًا لك من التخريب والمخربين الذين لا يهدأ لهم بال حتى يروك خاضعة لهم. وهذا أمر لا يمكن أن يحدث ما دام لك شعب محب، ومخلص، وعلى استعداد للتضحية في سبيل علاك. وإن أجدادنا الذين دافعوا عن الوطن قديمًا وسطر التاريخ أعمالهم هذه بسطور من نور هم قدوتنا اليوم، وهم الذين نسير على هدى أعمالهم التي أدت إلى ظهور وطن شامخ هو الكويت الغالية:

وطـنــي الـكـويـت مـلـكـت قـلـبـي كُـلـهُ
فـاحـكـمْ بمـا تـهـوى فـأنـت مُـحَـكّـمُ
تَـبـتْ يــدا مــن لا يــريــدك عــالـيًـا
أرواحُــــنــــا فــــوق الأكــــفِّ تُــقَــدَّمُ
كـــم دافــــع الأجـــــدادُ عــنــك بــقــوةٍ
إنـــا عـــلـــى أرواحـــهـــم نــتــرحّــمُ

إنها مشاعر جياشة بمحبة الوطن، والوفاء له، والحرص على استقلاله ورُقِيه.

بدأ الشاعر عبدالرزاق العسكر في كتابة المقالات وإرسالها إلى الصحف منذ سنة ١٩٧٨م، وفي السنة ذاتها قام بنشر شعره أولًا بين أصدقائه ثم أرسل منه إلى الصحف فصارت تداوم على نشره.

وفي مجال العمل كان أول عمل له في دائرة التموين التابعة لإدارة المالية في سنة ١٩٤٦م. ثم صار مختارًا لمنطقة النقرة في سنة ١٩٧٠م، بعدها التحق ببنك التسليف والادخار عضوًا في مجلس إدارته وتدرج حتى صار رئيسًا لمجلس الإدارة في هذا البنك. وقد مارس الأعمال الحرة في ذلك الوقت.

في سنة ١٩٧٩م انتخب عضوًا في مجلس إدارة جمعية النزهة التعاونية، ثم صار رئيسًا لمجلس الإدارة بها، وهو عضو في جمعية الصحافيين الكويتية.

بقي دائبًا على العمل بطرفيه الخاص، وشبه الرسمي كما رأينا، واستمر في إشباع رغبته في الكتابة شعرًا ونثرًا. ثم بدأ المرض يتسلل إلى جسمه إلى أن فقد المقاومة فتوفي في سنة ٢٠١٥م.

الشاعر عبدالرزاق عبدالعزيز العسكر ابن وطن بحري، عاش أهله على ممارسة الأعمال المتعلقة بهذا الكائن الكبير الذي يحيط ببلدهم من جانبين هما الشمال والشرق، وكان لابد من أن يُعجَب بما قد أعجب به آباؤه الأولون فأنس إلى البحر، وسعى إليه، وركبه، واطمأن إليه وخافه على نفسه. سعد به كائنًا هادئًا، وهابه مزمجرًا شديد الموج تلعب به الرياح فتؤثر بذلك على سلامة السفن ومن عليها.

كان جالسًا على شاطئ البحر حين أخذ يناجيه ويذكر ما يقدمه للناس من خيرات، وما فيه عندما تشتد أمواجه من مخاوف. فقال هذه الأبيات المعبرة عن اللحظة التي كان فيها، والشارحة لتجارب مرت به أو سمع بها عن هذا المخلوق العظيم، فقال:

جلستُ على الشاطي وأرسلت ناظري

إلى البحر أشكو ما أَلَمّ بخاطري

وقـلـتُ لـه يـا بـحـرُ مـا لـك صـامـتٌ

وأنــت الــذي كـم فـيـك سـرٍّ لـغـابـر

وكــم فـيـك مـن عـمـرٍ مـديـدٍ قـصـمـتَـهُ

تـركـت ثـكـالـى دمـعـهـم بـالمحـاجـر

وكــم فـيـك مــن درٍّ جـمـيـلٍ تـركـتـهُ

يُــزَيِّــنُ أجــيــادًا ويـحـلـو لـنـاظـر

وكــم فـيـكَ مـن خـيـرٍ كـثـيـرٍ لـطـارقٍ

وكــم فـيـك مـن صـيـدٍ وفـيـرٍ لـصـابـر

إذا مـا ركـبـنـا فـيـك والجـوُّ سـاكـنٌ

فـتـلـك لَـعَـمـري راحـــةٌ لـلـمـسـافـر

سـفـينٌ تـهـادى فـوق سـطـحـكَ تـارةً

وأخـــرى تـهـاوت بـيـن كـسـرٍ وغـائـر

إذا مـا تَـعَـالَـى المـوجُ منك وواصـلـتْ

سـمـاء بـبـرقٍ ثـم جـادتْ بـمـاطـر

وَأظْـلَـمـتِ الـدنـيـا وزاغــت عـيـونـنـا

دَعـونـا الــذي يُـرجـى لـدرء المخـاطـر

ســأودعُ سـري فـيـك مـن غـيـر خـشـيـةٍ

و أنـت الــذي أهـديـك حـقًّـا مـشـاعـري

لأنــك ذو غـــورٍ بـعـيـدٍ وسـاحـقٍ

فـسـبـحـان مـن ســوّاك ربّ الـبـصـائـر

فـقـال وصــوت المــوج يـحـكـي كـلامـه

ويـكـسـو الـشـواطـيَ مــاؤه بـتـنـاثـر

أنـــا الـــسـرُّ عـنـدي لا يـطـال لأنـنـي
عـمـيـقُ الـحـشـايـا لا تـطـال سـرائـري
فـكـم مـن مـحـبٍّ نـام حـولـيَ يـشـتـكـي
ومـن كــان لا يـشـكـو فـلـيـس بـشـاعـر
فـاسـمـعْ شـكـواه واكـتـمْ سـرَّهُ
وتـلـك لَـعَـمـري شـيـمـةُ لـلأكـابـر

هذا هو الشاعر عبدالرزاق العسكر، الذي أسعدنا إنسانًا وصديقًا وشاعرًا معبّرًا. وتغنّى بأنواع من الموضوعات الشعرية بما في ذلك الغناء للوطن، رحمه الله رحمة واسعة.

****

١٠ - زين العابدين بن الحاج حسن

الشاعر الكويتي زين العابدين بن الحاج حسن من شعراء الكويت القدماء. كان يقول الشعر منذ أيام حكم الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦ - ١٩١٥م) وله قصائد طويلة متعددة في مدح الشيخ والثناء على أعماله. ولعل من أبرز قصائده هذه التي لم نر غيرها في موضوعها، ذلك أنه ورد في كتاب: «الآيات الصباح في مدائح الشيخ مبارك الصباح» تنويهًا عنها، فقال: إن موضوع هذه القصيدة هو تهنئة للشيخ بالسيارة التي أهديت إليه في سنة ١٩١٢م، وهي أول سيارة من نوعها تدب على أرض الكويت. وعنها كتب عبدالمسيح الأنطاكي جامع الكتاب المذكور ما يلي:

«استحضر سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك الصباح المفخم سيارة لركوبه، فأنشأ الشاعر الأديب الحاج زين العابدين الكويتي قصيدة في وصفها، وَتَخلَّصَ فيها إلى مدح سمو الشيخ».

ومطلع القصيدة يقول:

أرى الأرضين ترجُفُ بارتعاد
إذا صهلت ومالت للطرادِ

وفيها عن السيارة:

وَهَيّأَ من غريب الجنس شكلا
تَعَجَّبَ منه لب ذوي السدادِ

يُــحـــرّكـــه بُـــخـــارٌ فـيـــه يـقـوى
وَطِـــيـــسُ الـــنــار مــنــه عـلــى اتّــقــادِ
فــيـطـوي الأرضَ فــي سـيـرٍ حـثـيـثٍ
ويــذهــل مــنــه عــقــل ذوي الــرشــادِ

إلى آخر ما قال. وحسبه أنه الوحيد من بين شعرائنا - فيما أعرف - الذي تحدث عن هذه السيارة بالذات يوم وصلت إلى الكويت ورآها تسير في طُرُقها.

قام الشاعر ملا زين العابدين بن حسن باقر بكتابة قصائد كثيرة عبر من خلالها عن مشاعره، ورصد بها حركة الحياة في المنطقة كلها بما في ذلك التذكير برجال السياسة في هذه المنطقة، فجاء شعره صورة جيدة توضح كل ما تحدث عنه من أحداث، وكل ما وصفه من مشاهد وأماكن. ولقد كان له إلى جانب شعره مقدار لا بأس به من المؤلفات.

والشاعر الكويتي ملا زين العابدين متمكن من كتابة الشعر باللغتين العربية والفارسية، ولذلك فقد أطلق على نفسه لقبًا هو: ذو الرئاستين.

ولم يكن الشعر في العصر الذي نشأ فيه الملا زين العابدين شعرًا متميزًا بالجودة والإتقان. ولم يكن يقدم لقرائه ما يثير فيهم الهمة. ويقيم فيهم حاسة التذوق، وكان ما يقوله من شعر إنما هو من النوع السائد في ذلك الوقت، وكان مستمعوه يتقبلونه. ويستمعون إليه على ما فيه من نواقص. والواقع أن الأساليب العصرية الراقية في الشعر لم تعد بالشعر إلى مكانته، ولا بالشعراء إلى المستوى المطلوب إلا بعد ظهور الشاعر المشهور محمود سامي البارودي الذي ولد في مصر في سنة ١٨٣٩م، وتوفي بها في سنة ١٩٠٤م، ولكن هذه

النهضة الشعرية التي قادها البارودي لم تصل إلى مسقط رأس زين العابدين، ولم يستطع هو الاستفادة منها بسبب صعوبة المواصلات بين البلدان العربية. ولكننا مع ذلك نجد في شعره استعدادًا شعريًا كان يمكن أن يقدم به ما هو أفضل بكثير مما جاءنا من شعره على الرغم من وجوده في عصر أقرب ما يكون إلى عصر ضعف الشعر وتخلفه في الوطن العربي، ولو كانت أصداء النهضة الشعرية في مصر قد وصلت إليه لأنتج لنا إنتاجًا فائق الجودة. وطور من أساليبه تطويرًا كبيرًا.

الملا زين العابدين بن حسن باقر من مواليد سنة ١٨٦٦م، وقد نشأ في أسرة فقيرة لم تتمكن من إتاحة الفرصة له من أجل أن يتعلم كما يفعل أقرانه، ولكنه على الرغم من إقفال الكتاتيب في وجهه كان محبًّا للدراسة راغبًا في التزود من العلم، وبعصامية نادرة استطاع أن يعلم نفسه بنفسه عن طريق الاستفادة من رفاقه وأصحابه، ومن كان يعطف عليه من المدرسين. ثم واصل الاطلاع في الكتب بعد أن تمكّن في قلبه حب مَلَكة القراءة. فصار يبحث عن كل جديد منها، ومع ما كان عليه من فقر كان يتدبر أمره بشراء أمهات كتب اللغة والأدب، ودواوين الشعر، حيث ينكب عليها قارئًا ومنقبًا، دون أن يتردد في سؤال مَنْ عنده بعض العلم من حوله عما يغمض عليه في تلك الكتب.

ومما يروى عن الملا زين العابدين قوله: «فوفْقت بمرور الزمن لمطالعاتي الكتب حتى نظمت القصائد الفرائد على عناوين شتى».

ثم قام هذا الأديب الذي لم يدرس في الكتّاب بافتتاح كتّاب لتعليم الأولاد في حي الميدان بالكويت وهو الحي الذي ولد به ونشأ فيه، وذلك بعد أن وصل

إلى مبلغ من العلم يؤهله لذلك، وكان كتّابه في منزله، وقد درس على يديه عدد كبير من التلاميذ صار منهم عدد من الأدباء والأعيان، وكان في الوقت نفسه ينظم الشعر ويمتدح المسؤولين لكسب عيشه، وكانت حاجته إلى المال هي السبب في إغراقه في المديح، وهو لا يُخفي ذلك حيث يقول: «إن سبب رغبتي في الشعر ونظمه أني اتخذته لاكتساب المعيشة، وأداء الواجب من النفقة للأهل». وقد دفعه ذلك إلى الرحلة خارج الكويت، وزيارة المسؤولين في عدد من البلدان المجاورة رغبة في الحصول على دعمهم، وكان ممن امتدحه في هذا الشعر الشيخ مبارك الصباح والملك عبدالعزيز آل سعود.

كان الملا زين العابدين فنانًا يجيد الخط، ويكتبه في صورة تلفت الأنظار، وكان مؤلفًا له ما يزيد على الأربعين مؤلفًا ضاع أكثرها ولم يصل منها إلا القليل، وقد توفي في وطنه سنة ١٩٥٠م.

وهكذا ترى أن هذا الرجل وقد كافح حتى توصل إلى ما يريد من دراسة، وذلك بسبب إصراره على أن يكون متمكنًا من العلم، ومن قول الشعر، فكان له ما أراد وترك وراءه ما يلي:

١ – ديوان شعري بعنوان كوكبة السعودية، وقد نشرته دارة الملك عبدالعزيز في الرياض في سنة ٢٠٠٤م، وقد أسعدني أن قمت بقراءته والتعليق عليه.

٢ – روضة العارفين وهو ديوان شعر به مدائح نبوية، ومدائح في آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يحتوي على مدائح لآخرين منهم الشيخ مبارك الصباح والملك عبدالعزيز آل سعود وغيرهما، وهو مطبوع.

٣ – موعظة الرجال: وهو كتيب صغير يحتوي على بعض المواعظ، والتذكير بالواجبات الدينية.

٤ – ديوان منهج الذاكرين، وهو مطبوع.

هذه معلومات مختصرة عن حياة الشاعر ملا زين العابدين الكويتي وشعره، نذكرها تمهيدًا للاختيار الذي سوف نقدمه هنا من شعره، وفقًا للطريقة التي سرنا عليها مع غيره من الشعراء.

وهذه هي الأبيات التي أخذناها من شعر الشاعر الكويتي زين العابدين، وهي مقتطفة من قصيدة وردت في كتاب سبقت لنا الإشارة إليه، وهو «الآيات الصباح في مدائح الشيخ مبارك الصباح الذي جمعه عبدالمسيح الأنطاكي. وقد قدم هذا الأنطاكي للقصيدة التي كتبها الشاعر الكويتي فقال:

«وقال حضرة الشاعر اللبيب الأديب الحاج زين العابدين ابن الحاج حسن باقر جَهْرمي يمتدح الشيخ مبارك الصباح، وذلك عند خروج سموه إلى الصيد على حصانه المسمى «نايف» وكان معه في الخروج أبناؤه الشيوخ»

ولن نُدرج القصيدة كاملة هنا، ولكننا سوف نختار منها ما يناسب المقام. ولقد كانت البداية تتضمن إشارة إلى الموكب الخارج إلى الصيد، وما يحيط به من جلال وعظمة وما يحدثه من ضجيج وإثارة. ثم يبدأ بحديثه إلى قائد هذا الجمع وهو الشيخ مبارك الصباح فيقول:

وأبـو المكـارم مـن تـعـاطـى بـاسـمـه
أهـلُ الـعـلا بمـشـارقٍ ومـغـاربِ
ذاك الـهـمـامُ مـبـاركُ ابـنُ الصَّـبـا
حِ المـرتجـى الأسـنـى الـعـزيـز مـراتِـبِ

مـن ذاع فـي الأمـصـار صـيـتُ جلالـه
وعـــلا لــه ذكـــرٌ بـــكـــلِّ جـوانـبِ
بـاحـتْ بـذكـر وفـائـه الأدَبـــا فـلـم
تحـصـرْ لــه فــخـرًا بـكـلِّ مـذاهـبِ
مـا نـال منـهـم مـن عُـلاه خـصـائـصًا
كـــلاّ، ولا شــامــوا لــه بمـعـايـبِ
مــاذا أقــول بـشـأنِ مـن مَـلَـك الـعُـلا
وأشـــاد مـجـدًا لـيـس عـنـه بـعـازبِ
نـشـرتْ عـلـيـه المـكـرمـاتُ لـواءَهَـا
بـالـفـتـح والـنـصـر المـبـين الـواجِـبِ

هذا هو الوصف الذي أطلقه الشاعر على الشيخ مبارك الصباح، وهو وصف يدل على مكانة الشيخ في نفس الشاعر، وعلى يقين قائل هذا الشعر بأن الشيخ يستحق كل تكريم وانه فوق كل وصف، وليس لنا أن نختار أكثر من هذه الأبيات السبعة حتى لا نطيل، ولأن ما اخترناه من القصيدة فيه الدلالة الكافية على ما نريد.

****

١١ – عبدالعزيز العندليب

في أواخر سنة ٢٠٠٣م فقدت الكويت أحد أبنائها المحبين لها ولأهلها. ذلك هو الشاعر عبدالعزيز العندليب الذي تميز شعره بمتابعة شؤون الحياة، وبالتعبير عن كل ما يدور في الوطن من أحداث، ومما يدل على ذلك ديوانه الذي خصصه للإشادة بشهداء الكويت، فعبّر عن رثائه لهم، وتمنى لهم الرحمة والمغفرة. وقد اطلع أهالي الشهداء، وكل أهل الكويت على ما كتب في هذا الحقل حيث إنه كان ينشر القصائد مفردة في الصحف المحلية فتجد متابعة قوية من القراء. وليس هذا هو مجمل شعره فإن له من الشعر الشيء الكثير في أغراض مُتنوِّعة. وكانت له قصائد خاصة في مختلف أغراض الشعر. وكانت له قصائد خاصة في مديح آل بيت الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكرام، كما كانت له قصائد وطنية، ينصح فيها أبناء الوطن بالحرص على التكاتف والتعاون وعلى أن يعيشوا إخوانًا كما كان آباؤهم من قبل.

أعرف الأستاذ عبدالعزيز العندليب رحمه الله منذ كان طالبًا يدرس بالقاهرة وكنت هناك في ذلك الوقت للغرض نفسه. وكان يحظى بحب زملائه لما يجدون فيه من حسن الأخلاق ومن التواضع، والرغبة الصادقة في طلب العلم، وكان يشاركهم في رحلاتهم ومختلف أنشطتهم، وكنت أراه في بيت الكويت متحدثًا إلى الجميع، متوجهًا إليهم بروحٍ مُحِبَّةٍ ونفس راضية. وعندما عدنا إلى بلادنا لم

تنقطع صلتي به بل ازدادت وثوقًا، وصرت ألتقي به بين آن وآخر. ومما أسعدني أنه مع مرور الأيام لم يعد صديقي وحدي، بل صار صديقًا لأصدقائي، وكنا نشعر بالسعادة حين يزورنا في ديوانية الثلاثاء فيتحدث إلينا عن تجاربه، ويلقي علينا بعض قصائده. ولقد كان يحب العلم وأهله وتتوق نفسه إلى سماع الشعر الجيد، وكانت ديوانية الثلاثاء لا تبخل عليه بشيء من ذلك فهي تحقق رغبته وتملأ نفسه سرورًا وكان الحاضرون يُكنون له كل تقدير واحترام. وكان بطبعه حريصًا على طلب العلم لا تشبع رغبته منه أبدًا ولذا فقد نال عدة شهادات جامعية. وكانت مخايل الفهم والتوجه العلمي والشعري تبدو عليه منذ صغره، فقد وجدناه وهو في السادسة عشرة من عمره يلقي قصيدة في الحفل الذي أقيم بمسجد السوق بمناسبة المولد النبوي الشريف. وفي سنة ١٩٧٧م ألقى قصيدة أخرى ولكنها هذه المرة بمناسبة الهجرة النبوية المباركة وكان الإلقاء - أيضًا - في مسجد السوق ضمن الحفل الذي أقامته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد أورد في هذه لقصيدة نفحات ذات طابع سياسي يشير بها إلى الواقع الذي كانت البلاد تعيشه يومذاك. وهو بهذا ينصح، ويدعو إلى أن يسود الوفاق بين جميع المواطنين:

لقد جاءنا فكر عقيم نتاجهُ

لكل مُغيرٍ في الضلال ومُنْجِدِ

ومن هنا ينطلق إلى مخاطبة أولياء الأمر قائلًا:

إليكم ولاة الأمر بعض خواطري

عن الوضع أبديها بكُل تجرّدِ

أرى في بلادي كل يوم عظيمة

يبيت لها فكري بطرفٍ مُسَّهدِ

وهو – أيضًا – يدعو إلى اتساع الصدور للنقد البريء الذي يقصد به صاحبه الإصلاح، فإن الاستماع إليه والأخذ به يزيل كثيرًا من المشكلات التي قد تضر البلاد:

فـلا تُـغـلـقـوا لـلـنـقد بـابًـا، وقَـــدّروا
ذوي الـفـكـر إن جـــاؤوا بـــرأي مُـسَـدّدِ
فـمـا مــن رقـــي فــي الــبــلاد ونـهـضـة
بـشـيء ســوى الـنـقـد الـنـزيـه المـجـردِ
خـذوا الـحـزم منـهاجًا ولا تَـسمعوا به
كـــلامَ عـــذولٍ أو مـــقـــال مُـفَـنـدِ

ثم يقول:

بـــلادي وقـــاكِ الـلـــه كــل بـلـيـةٍ
بـــلادي حـمــاك الـلــه مــن كــل مـعـتـدِ

هذا هو الطريق الذي سلكه في حياته فهو مهتم بكسب الأصدقاء والخلان، وهو حريص على أن يكون متوازنًا في فكره معتدلًا فيه. وهو – كذلك – حريص على أن يكون شعره معبرًا عن شخصيته المحبة للوطن وللناس، التي تسعى إلى إشاعة الصفاء والائتلاف بين أبناء الكويت جميعًا، فهو يعرف تمامًا ما نعرفه من شعره أن الصفاء حين يسود بين الناس فإن نتيجة ذلك سوف تكون استقرار الأمور، وتقدم الوطن، ودحر الأعداء. وهذه الصفات الحسنة التي تميز بها أخونا عبدالعزيز العندليب هي التي أكسبته محبة الناس جميعًا وجعلت له أكبر قدر من الأصدقاء المخلصين الذين كانوا يحرصون على حضور المجالس التي يتحدث فيها شعرًا أو نثرًا.

وبعد، فإنَّ الاختيار من شعر هذا الشاعر أمر صعب فهو غزير الإنتاج متنوع الموضوعات، فلا نستطيع أن نُقدّمَ بالاختيار قصيدة على أخرى وبخاصة تلك القصائد التي كتبها في مديح آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد نالهم منه – رضي الله عنهم وأرضاهم – الشيء الكثير من المدائح الشعرية التي فاضت من قريحته الثرة. ومع ذلك فإن الاختيار من بين هذه المجموعة النَّضِرةِ الجميلة من الصعوبة بمكان حتى لا يجري تفضيل البعض على البعض الآخر في ميدان المديح.

ولكننا نلجأ إلى أمر دنيوي هو موضوع قصيدة نختارها لإثباتها في حماسة الكويت التي نقدمها، ومن أجل ذلك فإننا نعيد التذكير بالعلاقة الطيبة التي كانت تربط المرحوم الشاعر بديوانية الثلاثاء، وكان يحرص على زيارتها لأنه محبوب فيها، وهو يحب روادها . ولقد أبدع قصيدة ذكر فيها هذه الديوانية وأشاد ببعض الحاضرين فيها يوم أن كتب قصيدته، وهي بعنوان: «تحية»، وقد كتبها في اليوم الرابع من شهر أكتوبر لسنة ١٩٩٥م. وفيها يقول:

أدرها دهاقًا مِلؤُها الخيرُ والنُعمى
فإن ب (ديوان الغنيم) لنا غُنْما
فللهِ دارٌ قد سَما قدرُها كما
سَما شأن أهليها ذوي الخُلُقِ الأسمى
وأنعِمْ به من مجلسٍ لأفاضلٍ
كِرامٍ غَدا كسب العلومِ لهم همّا
ومنزلِ عرفانٍ ومَهدِ ثقافةٍ
قد استجمع الآداب والدينَ والفهما

أذا جـئـتـهُ ألـفـيـتَ فـيـه أمـاجـدًا

تـرى كـلّ فـردٍ فـي سـمـاءِ الـعُـلـى نَجـمـا

وأسـتـاذنـا(عـبـدالـحـمـيـدِ) يـزيـدُنـا

بمـا قـد حـبـاهُ الـلـهُ مـن فضله عِـلمـا

وكـانـت لـه بـالأمـسِ فـي الجـمـعِ جـولـةٌ

مـع «المـتـنـبـي» فـي قـصـائده الـعَـصـمـا

أبـو الـطـيـبُ الـفـحـلُ الـذي عَـزَّ نِـدُّهُ

ونـالَ بـدُنـيـا الـشـعـر رُتـبـتَـهـا الـعظمى

وحـسـبُـك مـنـه قـولـهُ فـي قـصـيـدةٍ

(لـكـان أبـاك الـضـخـمَ كـونـك لـي أمـا)

ومـاذا تـرانـي واصـفًـا مـن كـلامـه

أمـضـمـونَـهُ المـخـتـارَ أم لـفـظـهُ الـفَـخْـمـا

هـو الـشـعـرُ حـقًـا لا تـفـاهـاتُ زُمـرةٍ

يـقـولـون مـا لـلـذوقِ يـسـتـوجِـبُ الـسُّـقـمـا

ولـيـس لـهـم بـالـضـادِ أدنـى عِـلاقـةٍ

ولا يـعـرفـون الـفـتـحَ والـكـسـرَ والـضـمـا

ونِـعْـمَ (أبـو أوس) ولـلـهِ دَرهُ

(أبـو يـوسـفٍ) والـفـضـل شـأنـهـمـا دَومـا

كـذاك (أبـو عـيـسـى).. وبـورك فـيـهـمـو

وحـيـاهـم الـبـاري وأولاهُـمُ الـنـعـمـى

وصـلـى عـلـى خـيـر الأنـامِ وآلـهِ

وأصـحـابـهِ مـا شـاعـرٌ أبـدعَ الـنـظـمـا

(الأسماء الواردة: عبدالحميد: هو الأستاذ عبدالحميد البسيوني، وأبو أوس هو كاتب هذا المقال، وأبو يوسف: الدكتور عبدالله يوسف الغنيم، وأبو عيسى: الدكتور مرزوق يوسف الغنيم).

ومن الملاحظ أنه كان يشير إلى موضوع الجلسة التي حضرها، وكان الحديث فيها يدور حول الشاعر أبي الطيب المتنبي، وقصيدته التي كان مطلعها:

ألا لا أُري الأيـــام حـمـدًا ولا ذمًّـا
فـمـا بَـطْشُـهـا جـهـلاً ولا كَـفُّـهـا حِـلـمـا

وأما باقي البيت الذي أورد شاعرنا عجزه فهو:

ولــو لــم تـكـونـي بـنـتَ أكـــرمِ والـــدٍ
لـكـان أبـــاكِ الـضـخـمَ كـونُـكِ لـي أُمّـا

وكان أبو الطيب يرثي في قصيدته هذه جدته.

****

١٢ - أحمد خالد عبدالله المشاري

يستمر حديثنا هنا عن الشعر الكويتي، الذي نختار منه ما يروق لنا من أبيات معبرة عن قدرة شعراء وطننا على قول الشعر والإبداع فيه. ولقد قدمنا فيما سبق نماذج جيدة لذلك الشعر، ونحن الآن نسعى إلى تقديم المزيد منه.

من هؤلاء الشعراء الذين ينبغي أن نتحدث عنهم، وأن نختار من شعرهم شاعر قوي الشعر له دور في النهضة الثقافية والحركة الشعرية في البلاد. وقد كان من ضمن أولئك الأدباء الذين تحدث عنهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت، وأبدى اعتزازه بهم، وقدم نماذج من أشعارهم.

هذا الشاعر الذي نقدمه هنا هو أحمد خالد عبدالله المشاري، وهو شاعر جيد الشعر متنوع الموضوعات، وله دور بارز بين شعراء عصره الذين لهم علاقة قوية به وعلى الأخص منهم شاعر الكويت صقر الشبيب، الذي كان يتبادل معه الأشعار ويبثه مكنونات نفسِهِ بين وقت وآخر.

وفي ديوان صقر الشبيب ثلاث قصائد ذات علاقة بالشاعر أحمد المشاري، أولها قصيدة أرسلها إليه صقر وكان صاحبه مقيمًا في قرية الفنطاس، بمزرعة له هناك. وذلك لأنه كان يرتاح فيها إثر وعكة صحية أصابته. فكتب إليه صقر متشوقًا إلى لقائه، ذامًا البعد في المسافة الذي يفرق بين الصديقين ويمنع تلاقيهما، يقول:

مـا كـنـتُ أحـسَـبُ قـريـةً لجمـالـها
تُـنـسـي الـحـبـيـبَ مـحـبـةَ لـلـنَّـاسِ
حـتـى نـسـيـتَ الـيـوم مـنـي ذاكــرًا
لمـا اجـتـلـيـت مـحـاسـن الـفـنـطـاس

وعندما كان الشاعر أحمد المشاري في مدينة بومبي الهندية في سنة ١٣٣٩ه‍ (١٩٢٠م)؛ أرسل صقر الشبيب إليه قصيدة يتشوق فيها إلى لقائه، ويتوق إلى السفر إليه فيقول:

إلـيـكَ الـشـوقُ الـزَمَـنـي الـوِصـالا
وكــان إلـيـك يـسـعـى بـي خـيـالا
لأن طـويـلَ سُـقْـمـي قـد ثَـنـانـي
خـيـالًا أو لـلـيـلـتـهِ هِـلالا
فَـلـوْ يـا أحـمـد الـعـلـيـاء ترنـو
إلــيَّ لخـلـتَ جُـثـمـاني خِـلالا

ثم يستمر في الحديث عن عجزه، وعدم قدرته على تحمل مشاق السفر، وبخاصة البعيد منه. وهو في الوقت نفسه يزداد شوقًا إلى صاحبه ويتطلع إلى الساعة التي يلقاه فيها.

ويواصل بعد ذلك كيل المدائح الكثيرة لأحمد المشاري الذي يراه الشاعر موضع أنظار الأصحاب، وإليه يتجه السامعون:

وإن صَـدِئـتْ عـقـولٌ مـن حـديـثٍ
غـدا مـنـه الـحـديـثُ لـهـا صِـقـالا
بِـجَـدْعِ الأنـف يـهـوى سـامـعـوهُ
إذا اخـتـصَـرَ المـقـالـةَ لـو أطـالا

وكعادة صقر الشبيب في قصائده، فقد جاءت قصيدته هذه مطولة شارحة شوقه إلى صاحبه معبرة عن أمنيته في أن يلقاه.

وقد اطّلع أحمد المشاري على قصيدة صقر الشبيب وأعجب بها وسَره أن تكون له في نفس صاحبه هذه المكانة التي تدفع به إلى قول هذا الشعر الجميل، فلم يتمالك نفسه أن رد عليه قائلًا:

سلامٌ كوصلِ الحبّ للوالهِ الصبِّ
و إلا كرشفٍ من لَمىً ثغرهِ العذبِ
تحية مشتاق إلى خير صاحبٍ
خلائقُهُ تذكو على المندل الرطْبِ
أيا صقرُ أشجيتَ الفؤادَ وزدتَ في
تَبَارِيحِ شوقٍ أذْكت النار في قلبي
فما أنا من يجفو على البعد خِلّهُ
ويُومِقُهُ إن كان منه على قربِ

وفي هذه الأثناء من القصيدة يذكر المشاري صديقًا له جفاه، وتوقف عن الاتصال به على الرغم مما كان بينهما من المودة والقرب فقال:

وكم صاحبٍ نبهته من جفائه
فضاع، وما أجدى، وقد زاد في كَرْبي
فَأَخْتَلِقُ الأعذارَ للنفس دونَهُ
وإن كنتُ مظلومًا أكنْ حاملَ الذنب

ولقد أورد الشيخ عبدالعزيز الرشيد كثيرًا من أشعار هذا الشاعر، وعبر عن علاقته الطيبة به، كما أعرب عن استغرابه لقول الشاعر: «وكم صاحب نبهته»

إذ أحس أنه المقصود بذلك. وأن المشاري يشكوه إلى صقر الشبيب مدعيًا أن صاحبَهُ الرشيد قد جفاه، وصار لا يقيم للعلاقة التي كانت قائمة بينهما أي وزن. فعلق على ذلك في كتابه «تاريخ الكويت» قائلًا:

«يعني حضرة شاعرنا الرقيق بقوله «وكم صاحب» كاتب هذه الأسطر، وما كنت وأيم الحق لأجفو ذلك الخل الصفي، ولا أسلوه، وكيف وقد ملك القلب بلطفه وأخلاقه الزهر التي كان يقابل بها الجفاء والتقصير بالصفح والتجاوز. ولهذا أشرت بقصيدة قدمتها إلى حضرته في بومبي جوابًا على أبيات تفضل بها عليَّ في الكويت»، وذكر الرشيد بعضًا من أبيات قصيدته، وهي قوله:

أنســـمـــةَ الـــصـــبـــح هُـــبّـــي
عـــلـــى الـــقـــلـــوب الـــشـــجـــيـــهْ
لَـــتُـــبْـــعـــدي الـــضـــرّ عـــنـــي
مـــن وحـــشـــة أحـــمـــديّـــهْ
يـــا أيـــهـــا الـــشـــهـــم إنـــي
مـــن الـــنـــوى فـــي بـــلـــيّـــهْ
فـــادمـــعـــي مـــرســـلات
وأضـــلـــعـــي كـــالـــحـــنـــيّـــهْ

إلى آخرها...

و أحمد خالد عبدالله المشاري - كما ذكرنا آنفًا - من شعراء الكويت الذين كان لهم أثر في مجال الشعر والأدب. وهو على علاقات مع شعراء عصره وبخاصة شاعر الكويت صقر الشبيب وهذا هو ما مر بنا عند الحديث عن مراسلاتها الشعرية. وقد عاش الشاعر المشاري محبوبًا بين زملائه، متميزًا

بشعره الذي يعبر فيه عن حرية رأيه وعدم تردده في قول كلمة الحق ، وكان بريئًا من الكبرياء، ومن أعماله أنه كان كريمًا محبًا لعمل الخير طول حياته.

ولد في سنة ١٨٨٦م، وكان مشاركًا في كثير من الأعمال في البلاد، فأدى واجبه تجاه وطنه أكملَ أداء. وقد تَنَقل بين عدد من البلدان من أجل العمل، ولقد كان في الهند آخر أمره وأمضى بها سنين طويلة كان يعمل - خلالها - لدى مكتب من المكاتب الكويتية العاملة في بومبي.

وعندما عاد إلى الكويت كان قد اكتسب خبرة كبيرة وطويلة في الحياة، وكانت الجهات الحكومية تأمل منه خيرًا، وترى في مشاركته مصلحة وطنية كبيرة. وهو من جانبه لم يتردد في المشاركة فيما دعى إلى القيام به من أعمال عامة، ولقد أسندت إليه بالفعل عضوية مجلس دائرة معارف الكويت في سنة ١٩٣٦م، وهذا هو أول مجلس من نوعه يقام في البلاد. وفي سنة ١٩٤٢م تأسست دائرة الصحة العامة فتم اختياره عضوًا في مجلس إدارتها. وقد كان قبل ذلك عضوًا في المجلس البلدي في سنة ١٩٣٨م. وحسبه هذه الأعمال التي تولاها دليلًا على الثقة به وبقدراته العملية.

وكان اختياره لهذه المجالس مما يؤكد الاطمئنان إلى خبرته في الأعمال، ولذا فقد اطمأن الذين اختاروه كثيرًا وعرفوا مدى إجادته لعمله وحرصه عليه.

توفى أحمد خالد المشاري في سنة ١٩٤٢م، وهي السنة التي عين في بدايتها عضوًا في مجلس دائرة الصحة العامة، وهذا - في حد ذاته - يدل على أنه كان يعمل إلى آخر أيام حياته.

بلغ من إعجاب الشيخ عبدالعزيز الرشيد بالشاعر المشاري أن كتب عنوان الموضوع الخاص به في كتاب «تاريخ الكويت» كما يلي: «الشاعر الأخلاقي

الفاضل الألمعي أحمد بن خالد المشاري «وأورد له عدة قصائد أولاها هي التي نختارها هما، وهي قصيدة بعنوان: حث واستنهاض. وفيها دعوة لطلاب العلم يحثهم فيها على التشمير لتلقي المعارف، وطرح الكسل، وقبول النصح الصالح من الذين يضمرون لهم المحبة ويبادلونهم حبًا بحب. ويبين أن العلم هو الدواء لجروح الجهل التي تؤخر الإنسان عن اللحاق بالركب الجاد في طريق التقدم، ولذا فإن فتى العلم لابد وأن يُوقظ النيام الذين غلبهم النوم ويحثهم على التحرك إلى النهج السليم. ويؤكد أن العلم لا مزية له، ولا نفع يرتجى من ورائه إذا كُتم في الصدور، ولكنه يأتي بنتائج باهرة إذا تولى حامله مسؤولية نشره والتبشير به والحث على الاستزادة منه.

هذا ما قاله في بداية قصيدته، ثم قال:

وَدَعْ عنك أقوامًا بها ضل سعيهم
فما دأبهم غير الغواية والخترِ
وترديد أقوال السفاهة جهرة
كَأنْ لم يعوا ما في الكتاب من الأمر
كذلك أقوام به تاه رشدهم
وأسكرهم مس الرضاب من الثغرِ
فأنساهُمُ ما قد وعوه من الهدى
وزجّهُمُ في منهج البغي والخُسْرِ
ودع عنك أقوامًا بها جُلُ قصدهم
مكاسب جاءت بالخيانة والغدرِ
كنوز حووها من رباء وخِلسةٍ
وغدر ضعيفٍ الجؤُوهُ إلى العسرِ

ثم يضيف:

فتى العلم دعهمْ فالغباوة شأنهم
وليس غبي في المَلاَ مثلَ من يدري

وَعَرّجْ بها نحو الشبيبة إنها
لخير دعاءٍ أُودعتْ غاليَ الدرِّ

هناك تجد لوح السريرة طاهرًا
فنضد به ما شِئتَ من غُررٍ زُهرِ

(قوله: أقواما بها: يقصد بالكويت، الختر: الخديعة)

هذا نموذج من شعر الشاعر المشاري، وهو نموذج واضح الدلالة على أنه رَجُلٌ وفيٌ لأبناء وطنه حريص على نصحهم، وكم نود، لو أننا استطعنا العثور على كامل شعره.

****

١٣ - أحمد السقاف

نذكر هنا شاعرًا من شعراء الكويت، وأديبًا من أدبائها. كان مهتمًا بمتابعة كل جديد في مضمار الأدب، وكان يحرص على عقد لقاءات له مع الأدباء يتبادل فيها معهم المعلومات، ثم يتناشدون الأشعار.

هذا هو الأستاذ أحمد السقاف الذي عرف بشعره الذي أصدره في ديوان جامع له. وبمؤلفاته الكثيرة في موضوعات أدبية وسياسية وتاريخية متعددة، وله مقالات في الصحف، وكان في سنة ١٩٤٨م قد أصدر مجلة كاظمة، وهي أول مجلة تُطبع وتصدر في الكويت، وكانت ملأى بالمقالات التي تعالج المسائل الاجتماعية والأدبية وغيرها.

كان وكيلًا لوزارة الإعلام، وله دور كبير في إصدار مجلتها الناجحة (العربي) وإصدار مجموعة من كتب التراث العربي المحققة على أيدي عدد من كبار العلماء.

ثم صار نائبًا لرئيس الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بدرجة سفير وذلك في سنة ١٩٦٥م، وبقي في هذا المنصب إلى أن استقال منه في سنة ١٩٩٠م، وكان قد ترك آثارًا حميدة في هذا العمل.

كان حريصًا على المشاركة في كافة الأعمال الاجتماعية، وكان يرى نفسه ملزمًا بألا يتوقف عن أداء واجبه تجاه الأعمال التي ينتظر الناس منه أن يشارك

فيها، ومن ذلك إسهامه في قيام النادي الثقافي القومي، ثم توليه لرئاسة تحرير مجلة (الإيمان). وشارك في رابطة الأدباء الكويتيين، وكان أمينًا عامًا لها حتى سنة ١٩٨٤م، وكان له في الرابطة خلال هذه الفترة نشاط بارز، ولم يتردد في تمثيلها في المؤتمرات التي تعقد في الخارج، ولا في الأسابيع الثقافية التي تقام من أجل التعريف بالأدب الكويتي والثقافة العربية الكويتية، وكان صدى ذلك واسعًا في حينه.

وفي وزارة الإعلام عندما كانت تُسَمى دائرة المطبوعات والنشر أنشأ مطبعة الحكومة التي سدت نقصًا كبيرًا المجال الطباعي، ولم تكن في البلاد قبلها مطبعة تتميز بفن الطباعة الراقي، وقد قامت لزمن طويل بطباعة المطبوعات الحكومية بكافة، والكتب المدرسية بخاصة.

كان الأستاذ أحمد السقاف حريصًا على عمله الرسمي مخلصًا له، وكان يراه رسالة يقوم بأدائها فهو مسؤول عنها، ولا يرضى من عمله إلا بالشيء الأفضل الذي يحسب له، ويُذكر به. وكان لهذا السبب يتشدد في اختيار العاملين معه، لأنه يريد منهم أن يكونوا على منواله في أداء عملهم بالإخلاص الذي أشتُهر به. وكان يريدهم أن يكونوا بعيدين عن النقد يرضى عنهم كافة المتعاملين مع الجهة التي يعملون فيها بقيادته.

واستمر في كتابة الأعمال الأدبية الخاصة به ونشرها إلى آخر أيام حياته، فكان يقول القصائد ويكتب المقالات في الصحف، ويؤلف الكتب في الأمور التي تخطر على باله في موضوعات الفكر والأدب.

وكان شعوره القومي قويًا جدًا، والروح القومية هي المسيطرة عليه منذ نشأته، حتى صارت له بذلك صفة تميزه عن غيره.

وقد حزن كل محبيه حين نُعي إليهم في اليوم الرابع عشر من شهر أغسطس لسنة ٢٠١٠م.

كان محبًا للأدباء والشعراء بخاصة، وكان له اهتمام برعاية الناشئين من محبي الأدب، يدفعهم إلى التقدم وينصح لهم. وكان محبوبًا من أصدقائه جميعًا نذكر منهم الأستاذ الشاعر راشد السيف الذي ذكر الأستاذ السقاف في أكثر من قصيدة من بينها قصيدة ترحيب قالها فيه يوم دعاه إلى العشاء في منزله فقال:

أهـــلاً بـــزائـــرنـــا الأبـــي ومـرحـبـا
بـــالـــســيِّـــد المـــعـــروف بـــالـــســقـــافِ
مـــن خـــيـر بـــيـت لـلـعـروبـة يـنـتـمـي
أكـــرم بـــفـــرع كـــامـــل الأوصـــافِ

ومن دعوات الأستاذ أحمد السقاف لأصدقائه من رجال الأدب هذه الدعوة التي قدمها لهم على العشاء في سنة ١٣٦٥ه (١٩٤٥م)، وأعقبت الوليمة جلسة تبادل فيها الحاضرون شعرهم ونثرهم، وفي تلك الليلة قال الشاعر راشد السيف:

أُلَـــبـــي دعـــوة شَـــحَـــنَـــتْ بـقـلـبـي
مـــن الـــتـــقـــديـــر تـمـــثـــال ادكـــارِ
عـــلـــيـــه خـــطـــت الأخـــــلاق ســـطـــرًا
بِـــكـــفِّ الـــفـــخـــر يُـــفـــهـــم كـــل مـــارِ
لـــهـــذا كـــان تـــقـــديـــري عـــظـــيـــمًـــا
عـــن الـــتـــفـــضـــيـــل أعـــلـــنـــه اخـــتـــصـــاري

إذا ما الشعرُ أطنبَ في ثناءٍ
على (السقاف) صَفقْ للمُباري

وللشاعر السيف قصيدتان غير هاتين وفيهما إطناب في مدح صاحبه الشاعر السقاف وثناء عليه وعلى مبادراته. ولقد كان أستاذنا السقاف يستحق الثناء فهو شعلة من النشاط لنفسه وللوطن وللناس. وقد استعرضنا ما كان يؤديه في هذه المجالات الثلاثة ووجدناه لم يقصر في عمل قام به في حياته، ولم يقتصر على ما يتعلق بشؤون نفسه بل كان يسعى إلى كل ما ينفع، ولا يتردد في بذل الجهد كله في سبيل الرسالة التي حملها وهي رسالة هدفها خدمة المجتمع، وخدمة الأدب والثقافة بصفة عامة، ولم يقتصر عمله على ما نراه بيننا هنا بل هو كثير الأسفار، وفي أسفاره الكثيرة هذه ينشر المعلومات عن الكويت، ويُعرِّف بالأدباء الكويتيين ويُؤلف الكتب التي تصف رحلاته مما جعلنا نحصل من وراء عمله هذا على كنوز أوصلت إلينا معلومات استفدنا منها كثيرًا، وقربت إلينا كل بعيد.

ولنحول اتجاهنا الآن إلى اختيار قصيدة من قصائده التي أشهد أنه قالها بصدق، وإحساس مرهف لا شك فيه. هذه القصيدة قالها في رثاء المرحوم أحمد البشر الرومي، وألقاها في الاحتفال الذي أقامته رابطة الأدباء الكويتيين من أجل تأبين المرحوم.

كان ذلك في سنة ١٩٨٢م، وكان الالتقاء من أجل التأبين في مقر الرابطة المذكورة. وكان عدد الحاضرين كثيرًا، وكلهم يشعر بالأسى لفقد هذا الرجل الذي أغنى حياتنا بما كتبه وبما تحدث عنه. وشارك في كلمات الرثاء الأستاذ أحمد مشاري العدواني، والأستاذ عبدالرزاق البصير،، ووقف الأستاذ أحد السقاف يومذاك مؤبنًا بقصيدة من عيون الشعر عبر فيها عن حزنه الشديد

لفراق هذا الرجل الذي فقدته الكويت كلها. وذكر كثيرًا مما يتعلق بفكره وما جُبل عليه من حب العلم ومتابعته، ثم من الصدق والأمانة، وعدم الرياء والتواضع.

ووسط المشاعر الفياضة جاء الأستاذ أحمد السقاف ليلقي قصيدته التي لفتت الأنظار وعقدت الألسنة، ورددها الناس من بعده ثم نشرها في مجلة البيان ضمن عدد خاص أصدرته عن الفقيد.

لقد شاهدته وهو واقف بادي التأثر ينادي رفيقه منذ البيت الأول بصوت عالٍ وواضح:

أحمد البشر جاء يرثيك أحمدْ
بفؤاد من الفجيعة مُجْهَدْ

جاء يرثيك ليس زُلفَى ولكن
نسبٌ بينه وبينك ممتدْ

لم يزده الخلاف في الرأي إلا
قوة تمسح الخلاف وَتَشْتَدْ

ما افترقنا وإن تراخى لقاءٌ
رُبَّ قُربٍ لصاحب وَهوَ مُبْعَدْ

والقصيدة طويلة تتكون من اثنين وخمسين بيتًا، وهي ذات وزن رصين وقافية ساكنة تشد الانتباه بيتًا بعد بيت. وكان إلقاء الشاعر وحماسه ومشاعره الجياشة كلها تزيد الموقف سموًا وهيبة، وتُضفي على الأبيات جمالًا.

تحدث الأستاذ السقاف عن الأستاذ أحمد البشر بعد أن قدم للقصيدة بالأبيات الأربعة التي سبقت، فألحقها بأبيات يتحدث فيها عن سجايا صاحبه وعلمه وَ حسِّهِ العروبي القومي، فقال:

كنت تبكي على العروبة مِثْلي
ودموعي على دموعك تَشْهَدْ
يا فقيدَ البيان عشت أبيًا
ألفُ طوبى لموضع لك مرقد
ملأ القبرَ من حِجاكَ ضياءُ
أنت في القبر مثلما كنت فَرْقَدْ
والنتاج الرصين إن ثَمَّنُوهُ
فهو بين النتاج تِبْرٌ وعسجدْ
لا يَضُرُّ الأديبَ رأيٌ تَجَنَّى
من رأى مبدعين من غير حُسَدْ
قلمٌ هامَ بالتراث هُيامًا
ثمّ أغفى على عَطَاءٍ مُخَلّدْ
أنت حيٌّ يا أحمد البشر باقٍ
مثلُ من فاز بالبقاء وأزْيَدْ
عارفوا الفضل ما نَسُوا مكرماتٍ
لك أعلى من أن تُمَسَّ وتُجْحَدْ

هذا هو ما اخترناه هنا. ولنا عودة أخرى إلى هذا الموضوع المهم وكيف لا يكون مهمًا وهو يتعلق بعملاقين من عمالقة الفكر عندنا: أحمد البشر الرومي، وأحمد السقاف؟

****

١٤ - أحمد البشر الرومي

ها نحن نعود مرة أخرى إلى حديث الأسى الذي حل بنا يوم وفاة المرحوم أحمد البشر الرومي، ثم نواصل ما بدأناه هناك.

ذلك أنه من الأمور التي أشار إليها الأستاذ السقاف أنه كان يتساءل عن الأمر الذي أدى إلى وفاة صاحبه. وكان أمرًا مفاجئًا تاهت به الأفكار:

أحـمـد الـبـشـر فـجـأةً غـبـتَ عـنّـا
لـمَ فـارقـتَ هـذه الـدار، أحـمـدْ؟
أسـئـمـتَ الـمـقـامَ بـعـد شـتـاتٍ
تـدلـهـمُ الـخـطـوبُ فـيـه وتَـسْـودْ؟
أم وجـدتَ الـرحـيـلَ أفـضـلَ مـن أنْ
تـشـهـد الـعـيـنُ قـدسـنـا تَـتَـهـوّدْ
حَـرمُ الـلـه مـأتمُ وعـويـلُ
رُكَّـعُ فـيـه يُـذْبـحـون وسُـجـدْ

ثم مضى الشاعر وهو يتحدث في قصيدته عن الأوضاع العربية التي تسيطر عليها المأساة الإنسانية التي كانت تحوم على رؤوس أبناء الأمة في ذلك الوقت، وعبر عن الألم لكل ما كان حادثًا، وما هو مُتَوقع حدوثه. وقد أدى به ألمه لذلك، وفجيعته بوفاة أحمد البشر الرومي إلى الشعور باجتماع مأساتين

متزامنتين هما حادثة الوفاة، والوضع الذي لم ير الوطن العربي ما هو أشد منه سوءًا. فقال في ختام القصيدة:

أحمد البشر رحمةٌ وسلامُ
ودعاءٌ على مدى الدهرِ سَرْمَدْ
و ثواءٌ بجنةٍ ليس فيها
غيرُ ما تشتهي وما كان أَرْغَدْ
وعزاءُ الجميع أنا جميعًا
هَدَفٌ للفناء ، والعيشُ ينْفَدْ

وتوقف الشاعر السقاف بعد أن ألقى اثنين وخمسين بيتًا من الشعر الراقي المعبر عن مشاعره الحقيقية تجاه الفقيد، بذلك الصوت العميق الذي كان ينم عن تأثره حين بدأ بقوله:

أحمد البشر جاء يرثيك أحمدْ
بفؤاد من الفجيعة مُجْهَدْ

ولقد شعرنا - يومذاك - بحجم الفجيعة التي كان أستاذنا يشعر بها. وبالإجهاد الذي يسيطر عليه وهو ينشد قصيدته، مما أطال حزننا وأبكانا.

ولقد عَبرْتُ عن شعوري الخاص وأنا أرى هذا المشهد الخطير فقلت: «أما نحن الذين زاملناه جزءًا من حياته، جلسنا معه، واستمعنا إليه، وناقشناه، واستفدنا من علمه، فإننا - مع حزننا - لحريون بالسعادة لأننا عشنا أيامًا مع رجل فيه سمات الرعيل الأول من علماء هذه الأمة الذين سجل التاريخ أسماءهم في سجل الخلود».

ولد أحمد البشر في سنة ١٩٠٥م ، وتوفي في سنة ١٩٨٢م مكملًا السابعة والسبعين من عمره الذي قضاه في خدمة وطنه في شتى المجالات، وقد استنفد

القسم الأكبر من حياته في الدراسة والبحث والاطلاع، وكان قارئًا نهمًا يسعى إلى البحث عن كل جديد في عالم الكتب ولا أكاد ألقاه إلا وهو يبادرني بالسؤال قائلًا: ما الذي صدر من الكتب أخيرًا؟.

كان هذا الأديب حريصًا على تدوين مشاهداته اليومية وحفظها، وهي التدوينات التي جمعتها فيما بعد ضمن كتابي: «أحمد البشر الرومي... قراءة في أوراقه الخاصة» وعلى الرغم من أنها كانت أوراقًا خاصة فإنها كانت تمثل تاريخ الكويت في ذلك الوقت الذي لم يكن فيه من يهتم بمثل هذا التدوين الذي بدت أهميته القصوى فيما بعد.

وكان الأستاذ أحمد البشر صاحب اهتمام بكثير من الأمور التاريخية والتراثية، وقد وردت له كتابات نافعة في هذين المجالين نذكرهما:

١ - كتاب مقالات عن الكويت.

٢ - كتاب معجم المصطلحات البحرية الكويتية.

وله كتاب في المختارات الأدبية التي التقطها خلال قراءاته المستمرة، وهو كتاب:

- سجل الغريب.

وكان للأستاذ الرومي عدد كبير من الأصدقاء مما يترجم حرصه على اكتساب الصداقات والمعارف، ويكفي الاطلاع على فهرس الأسماء في كتاب: «أحمد البشر الرومي... قراءة في أوراقه الخاصة» لنرى العدد الكبير من الناس الذين كانت له صلة بهم وهم الذين نذكر منهم حمد الرجيب، وعبدالرزاق

البصير، ومحمد الفهد، وعدد كبير من الأصدقاء. وعندما كان تحت العلاج في مدينة لندن، وعلى الرغم من الآلام التي كان يكابدها، فإنه يراسل كل هؤلاء بحيث وجدناه يكتب في كل يوم ما لا يقل عن خمس رسائل، ولا ترضى نفسه إلا إذا وضعها شخصيًا في صندوق البريد.

وكان أصدقاؤه يبادلونه محبة بمحبة، ففي يوم الرثاء وقف الأستاذ الشاعر أحمد العدواني فقال كلمة مؤثرة جاء فيها: «تكونت ثقافة أحمد البشر الرومي من رافدين، الأول هو التجربة الحياتية المباشرة، ولقد جرب – رحمه الله – هذه الحياة بحلوها ومرها، وبصحرائها وبحرها. والرافد الآخر هو: الكتاب، فقرأ في كل فن وعلم، من علوم الفلك، إلى علم الحشرات، إلى كتب الثقافة العامة».

وتقدم صديقه المرحوم عبدالرزاق البصير، فقال ضمن كلمته الرثائية: «كان المرحوم أحمد البشر يطرح آراءه من دون تعصب، ومن الناس من يرزقهم الله قدرة على المحبة والاحترام، ومنهم فقيدنا العزيز، فهو لا يكاد يلقى أحدًا حتى تمتلئ نفسه بحبه. وكان أعظم ما يسُرُّ نفسه أن يُنير عقلًا، أو يصقل ذهنًا. وكم من ذِهْنٍ أناره وعقل صقله.

كان الأستاذ أحمد البشر الرومي يقول الشعر في مطلع شبابه، وكان شعره معروفًا ومتداولًا بين أدباء الكويت في ذلك الوقت. وقد ذكره الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت المطبوع سنة ١٩٣٦م، فقال في القسم الأول من الجزء الأول ص ١١٣ حين كان يتحدث عن الصحف: «وللصحف من التأثير في الآراء والأفكار ما لا يجهله إلا كل غر معاند أو جاهل مكابر، ولله در الشاب الفاضل أحمد بن بشر الرومي حيث يقول في منافعها:

إن لـــلـــصُّـــحْـــفِ بـقـلـبـي

مـــنـــزلًا أغـــلـــى نـــزولـــهْ

إنمـــا الـــصـــحـــف كـطـيـرٍ

يـــشـــتـــهـــي الحـــــر هـــديـلـــه

كـــل مـــن شـــاء رُقـــيًّـــا

صـــيّـــر الـــصـــحـــفَ سـبـيـلـه

فـــبـــهـــا خـــيـــر حـــيـــاةٍ

وهـــــيَ لـــلـــعـــلـــم وســيـلـــه

وأورد بعد ذلك في ص ٢١٠ ثلاث مقطوعات إحداها في الهجو والنحو، وفيها:

سَـأُتـعِـبُ فـي دروس الـنـحـو نفسي

وأوذي بـعـد زيـد الـنـحـو عـمْـرهْ

لأصـبـحَ إن أَقُـــلْ هـجـوًا بـشـخـصٍ

تمـــنَّـــى دونـــه المـــهـــجـــوّ قـبـره

ولـــولا أنـــنـــي أخـــشـــى اعـتـراضًـا

عـلـى نـصـب الجـديـر بـــأن أجـره

لأودعـــــت الجـــرائـــدَ كـــل يـــوم

قـصـيـدًا مـخـجـلاً فـي الأفـق بـدره

وثاني المقطوعات في نعي الجمود وأهله والحث على طلب العلوم والمعارف، والثالثة بعنوان: تبكيت لبعض المعتوهين، يرد فيها على بعض الذين يكفرون الناس دون تيقن، فيقول:

فَـــاتْـــركِ الأمـــرَ إلـــى الـــلـــه تُـــرِحْ

نـفـسـكَ الـــيـــومَ مـــن الـــهـــمِّ المـتـين

فـحـسـابُ الـنـاس فـي الحـشـر عـلـى

ربـهـم والـــلـــهُ خـيـرُ الحـاسـبـين

إن من يتتبع مشاركات أحمد البشر الرومي في اللجان المختلفة منذ بدأت مشاركاته في الأعمال العامة يجد له نشاطًا واسعًا في مجالات متعددة، ونريد هنا أن نركز على نشاطه في حفظ ورعاية الفنون الشعبية التي كان من أهم من عُنيَ بها من أبناء الكويت، فحفظها من الضياع بحيث نالت شهرة كبيرة بتسجيله الأغاني التي غناها الفنان الكويتي القديم يوسف البكر، وهي التي لحنها الشاعر الكويتي والفنان المشهور عبدالله محمد الفرج.

ومن اهتمامه في حفظ التراث نذكر له أنه قد أسهم بشكل رسمي في لجنتين من أهم اللجان الحكومية التي أنشئت من أجل حفظ التراث الشعبي، وقام بدوره كاملًا في هاتين اللجنتين، فقدم خبراته، ومعارفه المتعددة، وآراءه التي كانت محل تقدير المشاركين معه وكان ذلك كما يلي:

١ - مشاركته في اللجنة المشرفة على مركز رعاية الفنون الشعبية التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وكان ذلك منذ تأسيس هذا المركز في سنة ١٩٥٦م، ففي ذلك الوقت حرص الأستاذ حمد الرجيب بصفته وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل على أن يقوم هذا المركز بدَور في حفظ التراث الشعبي الكويتي، فهيأ له كل الإمكانات المتيسرة، ووضع له لجنة مشرفة كان فيها أحمد البشر الرومي، وأحمد العدواني، وأحمد باقر، وكان هو شخصيًا كثير التردد على المركز من أجل إعطاء دفعة معنوية للعاملين فيه حتى يتمكن من تحقيق الغرض من إنشائه.

٢ - مشاركته في لجنة التراث الشعبي، وهي لجنة أنشأتها وزارة الإعلام في سنة ١٩٦٤م، وكان وزيرها في ذلك الوقت هو المرحوم الشيخ جابر العلي السالم الصباح، وهو معروف باهتمامه بأمور التراث الشعبي، وله متابعة لهذا الأمر بدت نتائجها واضحة في برامج الإذاعة والتلفزيون، والأنشطة الفنية

الشعبية المصاحبة، وقد وجد أن في تشكيل هذه اللجنة دعمًا لجهوده في مجال النهوض بالحركة الفنية في الكويت بشكل عام، وبحركة الحفاظ على الموروثات الشعبية فيها بشكل خاص.

وبعد ، فهذا مجمل عن الأستاذ أحمد البشر الرومي كان لابد لنا من ذكره بمناسبة اختيارنا من قصيدة الأستاذ أحمد السقاف في رثاء صاحبه.

ولعل من الأفضل أن نختم هذا الذي قلناه منذ البداية بقول الشاعر السقاف، وهو يتألم لحال أمته العربية التي لم تفدها ثرواتها، ولم تمنع عنها الأذى:

إيـــهِ شـعــري إن الـحــديــثَ شـجـون
فــتــمــرّدْ عـلــى الــهــوان تَمــرّدْ
تَـلْـطُـمُ الأفْـــقَ فــي ســمــاء بــلادي
رايـــــةُ لـــلــغــزاةِ تـعــلــو وتمــتــدْ
رفــض الـنـفـط أن يـكـون سـلاحًـا
لـيـتـه فــي الـظــلام أرغـــى وأزْبَـــدْ
دَجـــنُــوه فــصــار كــالمـــاء يـجــري
مُـسـتـكـيـنًـا يُـقَـبّـل الـــرأس والـيـد
والـــبـــلايـــين وَهْــــيَ ثـــــروةُ قـومـي
تحـت رأس الـعـدوّ إمــا تَــوَسّـدْ
هـــو مـنــه يـكـيـل لــلــعُــربِ صـفـعًـا
ويـــنـــمّـــي بـــهـــا ثــــــراءً وَيَـــسْـــعَـــدْ

****

١٥ - علي السبتي

الشاعر الذي نختار من أبياته في هذا الموضع هو شاعر له وزنه في دنيا الشعر الكويتي، عرفته مهتمًا بالشعر معنيًا بالأدب بصورة عامة، له اهتمام بالصحافة في فترة من فترات حياته.

هذا هو الأستاذ علي السبتي الذي شدا بشعره منذ زمن وأنجز أول ما أنجز ديوانه: «بيت من نجوم الصيف»، فصارت لهذا الديوان شهرة بين الأدباء ومُحبي الشعر، وقد صدرت الطبعة الأولى منه في سنة ١٩٦٩م، كما صدرت الطبعة الثانية في سنة ١٩٨٢م.

وإذا كان قد أصدر الطبعة الأولى من ديوانه في سنة ١٩٦٩م، فإنه كان في قول الشعر مُتَقدمًا عن هذا التاريخ، إذ هو ممن برع في هذا الميدان منذ سنة ١٩٥٤م، وكانت له قصائد كثيرة اختار منها ما ورد في ديوانه «بيت من نجوم الصيف» وذلك لأنه لم يُرد أن ينشر كل شعره، بل أحب أن يقدم لقُرائه ما يراه جديرًا بأن يستقبل به الأدباء في أول ديوان يستقبلهم به، واحتفظ لنفسه بأسباب الاختيار، ولكننا - على كل حال - وجدناه موفقًا فيه. فقد كانت اختيارات أبي فراس جيدة، بدليل احتفاظ قرائه بتصور جميل عما ورد في ديوانه من شعر على الرغم من مرور عدة سنوات على صدوره.

كتب الدكتور عبدالله العتيبي مقدمة ضافية للطبعة الثانية التي صدرت للديوان الذي ذكرناه، تناول فيها الحديث عن شعر الشاعر ومميزاته، وتحدث قبلها عن مدى تأثر علي السبتي بالأوضاع العامة التي كانت سائدة في وقت كتابته لقصائده الواردة في الديوان.

ثم تحدث عن الشاعر بصفته شاعرًا كويتيًا فقال: «وشاعرنا الأستاذ علي السبتي صاحب هذه التجربة الرائدة في مسيرة الشعر الكويتي، شاعرٌ اكتملت له كل عوامل وأسباب الانتماء العفوي إلى حركة التجديد. فهو من جيل المثقفين الكويتيين الشباب».

ثم قال:

«هذا الديوان هو خلاصة واقع الستينيات الشعري، بكلِّ تطلعات الجيل الجديد المتمرد على كل من حوله، وما حوله، بفعل توهج الشعور القومي في الفكر والسياسة في الوطن العربي».

إذن!! فشعر علي السبتي موضع احتفاء من زملائه الشعراء، ومن قُرائه بوجه عام، فهو سهل التناول، قريب من الحياة اليومية التي يحياها قاطبة الناس في أطوار مختلفة، وأشعاره تعجب الشباب، وتعجب من هم أكبر مِنهم سنًا. وتُمثل نموذجًا جيدًا للشعر الحديث المرتبط بالتجربة الإنسانية. وهذا هو ما يلفت أنظارنا إلى شعر أبي فراس، ويجعلنا جميعًا نهتم بقراءته، بل وبمتابعة إنتاج هذا الشاعر من حين إلى حين.

يحتوي ديوان «بيت من نجوم الصيف» على مجموعة قصائد من الشعر الحديث. وهو شعر حديث من حيث موضوعاته التي جاءت في القصائد، فدلت

على تناول الشاعر لشؤون الحياة المعاشة – وهو أيضًا – شعر حديث من حيث البِنَى الشعرية التي تختلف في أكثر قصائده، بحيث لم يَأتِ منها على النمط العمودي المألوف غير قصيدتين نذكر منهما قصيدة بعنوان: «القلب الرماد» وهي التي سوف نختار منها الأبيات فيما بعد.

يقول مطلع القصيدة:

تشتهي النفسُ أن أَخُطَّ رسالةْ
غير أَني لم تَبْقَ فِيَّ ذبالةْ

وفيها يُعَبِّرُ عن قلبه المجهد المهدد، وعن العذاب الذي سُقِيَ منه حتى الثمالة:

والذي كان قد جرى هدَّ قلبي
وسقاني العذابَ حتى الثمالةْ
قد عرفت الهوى فمزّقَ صدري
حين حاولتُ حَملهُ واحتمالهْ
وابحثي عن سوايَ لم يذقِ الوجـ
ـد، ولازال يستثير خيالهْ

☆☆☆☆

من فتى كل همه وشوشاتُ
تتلظّى على سطور الرسالَهْ
لم يزلْ ينظمُ النجومَ عقودًا
للقاءٍ كَمْ يشتهي أن ينالهْ
في نعيمٍ يعيش إما تلقّى
صوتك العذب يا لصوتك يالهْ

لا الـهـمـوم الـتـي أُحـــسُّ بـعـيـنـيـ

ـــهِ، ولا عُـــمـــريَ الـمــعـــذّب سـالَــهْ

ســـوف يــلــقــاكِ مـثـلـمـا أنـــتِ تـلـقـيْـ

ـــنَ ربـيـــعًـــا، مُـــجَــــرّرًا أذيـــالَـــهْ

كـــل درب مـــــررتِ يــــومًــــا عـلـيـه

حَـــلّـــقـــتْ فـوقــه مــن الـعـطـر هَــالَــهْ

لــســت مـــن تـبـتـغـيـــنَ، كــل عــروقـي

لــيـس فـيـهـا إلا بـقـايـا حُـثـالـهْ

أيّ دنــيـــا تَـبْـغِـيـنـهـا مــن حــطـامٍ

مـــــزّق الـبُـــعــد روحــــه وأحَـــالَـــهْ

قــلـبــه كــالــرمــاد خَـــلْـــفَـــهُ الجـمْـ

ـــر، وفـــي عَـــيْـــنِـــهِ أمـــات الـذبـالــهْ

لم يكن شاعرنا علي السبتي شاعرًا بائسًا، ولكنه كان يُعبر عن تجربة مريرة عَبَرت في سماء حياته، فجعلته ضعيفًا أمام الحسن، لا يستطيع أن يلبي رغبة هذه الفتاة التي وصفها. وقد أحالها على غيره من الفتيان فقد تجد عنده من حداثة سنه ما يملأ حياتها سعادة.

بعد ذلك الذي قدمناه عن الشاعر علي السبتي وشعره، فإننا نرى لزامًا علينا أن نتحدث عن آخر ديوان صدر له، وهو المسمى: «رأيت الذي رأى» وهو الصادر في سنة ٢٠١١م. وسبب اختيارنا لهذا الديوان أنه هو آخر ما أصدر، ولما كنا قد تحدثنا عن ديوانه الأول: «بيت من نجوم الصيف» فإن الحديث عن الديوان الأخير سوف يكون مهمًا، وذلك لأنه قد أمضى مدة طويلة بعد نشر

الشعر الذي قاله عند إعداده لصدور «بيت من نجوم الصيف» في طبعته الأولى سنة ١٩٦٩م، ولابد من أن نستكشف شعره المتأخر الذي طبع في الديوان الذي يحتويه في سنة ٢٠١١م.

الديوان الذي نسعى إلى عرضه والحديث عن محتوياته الشعرية صغير الحجم، يحتوي على عدد محدود من القصائد أكثرها قليل الأبيات، ولكنه يدل على تمكن وقدرة على الإبداع متطورة، أما موضوعات القصائد فهي متنوعة فيها الإخوانيات والغزل والحديث عن ظروف المجتمع المختلفة.

ولنختر الآن قصيدة من قصائد الديوان الجديد كما اخترنا من الديوان الأول. وهذه القصيدة التي نختارها للعرض هنا عنوانها: «رسالة» وهي من النوع العمودي الذي يجيده شاعرنا كما يجيد النوع الآخر ويتفاعل معه.

تبدأ القصيدة بقول الشاعر:

أعـاتـبُ .. لـو يـجـدي إلـيـك عـتـابُ
وألـــفُ ســـؤالٍ مـــا لـهـــنَّ جـــوابُ
تَـصُـدِّيـن لا غـضـبىَ ولا أنـا غـاضـب
ولا مـلـلًا والأمـــر مِـنْـكِ عُـجـابُ
ولـكـنَّ طـبـعًـا فـيـك لـم أدرِ سـرَّهْ
تحـاربـهُ الألـبـابُ وهــي صـيـابُ
وكـنـا كَـنـارَىْ روضـةٍ يـرعـيَـانِـهـا
تحـيـط بـهـا الـلـذاتُ وهـي شـبـابُ
وكـنـت أرى فـيـك الأمـانـيَ كـلـهـا
وأنـــي عـلـى قـدر الـوفـاء أُثـابُ

ثم يقول لها إنني لم أكُنْ أدري أنك ترين في حبك لي منة تمنين بها علي، وأنك سوف تجدين حملي للهوى عيب ينبغي أن أتبرأ منه. وأن الغرام الذي نرينه وقد نَزَّ من بين قصائدي ما هو إلا ماء تسرب في التراب وأضاعته السافيات.

إن الفضاء الواسع كعينيك الواسعتين قد ضاق بي، على الرغم من ذكرياتي العذاب التي شهدتها في حمى ذلك الفضاء. إنكِ إن عُدتِ أم لم تعودي، فإن ذلك لم يعد يشغلني، وكم قصد الناس الغدران وهي سراب.

ثُم إنه يؤكد هذه الحقيقة في بيتين قال في أولهما: إن العصور تنقضي وتتغير الأحوال وتُمحى السطور ولكن الكتاب هو الكتاب لا يتغير،

وفي البيت الثاني يقول إن ما يشغل نفسه هو أن تبقى هذه النفس على صلابتها (جليدة) وذلك لأنها إن ضاعت فليس بعد الضياع إياب.

أبيات جميلة معبرة عن عزة النفس وتملك الشاعر لأدوات الشعر، قالها في سنة ٢٠٠٠م.

وقبل أن نُنهي حديثنا هذا فإن من المهم أن نشير إلى أن ديوان «بيت من نجوم الصيف» وإن كان هو الديوان الأول لشاعرنا علي السبتي، فإن له غيره:

- ديوان «أشعار في الهواء الطلق» ١٩٨٠م.
- ديوان «وعادت الأشجار» ١٩٩٧م.
- ديوان «رأيت الذي رأى» ٢٠١١م.

****

١٦ - عبداللطيف عبدالرزاق الديين

نقف هنا مع الشاعر الكويتي عبداللطيف عبدالرزاق الديين ، فهو يستحق منّا هذه الوقفة لأن شعره جيد وجميل، ولأنه يكتبه على الطريقة الفصحى، وعلى الطريقة النبطية. وله ديوان للشعر الفصيح وآخر للشعر النبطي، وقد أجاد فيهما وأبدع. ونال رغبة الناس في قراءتهما والاحتفاظ بهما.

أسعدنا الحظ بالاطلاع على ديوانه الخاص بالمجموعة النبطية في سنة ١٩٩٤م، وقد ضم مجموعة كبيرة من القصائد على المنوال النبطي الذي بدأ قول الشعر على طريقته ونشأ عليه.

أما ديوانه الثاني وهو الذي خصصه للشعر الفصيح فقد أصدره في سنة ١٩٩٨م، وفيه قصائد منوعة يغلب عليها الجانب الوطني، وما يثير ذكرياته عن مواضع صباه. وفيها ما يعبر عن صلاته الطيبة بأصدقائه الذين أمضى معهم زمنًا من عمره في الكويت وفي خارجها أثناء الأسفار على السفن الشراعية. كما نجد فيها ما يدل على علاقاته الجيدة مع شعراء عصره بدليل قصائده العديدة التي يوجهها إليهم من حين إلى حين.

وفي الديوان الأول (النبطي) استوفى الشاعر الحديث عن حياته وعن أدبه في المقدمة التي كتبها له. ومع ذلك فإننا لابد وأن نشير إلى أن عبداللطيف

عبدالرزاق الديين هو أحد شعراء الكويت الناطقين بلسانها، والمذكرين بمآثرها، الواصفين لمحاسنها، وقد عرفنا له مقدرته على إتباع طريقة فريدة في قول الشعر، حيث يخضع تعبيره الشعري لظروف كل قصيدة يكتبها، فهو يختار بين استعمال اللهجة العامية فيما يسمى الشعر النبطي، واللغة الفصحى في الشعر الفصيح. وهو من الإجادة في كلتا الصياغتين على حد سواء.

كانت بدايته في قرض الشعر مع الشعر النبطي، ثم اتجه بعد ذلك إلى التعبير بالفصحى، ولم ينحصر شعره في اتجاه واحد منهما. بل ولم يَقلَّ مستوى شعره بل ازداد تمكنًا وإبداعًا. ولم يجد القارئ لشعره أي فرق من حيث المستوى بين ما كتبه على الطريقتين، ولم يجد رواة شعره فرقًا واضحًا بين ما كتبه أولًا وما كتبه ثانيًا من حيث قوة الشاعرية، وحسن التذوق.

وكان قد قال عن نفسه في مقدمة ديوانه الأول: «ولدت في منزل العائلة (بيت الديين) في الجانب الشرقي من عاصمة الكويت في حي العسعوسي، قرب بيت ديكسون المعروف الآن. في الشهر السادس لعام ١٩٢١م، ثم انتقلت مع والدي إلى القبلة في فريج الزنطة المقارب لفريج الشاوي».

وحتى نقرِّب إلى الأذهان صورة هذا الشاعر فإنني أروي هنا ما قلته عنه في مقدمة ديوانه النبطي، وهو: «كان شاعرنا من أوائل الذين انتظموا في الدراسة بالمدرسة المباركية عند إنشائها، وكانت يومها مركز إشعاع علمي وأدبي كبيرين لما تضمه من خيرة الأساتذة»، وأضفت إلى ذلك أنه «كان قد نشأ في بيئة شعرية وأدبية بين أصدقائه من الشعراء، وأخواله آل جرَّاح الذين عُرفوا بالعلم والأدب والاهتمام بالشعر».

ولقد كان تأثرُه بهذه البيئة كبيرًا، إذ أحب القراءة، وتطلع إلى الشعر يقرأه ويحفظه ويقوله شعرًا جميلًا يعبر به عن آرائه، وما يخطر في نفسه من مشاعر بدايات الشباب.

وعلى كل حال فقد وجدنا هذا الشاعر يبتدئ في قرض الشعر في وقت مبكر، ويجيد فيه، مستندًا في ذلك إلى إلمامه بدواوين الشعر التي قرأها وحفظ بعض قصائدها، إضافة إلى ما استفاده من المخالطة التي كانت تحكمها البيئة المحيطة به.

ونحن نقرأ له في المجموعة الفصحى من ديوانه الشيء الكثير الذي ينم عن تجربة ثرية، ويعبر عن شعور فياض بالمواطنة، وحب الأصدقاء والحرص على الوفاء لهم. كما نرى اهتمامه بحياة البحر الذي عاش يعمل على سفنه فترة من عمره طاف خلالها بِبَعْض المناطق وفق ما تدفعه إليه تلك الرحلات التراثية التي كان أبناء الكويت يخوضون البحار من أجلها. وقد أفادته هذه السفرات فزادته خبرة، وأضافت إلى أصدقائه، وكان تميزه بحسن الخلق، ومراعاة كل من ينتظم معه بصلة من الصلات، مما جعل له سمعة عالية في الفريج. وقد كان وصفي له بعد وفاته معبرًا عن الواقع، حيث قلت:

عـبـدالـلـطـيـف وكـنـت طـيْـ
ـرًا هـائـمًـا مـن غـيـر وكْـرِ
تـخـتـالُ بـيـن خـمـائـلٍ
بـالـفـنِّ والأشـعـار زُهْـرِ
وتـطـوفُ فـي وطـنٍ عـشـقْـ
ـتَ تـرابـه نـثـرات تِـبْـرِ

أحـــبـــبـــت كـــل مـــجـــالـــه
مـــا كـــان مـــن بـــرٍّ وبَـــحْـــرِ
وعـــشـــقـــتَ أنـــت تـــرابَـــهُ
وجـــعـــلـــتـــه إشـــراق فَـــجْـــرِ
شـــعـــرًا تـــرددّه الـــبـــلا
د، ونَـــغْـــمَـــةً فـــي كـــل ثَـــغْـــرِ

أما ما يتعلق به شخصيًا:

كـــم قـــد لـــقـــيـــتـــك فـــي الـــصِّـــبـــا
عـــالـــي الـــجـــبـــيـــن بِـــكـــل فَـــخْـــرِ
يُـــثْـــنـــي عـــلـــيـــك بـــنـــو (الـــفـــريـــ
ـــج) ويـــجـــعـــلـــونـــك خـــيـــر ذُخْـــرِ
عـــونًـــا لـــهـــم فـــي الـــعـــاديـــا
ت، وصـــاحـــبًـــا فـــي حـــيـــن يُـــسْـــرِ
والـــيـــومَ إذ حُـــمّ الـــقـــضـــا
ءُ وعـــيـــلَ بـــيـــن الـــنـــاس صـــبـــري
قـــد صـــرت مـــن فـــرطِ الأســـى
أبـــكـــيـــكَ فـــي سِـــرّي وجَـــهْـــرِي

لم يكن فراق الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين فراقًا سهلًا عليَّ وعلى أسرته وأصحابه جميعًا فقد شاهدت أولئك الأصحاب يبكون يوم فراقه، ويرددون كثيرًا من المواقف التي عرفوه بها.

ولقد كان إلى جانب كل ما ذكرناه عنه على المستوى الشخصي، أو الشعري رجلًا قارئًا متمكنًا من معرفة تاريخ الكويت، لا تغيب عنه غائبة من ذلك. إضافة إلى إلمامه الكبير بالأماكن الكويتية وأسمائها، فلا يضيع عن باله شيء ، ولكم

قدمت إليه من الأسئلة، فوجدت الإجابات تجري على لسانه كالماء، فهو لا يتردد، ولا يطلب من مستمعه أن ينتظر عليه حتى يجمع في ذهنه المعلومات المطلوبة. ولقد كان رحمه الله كتابًا مفتوحًا عنوانه:الكويت ومواقعها وأهلها، وكل ما أردناه من معلومات حول هذه الثلاثة فإننا كنا نَجِدُهُ عنده، وهذا مما يعظم خسارتنا فيه وأسفنا على فراقه. فهو كنز بشري من كنوز بلادنا نعتز به ومن أجل ذلك فإننا نكثر من تذكرِهِ، والدعاء له.

الشاعر عبداللطيف الديين رجل مستقيم، ولا يعجبه من أخلاق الناس إلا الاستقامة، والبعد عن النفاق وهو جاد في عمله، صادق في علاقاته مع الجميع وكل ما ينافي الجد والصدق فهو يكرهه.

إذن فإن أفضل ما نختاره من شعره هذه القصيدة التي قالها وهو يتحدث عن شخص ما، وجد فيه صفات السوء مجتمعة، وقد سمعته يقرؤها بنفسه فعجبت لصدقها ودلالتها، فطلبت منه أن يقول لي اسم الشخص المقصود فأبى، وقال: هذه القصيدة – للأسف الشديد – تنطبق على عدد من الناس يصعب تحديده، بل لا يجوز تحديده، لأنني قلتها بمثابة إنذار لكل من يخرج في تعامله مع الناس عن الطريق المستقيم الذي يرضونه، ولا يطيقون مخالفته.

عنوان هذه القصيدة «النصيحة» وقد أطلق عليها هذا العنوان لأن بدايتها تقول:

خـذِ الـنـصـيـحـةَ قـد جـاءتـك مـن قِـبَـلـي

نـظـمـتـهـا لـك فـاقـرأهـا عـلـى مَـهَـلِ

وهذه النصيحة موجهة إلى قارئ قصيدته، فهو يطلب من القارئ أن يترك المنافق فلا ينخدع بمظهره حتى ولو تودد بالترحيب وبالقبل. وإذا رأيت في عينيه دموعًا فاحسبها من تشذيب البصل، كما أن دموع التماسيح معروفة بعدم الصدق.

ثم يصف الشخص الذي يَنْهى عن مخالطته:

يُريك وجهًا بشوشًا عند حاجته
وقلبُهُ لَكَ مطويٌّ على دَغَلِ
تلقاه عند سراة القوم مُبْتَذَلاً
يثرثر الشعر من حفظ ومنتحَلِ
يلوك فيه لسانًا منه مكسبُهُ
دومًا يُقلبُهُ في الجد والهزلِ
يسعى لإضحاكهم في كل آونة
سماجة وَضَعَتْ من قدره الضحِلِ
أَمَّا دناءته عند الخوان فقُل
عنها ولا حرج وُقِّيتَ من زللِ
لو قيل من هو مشهور تَطَفلُهُ
و الأَمُ الناس قال القوم ذاك جَلي
ذاك الذي في جفان الناس مرتعُهُ
قد فاق أشعبَ في التطفيل والحيلِ
فلا يؤثِّرُ فيه قولُ ناصحهِ
ولا ترى وَجْهَهُ يندي من الخجل

وفي ختام هذه الأبيات يأتي ختام النصيحة:

فكُن بعيدًا وبالغ في تَجَنبهِ
مثل ابتعادك عن دحروجة الجُعَلِ
وهاك نعتًا تجلّى صدقُ قائلهِ
في أكذب الناس من حافٍ ومنتعلِ

لقد وصف الشاعر هذا الشخص وصفًا بليغًا جعله واضحًا أمام الناس، وإن كان لم يذكر له اسمًا، ولم نجد من القراء من توصل إلى معرفته.

****

١٧ - هاشم حسين السبتي

الشاعر الذي نختار من شعره في هذه المجموعة؛ من الشعراء الذين برزوا في مجالات الثقافة كلها، فقال الشعر وأصدر له به ديوانًا. ولكنه توفي - رحمه الله - مبكرًا، وقد يكون استمراره في العيش سبيلًا إلى مزيد من الإنتاج الذي ظهرت بوادره منه منذ أول شبابه.

هذا الشاعر هو هاشم حسين السبتي، وقد كان كاتبًا وشاعرًا. وهو من مواليد سنة ١٩٤٦م في حي القبلة. وكانت دراسته في مدرسة عمر بن الخطاب القريبة من سكن أسرته، ثم انتقلت دراسته إلى مدرسة حولي المتوسطة. وبعد أن اجتازها درس في معهد المعلمين ونال الدبلوم الخاص به سنة ١٩٨٦م.

نشط هذا الفتى منذ تخرج للعمل في مجالات عدة، فقد التحق - أولا - بِسِلك التعليم لعدة سنوات، ثم انتقل للعمل في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ابتداء من سنة ١٩٧٨م حتى سنة ١٩٩٤م وقد دفعته إلى هذا الانتقال رغبته في متابعة نشاطه الثقافي الذي بدأ يتبلور، وظهرت بوادره في عدد من المقالات الصحفية التي كان ينشرها في صحف الكويت.

تولى هاشم السبتي في المجلس الوطني الذي انتقل إليه مهمة إدارة معرض الكويت العربي للكتاب، وشغل منصب مدير المشروعات الثقافية. وله نشاط

اجتماعي واسع وصلات كثيرة مع الناس وبخاصة الأدباء وذوي الرأي منهم. وهو عضو في جمعية المعلمين الكويتية، وجمعية الصحفيين الكويتية، ورابطة الأدباء الكويتيين، وصار عضوًا في مجلس إدارتها فترة من الزمن.

وكان هذا الشاعر الأديب مشاركًا في معظم الأسابيع الثقافية التي كان يقيمها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وهي أسابيع تهتم بالإعلام عن الثقافة الكويتية، والأدب الكويتي بصورة عامة. وقد جرى بعض هذه الأسابيع في صنعاء وعدن وعَمان وبغداد.

وله اشتراك واضح في الملتقيات الأدبية التي تجري في الكويت وفي خارجها. ومما شارك فيه خارج الوطن لقاءات تمت في تونس وموسكو والقاهرة.

وله مؤلفات منها: من آلام الغزو العراقي، وليالي الألم، ومن وحي المحبة وعاشق الكويت، وهذا الأخير كتاب قدمه من أجل ذكرى الشاعر الكويتي عبدالله العتيبي بعد وقت قصير من وفاته. وقد قام الأستاذ هاشم السبتي بإعداده والإشراف على طباعته ونشره.

كتاب «من آلام الغزو» له اسم يدل على موضوعه وهو الغزو العراقي الغاشم للكويت في شهر أغسطس سنة ١٩٩٠م، وقد جاء في بداية الكتاب بمقدمة كتبها الكاتب الكويتي الكبير عبدالرزاق البصير تحدث فيها عن طبيعة الغزو وما جره على أبناء الشعب الكويتي من أذى بليغ. وقد أنهى المقدمة بقوله: «وإذا سألتني عن الناحية الفنية في هذا الأثر فإنني أُجيبك بلا مراء أنها تعبق بالصدق، الذي تخلو منه آثار الكثيرين، فأنت إذا قرأت هذا الأثر فإنك تجد نفس صاحبه على حقيقتها. وكفى بذلك صفة طيبة، تجتذبك إلى الاستمتاع بقراءة محتويات هذا الكتاب».

وحسب هاشم السبتي بهذه الكلمات شهادة تدل على صدق إحساسه بما حدث. فإذا أضفنا إليه ما ورد في المقدمة من تفصيل يتعلق بمواقفه أثناء الغزو وجدنا أستاذنا البصير يفيض عليه بمديح هو أهل له.

وكتاب «ليالي الألم» شعر حشد فيه عددًا من قصائده. وهي من النوع العاطفي الدال على إحساس شاعر محب، وهذا الحب منثور عنده على عدة جهات في وطنه، فمنه ما يغطي البلاد، ومنه ما يغطي الناس جميعًا. وكان نشر الديوان في سنة ١٩٩٢م، وهو على صغره جدير بالقراءة والاهتمام لأنه ينم عن روح شاعر، يمتاز بطيبة النفس والبراءة في وقت واحد. ألا تراه يهدي ديوانه هذا إلى الكويت فيقول: «يتألق المجد، ويُشرق ويشمخ، في أرض الكويت رغم كل عذاباته، إنَّها الكويت في صبرها واحتمالها. في سنوات تعبها وشقائها، في زمن الاحتلال والغدر والعدوان. فإليك هذه الأوراق حُبًّا وخشوعًا تحت أقدامك الطاهرة يا أمي».

هذا هو هاشم السبتي حين يناجي وطنه، بل أمه الكويت، وهو في الوقت نفسه لا يمن علي هذا الوطن بديوان شعر بل يُسَميهِ أوراقًا، ألا تراه يقول: «فإليك هذه الأوراق»، ثم يضيف إنه يقدمها حبًّا وخشوعًا تحت أقدام الوطن الطاهرة، أقدام الأم.

والآن ما الذي نختاره من قصائد هذا الشاعر التي وردت في ديوانه: «ليالي الألم» ؟

إننا نختار إحدى قصائده الجميلة، وهي آخرها في الديوان، وعنوانها: «علمتني الريح معنى الزوبعة «وقد جاء هذا العنوان في آخرها حيث يقول:

هل سأشقى وبقلبي نغمُ

تسهر الدنيا معي كي تسمعهْ

يـــا ســـهـــامًـــا جَـــرحَـــتـــنـــي رحـــمـــة

علـمـتـني الـريـح مـعـنـى الـزوبـعـه

وإذا عدنا إلى البداية وقرأنا القصيدة من حيث بدأها الشاعر، فإننا سوف نجد فيها الفيض العاطفي الذي يسيطر على الشاعر منذ كلمة إهدائه للديوان إلى آخر حرف من هذه القصيدة التي هي آخر ما جاء فيه.

ونحن عندما نقرأ هذه الأبيات فإن الخيال قد يجمح بنا، لأننا نرى رجلًا يتحدث عن حلم مر بقلبه، وليس بباله كعادة الأحلام، وعندما مر هذا الحلم ضاع كما يضيع الوهم، وكانت تعمر نفسه أشواق كبيرة وعديدة وكأنها الغيمة، فصارت بهذا الحلم ترسم له فجرًا قادمًا جديدًا. ومع ذلك فإنه يحس بالشقاء لأن قلبه لا يزال حائرًا، لأنه غادر – منذ زمن – شطآن الهوى، وابتعد عن رُبَى الشوق ووديان الحنين. ومع كل ما يشعر به فهو يتساءل: هل هو مستمر في الحياة بعيدًا عن الأحباب، وقد كان يعيش على الوصل مع من يحب:

هـــاتـــفٌ مـــرَّ بـقـلـبـي الحـالـم

ومـضـى فـي مـثـل وهـم الـهـائـم

ومـضـت أشـــواقُ عُـمْـرِي غيـمـة

تـرسـم الأفـــقَ لـفـجـرٍ قـــادم

ســافَـرَتْ بـي مـن شـجـون، مـا لـهـا

- ياشقائي - غير قلبي الحائر

أنـــا مـن عِـنْـدِ شُـطـآنَ الـهـوى

وَرُبَـــى الـشـوق ووديـــان الحـنـين

يـا فـؤادي هـل سأحيـا فـي الـنـوى

وأنـــا مـن عــاش بـالـوصـل سـنـين

أشـــرب الحـــب بـكـأس الـعـاشـقـين

وَبِــقُــربــي أَلــــفُ نجــم ســاهــر

وأخيرًا فقد تم الاختيار وقدمنا نموذجًا يدل على شعر شاعر عذب الشعر، محب للوطن، شديد الإحساس بواجبه تجاه الجميع يذكرهم شعرًا ونثرًا.

الكتاب الذي لم نتحدث عنه بعد ؛ هو كتاب: «من وحي المحبة» وهو عبارة عن مقالات له نشرها في صحف الكويت. ويكاد يكون قد وجه هذه المقالات إلى كل من له علاقة به بدءًا بوالدته ثم زوجته وأخته وعدد آخر من الأدباء والشعراء والأصدقاء والأصفياء. إن هذا الكتاب تعبير حي عن المحبة وهو رمز لها يقدمه هاشم السبتي لكل من يعرفه من خلق الله.

وآخر ما نتوقف عنده كتاب «عاشق الكويت، الشاعر عبدالله العتيبي» ولقد كان شاعرنا العتيبي شاعرًا له شِعْرٌ غزير أثرى الإنتاج الشعري الكويتي كله. وله في الشعر الوطني خطوط لا تمحى، وأناشيده الوطنية لا تزال تردّد حيةً على الشفاه وفي القلوب. وعندما اهتم الشاعر هاشم السبتي بجمع مواد هذا الكتاب ورحل بنفسه إلى القاهرة لمتابعة طبعه ونشره فهو يقوم بعمل في غاية الامتياز لأنه به قد دل على إخلاصه لصاحبه، وحزنه على فراقه، ثم إنه وجد أن أفضل ما يقدمه له وهو في الدار الآخرة أن يُبقى ذكره الذي تردد على ألسنة محبيه، فجمع كل ما قيل عن العتيبي في الكتاب الذي أوردنا عنوانه. وفي رأيي أن في هذا الذي صنعه السبتي تخليدًا لعبدالله العتيبي، وتخليدًا بصورة ما لهاشم السبتي الذي توفي هو الآخر فبقي له ذكر طيب بين الناس منه تذكرهم لقيامه بهذا العمل المبرور، فرحمهما الله.

****

١٨- جاسم محمد السلامة

الشاعر الذي نختار من شعره في مجالنا هذا هو الأستاذ جاسم محمد السلامة، وهو شاعر له أكثر من ديوان مطبوع، في كل ديوان حشد من القصائد الجميلة التي ترتبط في ذهن كل من يقرؤها. وهو – أيضًا – كاتب يكتب المقالة النقدية الصادقة وينشرها في صحف الكويت، كما يؤلف الكتب القيمة التي تتناول تاريخ بلادنا وتحديد المواقع في العاصمة وذكر الفرجان، وهو ملم بكل هذا إلمامًا في غاية الإتقان حتى إنني لقادر على القول بأنه اليوم عندنا من أبرز المؤرخين وكتّاب التراث الكويتي بدليل كل ما قدمه لنا من إنتاج وفير يعبر عن كل ذلك، ويبين كثيرًا من الخفايا.

وهو بعد ذلك قارئ نهم، لا يمل القراءة، ولكنه لا يقرأ إلا ما يعود عليه بالنفع فيوسع مداركه، ويُكثر من معلوماته، ثم لا يبخل علينا في صياغة محصوله القرائي صياغة فنية أدبية جميلة تُدْخل إلى عقولنا المعلومات التي نحن في حاجة إليها.

والأستاذ جاسم محمد السلامة لا يتظاهر بكل ذلك، فقد وهبه الله نفسًا راضية قانعة، فهو ينتج ما ينتجه من أجل أن يُلبي رغبة في نفسه تدفعه إلى حفظ تاريخ الوطن، ولذا فإن قليلًا من الناس أولئك الذين تابعوا شعره، أو علقوا عليه بكتاباتهم، وإن كان لا يحتاج إلى تعليق بقدر ما يحتاج إلى توجيه الأنظار

إليه وتبيين محاسنه، والدعوة إلى قراءته. فهو شعر جيد تحس بأنه قد خرج من قلب صافي النية، رقيق الإحساس، صادق التعبير.

ولا أضع اللوم كله على من لم يكتب عن شعر هذا الشاعر المجيد، فهو – من جانبه – لا يحب الإعلان عن نفسه، ولا يميل إلى الشهرة بقدر ما يحب أن يعيش في الظل يملأ نفسه بما يحب من القراءة والتحصيل العلمي، ثم يكتب ما يراه ملائمًا، ويتركه للزمن.

معرفتي بالأستاذ جاسم معرفة متينة وقديمة وهو من جانبه رجل يستحق المحبة التي احتفظ بها له، ثم أنه لا يبخل عليَّ بما يصدره من كتب. ومهما انقطع اللقاء بيني وبينه، فإنني أتلقى منه بين حين وآخر كتابًا جديدًا يفرحني أن يكتب على غلافه الداخلي إهداء لي بذلك الخط الجميل الذي لا أنساه، والعبارة التي تعلق بالذهن فلا تزول.

ومما لدي من شعره الذي تكرم فأهداه ديوانان هما:

١ – قطب الرحى، وهو مجموعة شعرية صدرت في سنة ٢٠٠١م.

٢ – ترنيمات وهو مجموعة شعرية سبقت المجموعة الأولى وقد صدرت في سنة ١٩٩٩م.

يضم ديوان «ترنيمات» عددًا من المقطوعات ذات الموضوعات المختلفة، وهي وإن كانت قصيرة قليلة الأبيات إلى حد ما فإنها ملأى بالحكمة، رائعة الأسلوب.

ديوان «ترنيمات» له معنى من اسمه، فهو من ألحان متعددة يصوغها متقطعة ليجذب إليها ذوق قارئه، ومما يدل على اهتمامه بالنغم أنه كتب ثلاثة

أبيات تحت عنوان «في رحاب النغم» وجهها إلى «أورفيوس» إله الغناء عند الإغريق القدماء، فقال:

غَـــن أورفـــيـــوس لـنـفـس تـعـبـت
مـن هـمـومٍ سـاقـهـا عـبء الحـيـاةِ
رُب نـفـسٍ داهـمـتـهـا مـحـنٌ
بـجـيـوش الـسـهـد مـن كـل فـلاةِ
غَـــنِّ أورفـــيـــوس فـكـلـي أُذُنٌ
تـسـمـع الأنـغـام حـتـى فـي الـصـفـاةِ

(الصفاة: الحجر الأملس).

أما شعره فقد وصفه قائلًا:

عـفـو الخـواطـر أشـعـاري بـلا نـسقٍ
كـالـزهـر فـي الـبـيـد مـنـثـور ومـنـتـشرُ
أشـتـات قـافـيـة لـيـست عـلـى جَـدَدٍ
فـلا اسـتـواء يُـرى، والـلـفـظ مستترُ
لا تـطـلـب الـشـعـر مـنـي طَـبـقَ قافية
فـي مـعـجـم الـلـفـظ.. كـلا فـهـو مُـفـتـقرُ

وفي الديوان تعبير واضح عن مكنون نفس الشاعر، وفيه - أيضًا - تعابير فلسفية تبرزها مقطوعات منوعة. ومنها ما هو على علاقة بتجارب الشاعر الخاصة، التي لم يستطع تجاوزها دون أن يقوم بتسجيلها شعرًا.

ومن ذلك هذه الأبيات الجميلة التي وردت في ديوانه «ترنيمات» تحت عنوان: «التاريخ السياسي» يقول فيها:

سِـــجِــلُّ الــغــابــريــن لـكـل قــومٍ
وقـــد عـبـثـوا بـــأقــوات الأنــــامِ
يـكـون الـلّـص فـي الآفـــاق شـهـمًا
وقــاتــل قــومــه سـيـفَ الـهُــمـامِ
وخـــائــن جـيـشـه بــيـن الــبــرايــا
عــلــى الـهـامـاتِ يُـرفــعُ بـالـسـلامِ
وإنْ هَــتَــكَ المحـــارِمَ ذو مُــجــونٍ
عــلــى الأعــنـــاق يُـحــمـل لـلـمـقـامِ
وإن جـعـل المـعـابـد بـيـت فحـشٍ
ومَـــاخُـــورًا لـسـاقـطـة الـلـئـامِ
فـــلا بــــأسٌ عــلـيــه ولا عــتـــابٌ
ولا الــتـــاريـــخ يُـنـحـي بـالمـلامِ
وإن سـجـدت شـعـوب الجـهـل دومًـا
لـنـاحـرهـا، فـــذا مِـسْـكُ الـخـتـام

أما ديوان «قطب الرحى»، وقد اختار هذا العنوان لأنه مرتبط بأربعة أبيات نظمها بهذا الاسم، وفيها يتحدث عن نفسه، ويرى أنه غير مستقر، وأن أيامه تدور كما تدور الرحى في قطبها، وأن روحه تنازعها الأسقام، وأن عظامه اليوم تُهرَس وقد كان من قبل في وهج الشباب. وهذه هي الأبيات كاملة:

دارت عـلـى قـطـب الـرحَـى آلامـي
والـــروحُ فــي نــزعٍ مــنَ الأسـقـامِ
قـد كـنـتُ فـي وهــج الـشـبـاب مـنـارةً
والـيـوم تُـهـرس فـي الـظـلام عظامي

طـبـقٌ يــدور عـلـى الـحـطـام بِـثِـقْـلِـةِ
فـيـسـحـق - واويـــلاه - كـل مـرامـي

آهًـــا وآلام الـــفـــؤاد تَـمُـجّـهـا
ويـالـيـت بـالأحـداث حـسـن خـتـامِ

ولقد نوّعَ الأستاذ جاسم محمد السلامة ما شاء من تنويع في ديوانه هذا ففيه كثيرمن الأمور التي عرفنا عنه معالجته لها فيما سبق، وفيه تنبيه ونصح، وفيه ذكر لكثير من الأماكن الكويتية مثل النقعة والليَاح والخيران، وفيه تعليق على بعض المسالك غير الطيبة التي يقبل البعض على سلوكها، ولذا فإننا نراه كما قلنا عنه آنفًا الناصح الأمين المحب للوطن، والحريص على ذكر كل ما ينبغي أن يذكره عنه، أو عن المواطنين. فهو شاعر من نوع خاص نذر نفسه لبلاده، واستمر على ذلك في كافة إنتاجه الشعري والنثري.

شاعرنا من مواليد سنة ١٩٤٢م في الكويت (العاصمة) فريج الغنيم. وآل بن سلامة من جماعة آل بن علي المشهورين في المنطقة كلها. وكان أهله يهتمون بالأعمال البحرية، وكان منهم النواخذة الذين يقودون السفن الشراعية الكبيرة من أجل السفر إلى الهند وما حولها كما هو جاري عادة الكويتيين وكان منهم الذين يقودون سفن نقل الماء العذب إلى البلاد.

درس الشاعر بمدرسة الملا محمد صالح العدساني وهي مدرسة أهلية من النوع الذي يطلق عليه (الكُتاب). ثم درس في المدرستين النظاميتين الأحمدية فالمباركية. وأنهى المرحلة الثانوية من دراسته في سنة ١٩٦١م بمدرسة الشويخ الثانوية. وتوجه بعد ذلك إلى مصر من أجل الدراسة مبعوثًا من دائرة معارف

الكويت التي تحولت فيما بعد إلى وزارة التربية. وأقام في مصر حتى سنة ١٩٦٦م حيث حصل على البكالوريوس من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

وفور تخرجه التحق بوزارة الخارجية في الكويت، وأسندت إليه عدة وظائف دبلوماسية منها ما هو في الكويت ومنها ما هو في خارجها.

وكما ذكرنا فيما مضى أنه كان كاتبًا كثير الإنتاج، فإنَّه لم يبق لنا إلا أن نذكر له ديوانًا لم يرد ذكره فيما سبق من حديث وهو ديوان «نشيش الموج» المطبوع في سنة ٢٠٠٠م.

وأفضل ختام لكل ما تقدم هو أن نعرض ما قاله عن نفسه: «تسيطر على فكره نزعتان سلفيتان الأولى إسلامية خالصة، تمثل النبع الطاهر الذي يستقي منه وجدانه. والثانية تمثل الأصالة النقية».

وأضاف: «وهو من تلاميذ عملاق الفكر العربي عباس محمود العقاد رحمه الله».

هذا هو شاعرنا وصاحبنا القريب إلى النفس الذي ما فتئ يمدنا بخالص تجاربه على هيئة كتابات نعتز بها، ونسعد بقراءتها والاستفادة منها.

****

١٩ - سالم عباس خدادة

الدكتور سالم عباس خدادة شاعر له ديوان شعر مطبوع ومعروف، وناقد له أعمال نقدية مهمة يتناول في أكثرها دراسة أثر الشعر الكويتي ويتابع إنتاج الشعراء من قدماء ومن محدثين، ويزن شعرهم بميزان النقد الأدبي، ويبدع فيه.

ولم يكتف بطبع ديوان واحد فهو صاحب ديوان: «وردة وغيمة.. ولكن» المطبوع في سنة ١٩٩٥م، وديوان: «رثاء القمر» المطبوع في سنة ٢٠١٦م، وهو آخر إنتاجه الشعري.

وللدكتور سالم بحوث مهمة في النقد الأدبي نشرها في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، التي تصدرها جامعة الكويت. كما ألف كتابًا عن الشاعر الكويتي عبدالمحسن محمد الرشيد، وقد قامت رابطة الأدباء الكويتيين بطبعه تحت عنوان: «عبدالمحسن الرشيد، الشاعر والشعرية». واهتم بعلم العروض فقام بالاشتراك مع الدكتور عبدالعزيز نبوي بتأليف كتاب مهم في هذا المجال عنوانه: «العروض التعليمي» وهو عرض لعلم العروض يستفيد منه الراغبون في دراسته وقد أجاد المؤلفان في عملهما إجادة تامة.

ولد هذا الأديب الشاعر في الكويت سنة ١٩٥٢م، وأنهى دراسته للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة في جزيرة فيلكا، وحصل على الثانوية العامة سنة ١٩٦٦م.

ثم واصل دراسته العليا إلى أن حصل على شهادة الماجستير في سنة ١٩٨٥م، من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. وكانت رسالته عن: «التيار التجديدي في الشعر الكويتي».

ونال من الكلية ذاتها درجة الدكتوراه في سنة ١٩٩٢م في موضوع: «ظاهرة غموض الشعر في النقد الأدبي القديم والحديث». وقد تم طبع الرسالتين في كتابين منفصلين.

ولقد اشتغل بالتدريس في وزارة التربية، ثم انتقل إلى الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، وصار مدرسًا ثم أستاذًا في قسم اللغة العربية بكلية التربية الأساسية، فرئيسًا للقسم.

وُهب المقدرة على قرض الشعر، فزاوله حتى برع فيه. وتبين لقرائه أنه موهوب في هذه الناحية من نواحي الأدب. وعندما بدأ عمله في التدريس ازداد للشعر حبًّا وفي نظمه رغبة، لأنه قد وجد مدى واسعًا للقراءة، وحفظ الشعر الجيد ومخالطة الشعراء من زملائه في الكلية التي يعمل بها، وفي خارجها. وكانت محاولاته الشعرية الأولى هي التي نشرها في مجلة النهضة ثم مجلة مرآة الأمة، واستكمل ذلك بمشاركاته في الأمسيات الأدبية التي تعقدها رابطة الأدباء الكويتيين، وكان اشتراكه في هذه الأمسيات قد بدأ في سنة ١٩٨٠م.

واستمر شاعرنا في مضمار الشعر يكتبه أو يكتب عنه. ولذا فقد جاء إنتاجه الفكري مزيجًا من الدواوين الشعرية والنقد الأدبي والسير الذاتية لبعض الشعراء. واهتم كثيرًا بالنقد الأدبي حتى سيطر على إنتاجه كما رأينا.

وقبل أن ندخل إلى أدب الشاعر سالم عباس خداده من باب الشعر الذي عُرف به، فإننا نريد أن نسلك في خطوات قليلة مسلكه في النقد الأدبي. وما نريد

أن نذكره هنا هو وصف كتابه الذي نال به شهادة الماجستير، وقد بينا اسمه فيما مر بنا من القول، وهو: «التيار التجديدي في الشعر الكويتي» وتبع هذا العنوان تعليق يسير فحواه «دراسة في المضمون والشكل».

والبحوث التي يتناولها هذا الكتاب كثيرة ومتعددة النواحي. وقد قسمه إلى أبواب كان الباب الأول منها يتناول ظروف نشأة التيار التجديدي مع دراسة لمضامين ذلك. وقد تحدث في بيان ظروف النشأة عن مفهوم التجديد، وملامح التجديد في العالم العربي بصفة عامة. ثم إرهاصات التجديد وبداية الدعوة إليه في الكويت. وهو يرى أن العوامل التي ساعدت على ذلك تكمن في الوعي السياسي والتطور الثقافي والنقلة الحضارية.

ثم انتقل إلى الحديث عن المضامين التي يلحظها الباحث عند متابعته للإنتاج الشعري الكويتي.

وابتدأ - بعد ذلك - بابًا جديدًا هو الباب الثاني الذي جعل مضمونه: دراسة فنية في بناء القصيدة. وذكر ضمن هذا الباب فصلًا سماه: المعجم الشعري، ومن ضمن ما أشار إلية فيه ما أطلق عليه الظواهر اللغوية، وَأَجْمَلَها فيما يلي: التكرار والألفاظ العامة وظواهر أخرى.

وليس هذا الذي ذكرنا إلا صورة عارضة وسريعة لما جاء في الكتاب بالرجوع إلى فهرسه. وهذا - بالطبع - لا يغني عن قراءته فهو كتاب قيم استحق به كاتبه الحصول على شهادة الماجستير بكل جدارة.

وما دمنا في أحاديثنا هذه نركز على ذكر الشعر والشعراء فإننا وقد وجدناه قد أصدر ديوانين شعريين ينبغي أن نلتزم بما سرنا عليه من قبل فنختار من شعره ما نجد أنه يمثل موهبته.

الديوان الأول هو: «وردة وغيمة... ولكن» والشاعر يقدم له بقوله:

لا أبتغي مقدمة
فلست روحًا مبهمة
وما أنا مثل الذي
يهوى الحروف المظلمة
روحي على هذي الدنا
حالمة مرنمة

يقول إنه إنسان واضح، شِعْرُهُ جلي لا يحتاج إلى مزيد من التبرير والتفسير، وروحه الملهمة ليست مبهمة بل هي واضحة التعبير عما في طياتها، وما يُنتجه واضح غني عن البيان غير مبهم، وما يكتبه يسطع منيرًا في ذهن القارئ فهو صادر من روح تعيش في هذه الدنيا حالمة ومترنمة.

إذن فقد تحدث منذ بداية هذا الديوان عن حقيقة نفسه، وعن صفات شعره. فما هو موقفه من الحياة ؟ وما الذي يجلب إلى نفسه البهجة والسرور؟ وما الذي يجعله يعيش أمانيه المحققة ويسعد حين يرى ما يحلم به واقعًا. إن هذا هو الذي دفع به إلى قول هذه الأبيات التي اخترناها من شعره:

سَألَتْنِي والهوى يغسل روحي بالعبيرِ
وعروقي تُنشِدُ الشوق لها عبر الأثيرِ
ما الذي تعزف في روحِكِ يا ليلي ونوري؟
ما الذي يرميك يا عمريَ في لج البحورِ
بين آهات الخرير وصراخات الهديرِ؟
قلت والدنيا تُغَني في خيالي وشعوري:
ليس في الدنيا عذاب، مثل أنات الضميرِ

إنـنـي أحـيـا بِـظِـلٍ، وأرى لـفـح الـهـجـيرِ
إنـنـي أحـيـا بـروضٍ، وأرى شـوك الشرورِ
لا أرى البهجة في القصر ولا الكوخ الصغيرِ
إنـمـا البهجة يـا عطري ويـا لـون زهـوري
أنْ أرى الـدنـيـا تُـغَـنـي، بـسـلامٍ وحـبـورِ
تَـعْـزِفُ الـنـاس الأمـانـي، بـأمـانٍ وسـرورِ
في رحـاب المجد والـعـزةِ والحـب الكبيرِ

هكذا نرى الشاعر وهو يعبر عن مشاعره، إنه لا يحب الأماكن المغلقة، ولكنه يحب الرياض، ويرى البهجة فيها. وقمة سروره هي فيما إذا رأى الناس تغني بسلام وفرح.

والديوان الثاني لشاعرنا سالم عباس خداده وهو الذي قلنا إنه صدر في سنة ٢٠١٦م هو ديوان: «رثاء القمر» ويتكون من مجموعة من القصائد الجميلة التي جعلت من الديوان باقة مزهرة. وهو ديوان له طبيعة خاصة فهو حزين، تسيطر عليه مأساة الفقد، فقد خرج هذا الشعر كُلُهُ تعبيرًا عن الأسى الذي أحاط بالشاعر، فجعله ينفث الشعر آهات مبرحة، ويردد على مستمعيه ما يشعر به في تلك المأساة. ولذا فإننا نرى ديوان «رثاء القمر» إنما هو رثاء لولده، عبّر بالشعر عن حزنه العميق فجاء شعرًا رقيقًا راقيًا:

غــادرْتَــنــي وتــركــت الحـــزن أغـنـيـةً
تـطـوف بـي أيـنـمـا ولَـيْـتُ يـا ولـدي
مـــاذا سـأكـتـب والأقـــلام بـاكـيـةُ
أواه مـن حِـبْـرهـا قـد سـال فـي كـبـدي

كـل الحــــروف عــذابــاتُ إذا سُـكـبـتْ

فكيف إن سُـكِـبَـتْ فـي الحــزن والـكـمـدِ

وإذ نشارك شاعرنا حزنه لنرجو له الصبر والسلوان، ونأمل لفقيده برحمة الله تعالى.

****

٢٠ - داود سليمان الجراح

الشاعر الخال داود سليمان الجراح من شعراء الكويت الذين أبدعوا، وأضافوا إلى الشعر الكويتي إضافات أسعدت كل من كان يقرأ لهم، وشاعرنا هذا من الشعراء المتميزين من هؤلاء الشعراء الكويتيين الذين قرأنا لهم وسعدنا بإنتاجهم الغزير الرائع. له قصائد كثيرة ولكنها للأسف الشديد لم تحظ بعناية تامة في فترة حياته، فلم تجمع في ديوان واحد كما حدث مع غيره من الشعراء، وليس لنا اليوم مما يذكرنا بشعره غير كتابنا: «الشاعر داود سليمان الجراح، حياته وشعره».

وقارئ هذا الكتاب سوف يلاحظ أن داود سليمان الجراح لم يكن شاعرًا مبدعًا فقط، بل هو كاتب ناثر له قدرة على التعبير عن كثير من الأمور التي يود أن يعبر عنها. وله مقدرة فائقة على كتابة الرسائل، وهي رسائل ليست عادية كالنوع الذي يرسل الناس إلى أصدقائهم لمجرد السؤال عن الصحة والأهل والأولاد، ولكنها رسائل تحتوي على معلومات وإضافات وتثير في الوقت نفسه الرغبة عند قارئها بالمتابعة واكتساب المعرفة. أما الشعر فإن له فيه الباع الطويل فقصائده متنوعة، وأفكاره نيرة، وعلاقاته مع الشعراء والأدباء علاقات ممتازة بحيث لا يتخلف عن ذكرهم والتعبير لهم عن محبته ووفائه.

للدلالة على إبداع الشاعر داود سليمان الجراح في عالم الشعر، فإننا نلتفت دائمًا إلى تنوع أغراض شعره، وهي متعددة ولكن الجانب الوطني يسيطر

عليها فهو محب لوطنه كثير التعبير عن هذه المحبة بطرق كثيرة يختارها. وكانت له مساهمة في موضوعات المداعبات الشعرية التي تتم من جانبه مع زملائه من الشعراء، إذ نجد له معهم مسامرات في لَيالٍ معينة يخرجون فيها إلى ساحل البحر من أجل تجديد النشاط والترويح عن النفس.

ولكن هذه المداعبات لا تمثل كُلَّ شعره، ولا تسيطر على ما يختاره من الموضوعات التي يعبر عنها شعرًا كما ادعى البعض، ولكن شعر المداعبة لم يكن إلا اختيارًا عابرًا فرضته العلاقات الطيبة مع أصدقائه، وهو اختيار لا ينفي التعدد في أغراض شعره ولا الإجادة في هذه الأغراض.

نشأ الشاعر في بيت علم، ودرس هو مع أخيه الشيخ محمد سليمان الجراح النحو والفقه على أيدي عدد من علماء عصرهما، وكان من أولئك العلماء الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، وهو عالم مصلح شهير قام بتعليم وتخريج عدد من العلماء، كما إن ممن دَرَس هذان الأخوان على يديه الشيخ أحمد عطية الأثري، وهو كذلك عالم له وزنه في علوم العربية والفقه.

يمتاز شعره بالرقة والمتانة في الوقت نفسه، وهو شعر لا يزال متداولًا على الرغم من أنه لم يطبع في ديوان خاص به منذ وفاة الشاعر. والسر في الحرص على تداول شعره يكمن في جودته ورقته.

توفي عن عمر ناهز الخمسين سنة، وذلك في شهر سبتمبر لسنة ١٩٥٧م. وليس لدينا اليوم أي تحديد لتاريخ ميلاده. إلا أنه قد ذُكر لنا تاريخان لذلك هما سنة ١٩٠٦م وسنة ١٩٠٩م.

ومن أجل أن نستكمل صورة حياة داود سليمان الجراح فإننا لابد وأن نذكر أنه كان محبًا للأسفار، فكانت له عدة سفرات إلى الهند ودول الخليج العربي والعراق، وذهب مرة إلى الغوص على اللؤلؤ كما فعل أقرانه آنذاك، وسوف نشير إلى أثر هذه الرحلة التراثية في شعره فيما بعد.

وكان للشاعر عدد من الأصدقاء منهم من ارتبط بهم في المجالس الخاصة، أو مجالس الدرس، ومنهم من عرفهم بحسب ظروف كل صلة من صلاته معهم. ولكنه ارتبط بصداقة متينة مع ثلاثة هم الشيخ أحمد خميس الخلف، والأستاذ الشاعر راشد السيف، والأستاذ جاسم النصرالله.

تبادل مع هؤلاء الرسائل والأشعار على مدى طويل، وبخاصة جاسم النصرالله، وله علاقة مع آخرين يذكرهم في رسائله إلى صديقة جاسم، أبرزهم السيد محمد حسن بلوكي العوضي، وليست لدينا مراسلات بينهما غير أننا نلاحظ كثرة ذكره له في رسائله إلى النصرالله، بل أن الشيخ أحمد الخميس كان يذكره في إحدى رسائله الموجهة إلى الشاعر ناقلًا سلامه إليه مما يدل على معرفته به أيضًا. وأنا أعرف تلك الصلة القوية بين محمد حسن والشاعر داود الجراح وقد شهدت الكثير من لقاءاتهما، وأعرف ما يكنه كل واحد منهما للآخر.

هذا وللشاعر صلة قوية مع رجلين ليسا من الشعراء، ولكنهما رفيقان له في رحلات صيد السمك، إذ تجمع الثلاثة صلة حول هذه الهواية، وهما الملا عبدالعزيز العنجري والملا حسين كدي. ولكي نعرف مكانة هذا الأخير في نفس شاعرنا فإننا نذكر هنا أنه قد رثاه بقصيدتين طويلتين.

وكان للملا كدي صوت جميل يتغنى فيه بالقصائد العربية التي يحبها ويحفظها، والشاعر يعرف له هذه الصفة الجميلة ويحرص على وجوده معه في رحلات الحداق على ساحل الوطية. وقد أشار إلى غناء هذا الملا في إحدى قصائده التي ختمها بقوله:

ويــا نـديمـي كُــدي قـم فَـغَـنِّ لـنـا
يـا صـاحِ سـلْ فـتـيـةً بـالـرمـل قـد بـاتـوا

وقد وثق داود سليمان الجراح رحلة الثلاثة إلى ساحل الوطية، ووصف حبه وحبهم معه لصيد السمك في هذه القصيدة التي أشرنا إليها وهي من أشهر قصائده، ومطلعها:

يـا صـاح سـل فـتـيـة بـالـرمـل قـد بـاتـوا
أهــاجَــهُــمْ مــن طـيـور الأيــك أصــواتُ
لـو كـابـدوا الـشـوق مـثـلـي في الـغـرام لما
ذاقـــوا المـــنـــام، فـــإن الـــقـــوم أمـــواتُ
هـيـهـات مـثـلـي إذا جـنّ الـظـلام غَـدَتْ
لـــه مـــن الـــشـــوق أنـــاتُ وَ زَفْـــراتُ

وعبر عن حبه للموقع فقال:

اشـتـاق لـلـصـخـرة الـسـمـرا ووطـيـتـهـا
يـا لـيـت كـلَّ صـخـور الـبـحـرِ وطـيـاتُ
كـم لـيـلـةٍ بـتُّ فـيـهـا سـاهـرًا دنـفًـا
أصـطـاد حـوتًـا إذا مـا جـاء يـقـتـاتُ
يـا لـيـت لـي ألـف كَـفٍّ أسـتـعـين بـهِ
إذ كـان لـلـحـوت ضَـرْبـاتُ ونَـبْـراتُ

أما صاحبه المرحوم جاسم النصرالله، فعلاقته به علاقة وثيقة، وصلته به نادرة بين الصلات التي تكون بين الناس، هو له صاحب عمر، وهما لا ينفصلان، فإذا سافر أحدهما لم تنقطع الرسائل بينهما، ولذا وجدنا عددًا كبيرًا منها يعبر كل واحد منهما برسالته عن كل ما يخطر بباله مما يراه يُدخل السرور على صاحبه.

مر جاسم النصرالله بصديقه داود سليمان الجراح وكان ناويًا السفر، فأحب أن يودعه قبل السفر، ولكن سفره مع ذلك كان مفاجئًا، ولم تمض أيام إلا وقد وفدت منه رسالة من البحرين، وَجَّهَها إلى صاحبه، وقد أورد فيها بيتين هما قول الشاعر:

مـا اخـتـرت تـرك وداعـكـم يـوم الـنـوى
والـلـــه لا مَـلَـلٌ ولا لِـتَـجَـنُّـبِ
لـكـن خـشـيـتُ بـأن أمـوتَ صبـابـةً
فـيـقـال أنـتَ قـتـلـتـه فـتـقـاد بـي

وأضاف إلى هذه الأبيات قوله:

«هذان البيتان يُفَسران قولي لك حين سفري من الكويت عند سؤالك لي: متى يُقلع البوم؟ أجبت غدًا، والحال أنه ليس ما بين الوقت الذي كنت فيه عندك، وإقلاع السفينة إلا ساعة واحدة، وكل ذلك عملته صدودًا مني عن موقف الوداع».

وهذا النموذج من المراسلات يدل على العلاقة الحميمة التي كانت قائمة بين هذين الصديقين وعلى المحبة التي تجمع بينهما.

وأخيرًا فقد جاء وقت الاختيار من شعر الشاعر، وقد اخترنا له أبياتًا مشابهة من حيث الموضوع للأبيات التي أشرنا إليها، وهي التي ذكر فيها (الوطية)، ذلك أن اختيارنا وقع على قصيدة عنوانها: «فوق الرمال»، يتحدث فيها عن الطيور وتغريدها، والرياض وجمالها، ورمل البحر المنبسط بالقرب من الساحل، ثم البحر نفسه وما يُضفيه على النفس من شعور بالجلال والهيبة، يقول:

أطـربـيـنـا يـا طـيـور الـشـجـر
واحـتـسـي الـطـل بـكـأس الـزهـرِ
رددي الألحـان أنـغـامًـا لـهـا
تَـطْـربُ الأسـمـاعُ عـنـد الـسَّـحَـرِ
إنـهـا أعـذبُ صـوت عـنـدنـا
مـن فـنـون الـضـرب فـوق الـوتـرِ

يا طيور الروضِ نحنُ عصبة
كلنا نَهْوَى غناء السَّمرِ

طارحينا الحب، أشجينا على
نفحات من شذاه العطرِ

نحن فوق الرمل والرمل لنا
كبساط سندسي أصفرِ

حولنا البحر كمراة صفت
عُكست فيها فنونُ الصورِ

قد قضيناها أويقاتٍ حَلَتْ
فوق رمل السّيف تحت القَمَرِ

لا رقيبٌ عاق أسباب اللقا
لا ولا واش قبيحُ المنظرِ

نتعاطى من أحاديث الهوى
أكؤسًا فاقت كؤوس السكَرِ

آهِ ما أعذبَ أوقاتِ الهنا
نُظمَتْ عقدًا لنا كالدُّررِ

يا لها من خلسة لو أنها
بنفيس المال تُشْرى، أَشتري

ذكريات قد تولّت ولها
بين جنبيَ عظيمُ الأثرِ

تلك أهنا عيشة قَضيتها
مع أخوان الصفا من عُمُري

وفي هذه القصيدة تعبير عن العلاقة الأخوية التي تجمع الشاعر بأصدقائه، وتجعل اللقاء بهم أمرًا مُحببًا إلى نفسه، فهو لا ينسى ما بينهم من ذكريات لها في نفسه أعظم الأثر. ولقد كانت هذه الذكريات، كما قال: صورة لعيشة هانئة قضيتها مع أخوان الصفا أعدها من أجمل أيام عمري.

وهذه قصيدة أخرى ذات منحى مختلف عن منحى القصيدة السابقة. فهذه قصيدة اعتذار عن عدم زيارته للشيخ عبدالعزيز حمادة، وهو من علماء الكويت البارزين، وكانت له علاقة قوية بالشاعر الذي انقطع عن الزيارة عندما وجد الشيخ مشغولاً بعمل القضاء، وهو عمل يقتضي تفرغه، ويجلبُ له في الوقت نفسه عددًا من الزوار الذين لا نفع لهم، ولا خير فيهم.

يبدي أسفه وعذره في ثمانية أبيات لطيفة التناول للموضوع. وهو منذ البداية يرى أن عذره محققٌ، يعبق بعبير الصراحة. ثم يقول له إنني لستُ منافقًا مثل هؤلاء الذين تكاثروا عليك كما يتكاثر الذباب ، وأنت مشغول عنهم بهذا العمل الكبير الذي توليته عن استحقاق لعلمك وفضلك. وأضيف إلى ذلك أنني أبغض لقاء بعض هؤلاء الناس لأنني أعرف أن من أسباب مجيئهم إليك النفاق والرياء:

إليك اعتذاري وهو عذرٌ محققُ

وإن به عرف الصراحة يعبقُ

لئن كنت قد أقللت عنكم زيارتي

فما مذهبي في الود أني أُنافقُ

تهافت قوم كالفراش وهرولوا

إليك سراعًا، والكثير تملقُ

وبـعـض أنـــاسٍ لا أُحـــبُ لـقـاءهـم
ولـم أرضَ أنـي صـامـتٌ وهـو نـاطـقُ

ومنها هذا البيت المقنع:

إذا كـان مـعـمـورًا فـؤادي بحبكم
فـمـاذا عسى يُـجـدي الـنَّـوى والـتـفـرقُ

اعتذر الشاعر فأجاد، واحتفظ بود صاحبه

رحم الله داود سليمان الجراح وصحبه.

****

٢١ - راشد السيف

الشاعر الكبير راشد السيف من شعراء الكويت الذين كان لهم صوت شعري قوي، ومشاركة أدبية واجتماعية في شتى نواحي الحياة الكويتية.

ألقى شعره في الاحتفالات المتنوعة التي كانت تقام في البلاد وفق مناسبات جرت العادة على الاحتفال بها. ونشر شعره في المجلات، وَقَرَأَهُ بين أصحابه الذين كانوا يلتقون حوله رغبة في سماع ما يلقيه عليهم من شعر.

وأخيرًا فقد صدر له ديوان ضخم مكون من ثلاثة مجلدات نشرته مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وقصائد هذا الديوان فيها الدلالة على إنتاجه الغزير، ومداومته على التعبير منذ شبابه إلى أيامه الأخيرة، إذْ إننا نجد عددًا كبيرًا من القصائد في هذا الديوان وهي تحتوي على موضوعات متنوعة قلَّ أن نجد شاعرًا يخوض فيها كلها في وقت واحد، فإن له قصائد وطنية، ومدرسية، وقصائد في مدح من يستحق من أهالي الكويت الذين عاصرهم فوجدهم أهلًا لذلك. وقصائد الرثاء والوصف وقصائد التعبير عن الحالات الاجتماعية التي يعيشها الناس وعاشها الشاعر معهم.

ولقد وجدت أن من الواجب عَلَيَّ أن أهتم بهذا الشاعر، وأن أبذل جهدي في تقديم شعره، وبيان تأثير البيئة الكويتية فيه، ذلك لأنني أرى في راشد السيف

- بصفة خاصة - أستاذًا وصديقًا في الوقت نفسه ومن حقه علي أن أسهم في إحياء ذكره بالقدر الذي أستطيع أن أقوم به في ضوء ما لديَّ من معلومات تدلني عليها ذكرياتي الخاصة معه وأشعاره المتنوعة الغنية بمختلف الموضوعات.

وواقع الأمر أنني لا أنسى أول يوم شاهدت فيه هذا الشاعر، ولقد كان يومًا مهمًّا في حياتي لأنه أول يوم أَلْتَحِقُ به بالدراسة النظامية عندما كنت صغيرًا، وكانت المدرسة التي أخذ والدي بيدي إليها هي المدرسة الأحمدية، والأستاذ راشد السيف هو ناظرها. ولقد ابتدأت - يومذاك - مسيرتي الدراسية بناء على توجيهاته.

مرت بنا الأيام فانتقلت من مدرسة إلى أخرى، ثم التقيت به مرة ثانية، وقد أدركت المرحلة الثانوية من دراستي، وذلك في سنة ١٩٥٦م، وصارت لي معه لقاءات متعددة، وبدأت استمع إلى شعره الجديد وشعره القديم، وبقيت علاقتي به مستمرة إلى حين وفاته رحمه الله.

مما أسعدني أنني أصدرت بالتعاون مع الأخ المرحوم فيصل السعد كتابًا صغيرًا فيه تذكير بالشاعر، ودعوة إلى الاهتمام به، ثم سعيت إلى نشر ديوانه، فوجدت استجابة فورية وكريمة من الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين الذي أمر بطبعه على حساب مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وكان لي في إصداره دور المراجعة والتقديم. وعندما تم صدور هذا الديوان وجدت أن من واجبي أن أقوم بدراسة شعر الشاعر لأنه صار الآن كاملًا أمامي، وقمت لذلك بإصدار كتابي: «انطباعات كويتية في شعر الشاعر راشد السيف» ولا أزال أرى أن هذا الرجل يستحق المزيد من الاهتمام فهو من شعراء الكويت الأوائل وهو - أيضًا - من أوائل المربين الكويتيين.

وإننا لنختار له هنا شيئًا من شعره حتى يطلع عليه من لم يقرأ الديوان، وسوف لا نكثر من ذلك لأن المجال لا يسمح بالمزيد من الاختيار، ولكننا نكتفي بما يلي:

أولًا: هذه القصيدة قالها بمناسبة حفلة أقامها النادي الكويتي الأهلي خلال خمسينيات القرن الماضي حين زار الكويت المجاهد محمد البشير الإبراهيمي ممثلًا لجمعية العلماء الجزائريين وداعيًا إلى دعم الجزائر في جهادها. وقد احتفى به النادي المذكور وأقام له حفلة تكريم كان من الذين أسهموا بها الشاعر راشد السيف الذي ألقى قصيدة تحدث فيها عن شعره وعن النوادي ورحب بالضيف الكبير، ومما قاله:

وما الشعرُ إلا وحيُ روحٍ تأثرتْ
بما حولها من ذكر ماضٍ وحاضرِ
وما الشعرُ إلا زفرةٌ عن تَأَوّهٍ
يضيق بها عن باطن الصدر ظاهري
وما الشعرُ إلا نار ذكرى تأججَت
فَهَوْجَاؤُهَا ما بين رقصٍ وسامرِ
وما الشعرُ إلا للشعوب محركٌ
لو استسلمت للجور من حكمِ جائرِ

وقد أنهى قصيدته بالثناء على النادي وما شاهده فيه من نظام، ومن تعاون تام بين الأعضاء، واهتمام بأداء الرسالة التي نشأ النادي الكويتي الأهلي من أجلها.

وإضافة إلى ذلك فإن اهتمامات راشد السيف متعددة، وكان لا يترك فرصة يستطيع أن يعبر فيها عن رأيه دون أن يغتنمها. ولذلك فإننا نراه وقد سرّه

المعرض الفني الذي أقامه المرحوم معجب الدوسري يَكْتُب عنه قصيدة جميلة. وعندما أقامت إدارة معارف الكويت موسمها الثقافي وجلبت له عددًا من العلماء والأدباء والمفكرين قال راشد السيف في ذلك قصيدة عنوانها: «حول الموسم الثقافي»، وعندما وجد الأحداث السيئة تلم بالأمة العربية من كل مكان توجه إلى زعمائها قائلًا:

إلـــى الــرؤســـاء والـــزعـــمـــاء إنـــي
أقـــول صـــراحـــة أنـــتـــم وصـــايـــا
وإن شــعــوبــكــم فـــي كـــل أرض
أمـــانـــات لـــهـــا خـــيـــر المـــزايـــا
فـظـنـــي لا يـــزال بـكـم جـمـيـلا
عـــلـــى أمـــلٍ تـــؤيـــده الـــنـــوايـــا
ولـــو أن الـــعـــروبـــة لـــم تُـحـــارِبْ
بـــصـــف واحـــــدٍ كـــانـــت سـبـايـا

وكثرت في قصائده تلك القصائد التي يدعو فيها الشباب إلى التكاتف وخدمة الوطن وتوحيد الكلمة والدعوة إلى نصرة الحق وأهله، كما كثرت قصائده التي قالها في المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف والهجرة والإسراء والمعراج. واهتم – أيضًا – بالتعبير عن تقديره للجهود التي تقوم بها مدارس الكويت كالمعارض والمهرجانات، فكان يمتدح كل جهد بارز في هذه المجالات.

وتحدث عن كثير مما يجول في الوطن العربي من أحداث وخص الوحدة التي تمت بين مصر وسورية بقصيدة جميلة. وله اهتمام بكثير من أحداث العالم ومنها قصيدته التي نوه فيها بالصاروخ الروسي الأول.

ثانيًا: قد تكون الظروف تَسْمحُ الآن لكي أتحدث عن أمر جرى بيني وبينه على طريقة الشعر، ذلك لأنني في السنوات الأخيرة من خمسينيات القرن الماضي كنت متفرغًا للدراسة في مصر حيث التحقت بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة. ولقد مرت بي أيام انشغلت بها كثيرًا في الاستعداد للدراسة ثم للتكيف مع نظام الحياة الذي كان جديدًا عليّ فلم أرسل إلى شاعرنا رسالة لمدة عدها طويلة وأنا معذور في ذلك. وجاءني منه خطاب يعتب عليَّ بسبب التقصير في حقه. وقد وجدت أن ما في نفسه من العتاب لا يزيله إلا الشعر، فكتبت إليه أبياتًا أبسط له فيها عذري، وأطلب منه العفو عن تقصيري تجاهه، وهو تقصير غير مقصود. وقد أدت قصيدتي إلى النتيجة المرجوة منها، فقبل العذر، ورد عَلَيّ بقصيدة على وزنها وقافيتها وهي مثبتة في الجزء الثاني صفحة ٢٨٦ من ديوانه: «السيفيات»، يقول راشد السيف:

أتـــانـــي الـــنـــثـــرُ والـــشـــعـــرُ
بِـــسَـــبْـــكٍ صـــاغـــه الـــعُـــذرُ
فـــلـــم أعـــجـــب كـــإعـــجـــابـــي
بـــأخـــلاق هـــي الـــفـــخـــرُ
خـــلـــيـــلـــي لـــم أجـــد إلا
وفـــاءً مـــا لـــه قـــدرُ
بـــهـــذا يـــا ابـــن آدابِ
يـــنـــادي الـــســـرُّ والـجـــهـــرُ
وهـــــذا غـــيـــر مـــنـــكـــور
لـــكـــم مـــن مـــثـــلـــه الـــشـــكـــرُ

ثم أنه يعتذر بعد ذلك ويعتبر أنه استعجل في قبول ظنه بي، فقال:

فـــــعــــــذرًا إن تــقــصــيــري
لأمـــــر فـــاتـــه الـــصـــبـــر

ويكمل:

شـــعـــوري نـــحـــوكـــم شـــعـــرُ
وإحـــســـاســـي بـــــه ذكـــرُ
أمـــــام الـــعـــيـن مـــا زلـــتـم
وفـــــي قـــلـــبـــي لـــكـــم قـــصـــرُ
لـــســـانـــي بـــالـــثـــنـــا رطـــبٌ
وُجُـــــوبٌ تـــركـــه كُـــفـــرُ

فرحم الله هذا الشاعر، فقد كان يُعَبر تعبيرًا صادقًا. ويكفيني منه هذه القصيدة التي صارت ضمن أهم ما أقتنيه من تحف أدبية وفنية.

لقد عاش الشاعر راشد السيف طوال عمره وهو وَفِي لشعره حريص عليه، وَوَفِي لأصحابه وأحبابه، ولقد عود نفسه على الوفاء وحسن المعاشرة للناس، وظل – كذلك – وفيًا لمبادئه التي نادى بها في شعره كثيرًا. وعاشت في كيانه إلى أن توفاه الله تعالى في اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٧٢م، فمضى مأسوفًا عليه من جميع من عرفه أو استمع إليه أو قرأ له.

****

٢٢ - عبدالعزيز سعود البابطين

الشاعر الدكتور عبدالعزيز سعود البابطين هو بالإضافة إلى أنه شاعر مبدع قد سخَّر نفسه وماله لرعاية الشعر والشعراء، وتشهد على ذلك مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بما تقدمه للشعر في الكويت وفي خارجها من عناية قل نظيرها فهي تقدم المطبوعات التي تضم دواوين الشعراء، وترعى المهرجانات السنوية التي تحيي ذكرى الماضين من شعراء العرب وغيرهم، وهي تقيم المسابقات والندوات وتوالي الاحتفال بكل مناسبة لها علاقة بالثقافة في صفتها العامة وبالشعر في صفته الخاصة.

للشاعر عبدالعزيز سعود البابطين ديوانان من الشعر هما: بوح البوادي ومسافر في القفار، وليسمح لي لذلك أن أسميه شاعر الفلوات كما صنع شيخي الأستاذ محمود محمد شاكر حين سمّى ذا الرمة شاعر الحب والفلوات لكثرة ما يتحدث عن الفلوات في شعره. ولا أظن أن هذه التسمية تضير أبا سعود لأنه - بالفعل - محب للبوادي، ولأنه يهوى السفر في القفار. ولأن الشعراء العرب القدماء لم يهملوا الحديث عن مراتع صباهم ولا عن الأماكن التي عاش فيها مَنْ قبلهم مِنْ أهاليهم، ولذلك فمن يقرأ شعر امرئ القيس وشعر لبيد على سبيل المثال فإنه سوف يجد مدى تعلق الشاعر العربي بالبيئة التي نشأ فيها. ونحن لا نستطيع أن نلتفت عن باديتنا، بل إننا لنرجع إليها نتنسم روائحها،

ونسعد بربيعها الذي تَعُمّهُ الأزهار بعد هطول الغيث. ولا نجد عند محبي البوادي إلا الإعجاب بالجمال الأخاذ للربيع والفرح بمنظر الغدران وهي ممتلئة بمياه الأمطار، ولا نجد مثل إعجابهم بتغريد الطيور وهي مرحة فرحة تردد أصواتها الشجية في ذلك الكون البديع. لذا فنحن لا نعجب حين يتفرغ شاعر من شعرائنا لوصف هذا الجمال وتسجيل آية الربيع التي يراها ماثلة في البادية التي أحبها وأكثر من التردد عليها، يقول:

يــا زمــانًــا فــيــه يــنــمــو زهــرُنــا

ويــضــوعُ الــصــفــوُ عــطــرَ الــيــاســمــيْنْ

وتُــغــنِّــي فــيــه أطــيــافُ المــنــى

بــأغــاريــدِ الــهــوى تَــشْــفــي الحــزيــنْ

يتميز الدكتور عبدالعزيز سعود البابطين بميزات عديدة، فهو إلى جانب نشاطه التجاري الواسع لم يتخلف عن إشباع هوايته الأدبية ولم يتخل عن قرض الشعر الذي أحبه منذ صباه. وكان ديوانه الأول: «بوح البوادي» قد صدر في سنة ١٩٩٥م، وطبع عدة طبعات، ثم صدر ديوانه الثاني: «مسافر في القفار» في سنة ٢٠٠٤م. وهو عضو في عدد من الروابط والمجالس الأدبية في الكويت وخارجها. وعضو في مجالس بعض الكليات والجامعات. ثم إنه حاصل على عدد كبير من الشهادات الفخرية والأوسمة والجوائز ويضاف إلى ذلك عدد من أنواع التكريم التي نالها من الكويت ومن غيرها.

ولن ينتهي الحديث عن أعمال هذا الرجل الذي بارك الله له في ماله وأوقاته وفكره. ولذا فإن ما قدمناه عنه يكفي، مع أنه ليس كل شيء يمكن أن يقال عن جهود عبدالعزيز سعود البابطين المباركة.

ويكفينا أن نذكر أن البطاقة التعريفية الخاصة به ملأى بالمعلومات المتنوعة، وقد أصدرتها الأمانة العامة لمؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وحسنًا فعلت فقد قربت لنا البعيد، وأطلعتنا على ما نريد أن نطلع عليه مما يتعلق بسيرة أبي سعود.

ومع كل ما نقدم هنا فإننا لن نستطيع أن نقول كل شيء عن هذا الشاعر الأديب المبدع الذي له في كل اتجاه عمل نافع.

ولم يكن شعر أبي سعود كله منصبًا على الحديث عن البوادي، ومظاهرها المتعددة، ولا عن أمطارها وغدرانها وقوافلها المنتشرة في كل مكان، ولا عن الأراضي المزهرة بعد هطول نعمة المطر كما قال الأُول:

ألا يا حبّذا نفحاتُ نجدٍ

وريّا روضِهِ غِبَّ القطارِ

ولكن إلى جانب ذلك كله لا يغفل الحديث عن الوطن أو الأصحاب أو البلدان التي يزورها فيجدُ متعته فيها وأقل ذلك لقاؤه بأدبائها وشعرائها. إنه وإن اختار اسمين مميزين لديوانيه يدلان على عشقه للبادية فإن ذلك لم يمنعه من أن يذكر كل شيء يخطر بباله فهو شاعر حساس ينطق - شعرًا - بكل ما يُحس به.

يضم ديوان: «بوح البوادي اثنتين وخمسين قصيدة متنوعة. انظر إليه يتحدث إلى واحد من أصدقائه فيبثُهُ همه، ويعبر له عن طبيعته التي جُبِلَ عليها ، ويذكر أسلوبه في الحياة، وأُنسه حين يخرج إلى الصيد في البادية:

قُلْتُها في كل شعري يا صديقي

وسأبقى قائلاً حتى المآبا

عشتُ للحبِّ وفاءً خالدًا

ردَّدَ الآهَ فؤادي والعتابا

ونشيدي ليس يخبو طَرَبًا

يُرقِصُ العُشَّاقَ طُرًّا والكعابا

يا صديقي حين أبغي قَنَصًا

أطردُ الظبيَ وصقري والذئابا

فَلأَنْسى جُرحَ قلبي والنَّوى

وهمومَ العشق تكويني اغترابا

فأنا في البِّرِّ نفسي حُرَّةٌ

أُبْعِدُ الغربةَ عني والعَذابا

أُطْلِقُ الصقرَ وقلبي خلفَهُ

طائرًا يفتح لي بالأُفقِ بابا

وبعد أن مرت به تجارب الحياة، ومضى به الزمن تغيرت نظرته إلى أمور كثيرة منها هذه الحياة التي وصفها في أبياته المتقدمة، وأصبح رأيه – إلى حدما – متغيرًا، فهو يقول في القصيدة ذاتها وهي بعنوان: «الوفاء الخالد»:

بعد عُمْرٍ قد تقضَّى وانقضى

أهْرَقَ الحسَّ بنفسي والشبابا

أُطلقُ الصقرَ وفكري شاردٌ

أسألُ الصقرَ: تُرى حُبِّيَ آبا ؟

ويقيني أن ما فات انقضى

وهَوانا صار حُلْمًا وسرابا

إنها قصيدة جميلة معبرة عن روح قائلها ونفسه المحبة للحياة، وهو بها يتكلم عن حكايته، ويشرح شوقه إلى الصيد الذي لم ينقطع عنه فهو من هواة القنص الذين لا يدعون فرصة تمر دون اغتنامها للقيام برحلة يرفهون فيها عن أنفسهم ويلتقون خلالها بأصحابهم.

وكل شِعره يدلنا على أنه إنسان حساس، وهذه الشاعرية المتوهجة إنما هي تعبير عن كل ما يُحس به. وهو حين يخاطب الناي في قصيدته: «رحلة في أنغام الناي» إنما يحدثه عن حياته فيم أمضاها وعن زمان تقضى ولكنه كان زمانًا جميلًا كم تمنى أن لو دام له، إنه يقول:

يا نايُ مالكَ تشكو الوصلَ مُتشِحًا
بالحزن والشوق والآهاتِ والألمِ
تبكي الزمانَ الذي ولَّى وتذكُرُهُ
في كل آهٍ بأشكالٍ من السَّقَم
فَبُحَّ صوتُكَ من مَرِّ السنينَ وقد
شاخ الزمانُ بلحنٍ فيكَ مُنسجِمِ

ثم هو يخاطب الناي طالبًا منه أن يهدأ وأن يخفف من نوحه الذي جلب الحزن إليه وذكَّره بماضيه حين كانت جذوة الشوق مشتعلة في نفسه، وحين كان فتى في بدايات حياته. إن نبرة النوح المشجية تذكره بأحباب الأمس الذين مضوا في عتمة الظلام. إنك يا ناي تُقَطّعُ القلب، وتَذهب بي بعيدًا إلى الوراء حيث كانت سنوات الأحلام، إن النوح الآن لا يجدي شيئًا، ولا يَرُدُّ مفقودًا.

وأخيرًا:

أأنــتَ مثلي يـا نــايَ الـهـوى حَـزِنًـا
أم تُـطـربُ الحــيَّ فـي مـزمـاركَ الـهَـرِمِ
نُــحْ مـا تـشـاءُ فـلـن يُـجـديك نَـوحُـكَ يـا
رفــيــقَ دربـــيَ فـالمكـلـومُ لـم يُـلَـمِ

وعندما نصل إلى ختام ما ذكرناه من حديث عن الشاعر الدكتور عبدالعزيز سعود البابطين فإن من المهم أن نقدم له بعض الأبيات من قصيدة وطنية قالها في سنة ٢٠٠١م حين تم اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية وفي القصيدة قوله:

(كـويـتُ) يـا جـنـةً فـي سـاحـة الـعَـرَبِ
ويـا (عـكـاظَ) الـنـهـى والـشـعـر والأدبِ
يـا واحـــةً لـبـسـتْ مـن نَـسْـج خـالـقِـهـا
غلائـلًا من ضـيـاء الشمس في الشُّهُبِ
ونجـوةً في الصحاري البيد قد وصلتْ
مـهـدَ الـنـبـي بمـوج الـشـاطـئ الـذهـبـي
بـالـعلـمِ والحـبِّ والإيمـــان قـد مُـلِـئَـتْ
أيـامُـكِ الـغُـرُّ دومًـــا عـن أبٍ فَـأب

وبعد؛ فهذه نماذج من شعر أبي سعود قدمناها مع بيان لمحة عن أعماله. والواقع أن المرء ليجد في شعره قوة ومقدرة خلاقه، وجاذبية في اللفظ وفي المعنى. ويرى فيه رجلًا حمل على عاتقه كل الأعمال التي أشرنا إليها، ولا يزال سائرًا في الطريق نفسه، وليس مِنَ العجب أن تكون له هذه الروح الشعرية التي قدمت لنا ديوانين جميلين سعدنا بقراءتهما. ونأمل أن يُمِده الله سبحانه بالصحة والعافية والتوفيق حتى يزيد من هذا الإنتاج الجيد شعرًا وفكرًا وعملًا.

****

٢٣ - عبدالرزاق البصير

الأستاذ عبدالرزاق البصير من أدباء الكويت المعروفين له نشاط فكري وأدبي يزاولهما دون انقطاع طيلة حياته، فهو كاتب ومتحدث وخطيب، وهو مشارك في الندوات الأدبية وغيرها، لا يدع مجالاً إلا وشارك في نشاطه. وهو إلى جانب ذلك قارئ نهم لا يترك الكتاب أبدًا، وعلى الرغم أنه مصاب بعينيه فهو قد اتفق مع شخص يتولى القراءة له حتى لا ينقطع عن مورد الثقافة العذب وهو الكتاب.

قرأت للأستاذ عبدالرزاق البصير في المجلات القديمة مثل البعثة والرائد. وقرأت له في جرائد الكويت التي صدرت بعد ذلك، فهو لا يتردد في المشاركة عندما يُدعى إليها، ولكني عرفته عن قرب عندما عملت في وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام حاليًا) وكان أمينًا لمكتبتها. وهي مكتبة مليئة بالكتب القيمة، تتيح لروادها فرصة القراءة في مكان هادئ معد لمثل هذا الأمر، فكنت أزوره فيها ويسعدني دائمًا أن أجد في صحبته صديقه الحميم الأستاذ أحمد البشر الرومي، وانقلبت المعرفة العابرة إلى صداقة متينة فصرت أتبادل معه الزيارات، وكم سرني بحضوره إلى ديوانية الثلاثاء وحديثه الشيق فيها مما أكسبه محبة الحاضرين إعجابًا به وبما يحمل بين جنبيه من علم وأدب.

الاسم الكامل لهذا الأديب هو عبدالرزاق إبراهيم عبدالله، وقد أطلق عليه محبوه لقب البصير لأنه وإن فقد البصر فقد ملك البصيرة وصار حاذقًا في

الطريق الذي سلكه وهو طريق الفكر والأدب والنقد. ولد في سنة ١٩٢٥م، في منطقة شرقي العاصمة الكويتية. وقد درس في كُتّاب المطوعة صالحة الشمالي وقرأ عندها القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله علية وسلم، ثم درس على يد أحد العلماء قواعد النحو والدين والفلسفة القديمة، وحضر عددًا من حلقات العلم واستمع إلى ما يُلقى فيها من دروس الفصاحة والبلاغة. واستطاع عن طريق شخص يقرأ له أن يتابع عددًا من المراجع في مختلف مجالات الثقافة حتى أجاد كل ذلك.

ومع مرور الزمن، وبالمثابرة وحب الوصول إلى المستوى اللائق فقد استطاع أن يشق طريقه بين كتّاب الكويت فنال شهرة واسعة بينهم واكتسب اهتمام قرائه ومتابعي إنتاجه الفكري، وذلك على الرغم من فقدانه لبصره منذ كان في السنة الرابعة من عمره.

اشتغل في القضاء الشرعي الخاص بالأحوال الشخصية، ثم صار مأذونًا إلى سنة ١٩٥٤م. وكانت له صلات جيدة مع عدد من الأدباء في خارج الكويت، ولذا فإننا وجدنا الدكتور طه حسين وقد عرف قدر أديبنا يرشحه لعضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة.

وقد أمضى حياته في اكتساب العلم عن طريق مكتبته الخاصة التي تضم آلاف الكتب في مختلف الموضوعات.

وكان لا يتردد في الاشتراك بالأنشطة الاجتماعية، فهو عضو في النادي الثقافي القومي في سنة ١٩٥٢م. وعضو في لجنة التراث العربي والبحوث والترجمة. ولجنة الرقابة، ورابطة الأدباء الكويتيين، وكان عضوًا منتخبًا في مجلس هذه الرابطة منذ سنة ١٩٦٧م حتى سنة ١٩٨٠م.

وكان أول مقال نشر له في جريدة البحرين سنة ١٩٤٣م، ثم تتابعت مقالاته في عدد من الصحف المحلية والخارجية.

هذا وله عدة مؤلفات منها: كتاب تأملات في الحياة والأدب، في رياض الفكر، شعراء مجهولون معروفون، الخليج العربي والحضارة المعاصرة، نظرات في الأدب والنقد، الجريمة الكبرى في الكويت وأمانة القلم، وهو حديث عن الغزو العراقي الغاشم للبلاد.

ولعل من المناسب هنا أن نتحدث عن أول كتاب صدر له، وهو كتاب: «تأملات في الأدب والحياة»، وقد نشرته مكتبة الأمل بالكويت في سنة ١٩٦٨م، وهو مجموعة من المقالات التي سبق له نشرها، وقد قدم له بعبارات تدل على تواضعه وحكمته، ولذا فإنه يقول: «وكاتب هذه السطور يعتقد في نفسه أن طاقاته الفكرية والفنية طاقات محدودة جدًا، وهو إذ يُقَدم هذه الأحاديث المتواضعة إنما هو من باب الاستجابة لكثير من الأصدقاء».

ثم يعرب عن تواضعه مَرة أخرى فيقول:

«ثم إنه يرى في تقديمها نوعًا من التعليم للكاتب نفسه. فربما يقرؤها ناقد نزيه فيتفضل بإرشاده إلى ما ابتعد عنه من صواب في الفكر، وتنبيهه إلى ما غفل عنه من خطأ في الأسلوب».

ويكفينا ذلك كشفًا عن شخصية الأديب الكبير عبدالرزاق البصير، حتى إذا نظرنا نظرة تأمل إلى الموضوعات التي وردت في هذا الكتاب وجدناها موضوعات قيمة ومتنوعة يحتاج إلى الإلمام بها كل راغب في التزود من المعرفة.

يبدأ بموضوع الثقافة، فيتساءل لماذا نتثقف ؟ ثم يتحدث عن الإنسان والثقافة مبينًا حاجته إليها وضياعه بدونها، ثم يخوض في مسائل أخرى بادئًا بمقال هو خواطر في الأدب، ثم آخر عن العلم والأدب. وَيُكَلل كل ذلك بحديث عن الأدب الكويتي مع بيان ملامحه، ليتجه بعد ذلك إلى الفلسفة بمقال عنوانه قليل من الفلسفة، ثم النظرة الصحيحة للحياة، لينتقل بعد ذلك إلى حديث من صميم الواقع.

ولما كان حبه للقراءة غامرًا، فهو لا يجد فكاكًا من الحديث عنها بين وقت وآخر فهذه عدة مقالات تدور حول هذا الموضوع هي:

١ – جولة في أدب الأطباء.

٢ – البطولة في الشعر العربي الحديث، وهذا المقال من الموضوعات التي شارك بها في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في الكويت سنة ١٩٥٨م.

٣ – الشعوبية في الأدب العربي.

ثم ختم الكتاب بموضوعين مهمين هما عناية العرب بالأعياد، ثم عمورية وهذا المقال الأخير سبق له أن نشره في مجلة حماة الوطن التي يصدرها الجيش الكويتي، وفي بدايته يقول: إنني عندما دُعيت إلى الكتابة في هذه المجلة العسكرية؛ وجدت من الملائم أن أكتب عن إحدى مفاخر العرب وهي كثيرة، ولكني اتجهت إلى حادثة معينة كانت ولا تزال في أذهان العرب منذ أيام الخليفة العباسي المعتصم والشاعر أبي تمام. وقد روى الأستاذ البصير حكاية الحرب التي جرت في عمورية حين قام المعتصم بنجدة أهلها عندما صرخت امرأة منهم

قائلة: «وامعتصماه» فلم يهدأ لهذا الخليفة بال حتى حطم أولئك الذين هاجموا عمورية واحتلوها، وكانت قصيدة أبي تمام شاهدًا عليها، إذ يقول:

السيف أصدق أنباءً من الكُتُبِ
في حده الحد بين الجِد واللعبِ
بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائف في
متونهنَّ جلاءُ الشك والريَبِ
والعلمُ في شهب الأرماح لامعةٌ
بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ

والشاعر يشير في هذا إلى ما كان من أهم ما رفع مجد الخليفة المعتصم، فقد تصدى له العرافون والذين يبحثون في الطوالع بواسطة النجوم وقالوا له: ارجع فإنك لن تنتصر في هذا الوقت لأننا نرى في طالعك أن يكون نصرك في غير هذا الوقت. ولكنه لم يتردد ورمى بكلامهم عرض الحائط، وتوجه إلى نجدة البلدة المسلمة وخاض حربًا كبيرة كان نصيبه الانتصار فيها، ولذا قال أبو تمام:

أين الروايةُ بل أين النجومُ وما
صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كَذِبِ
تَخرصًا وأحاديثًا ملفّقةً
ليست بنبعٍ إذا عُدّت ولا غَرَبِ

كان لإقدام الخليفة على المعركة على الرغم مما سمعه من المتخرصين دافعًا للناس حتى يكونوا معه، ويسيروا إلى حيث سار.

وفي آخر القول نتساءل: هل كان البصير شاعرًا؟ وفي الإجابة على ذلك صعوبة، فالرجل يحب الشعر ويحفظه، وقد درس عروض الشعر، واجتمعت له

في مكتبته أعداد كثيرة من الدواوين الشعرية، ولكنه يأبى أن يظهر تمكنه من قرض الشعر، واكتفى بإبراز موهبته في الكتابة والخطابة. ولكنه شاعر له شعر جيد لمن يحاول أن يصل إليه، وقد وجدت دليلًا على ذلك في مقال كتبه في خمسينيات القرن الماضي أورد فيه بعض الأبيات التي نختارها له هنا، ولكنها تحتاج إلى المقدمة التي ساقها ضمن مقاله قبل أن يقدم الأبيات، فإنها مقدمة لا مناص من ذكرها، يقول:

« كثيرًا ما يقيم سِواق السيارات من أبواق سياراتهم الغليظة حفلة موسيقية تصم الآذان ، وتزعج الحيوان، فضلًا عن الإنسان، وقد أقاموا حفلة من هذه الحفلات الخشنة في الشارع الجديد، أمام مكتبة المعارف وهو مكان يأتيه الذين يؤثرون عقولهم كل الإيثار، لأن فيه كل ما يحب القارئ، من كتب أدبية وعلمية وتاريخية، والمكتبة بناء محكم يكون فيه الصدى مضاعفًا، وقد كان صاحبي يقرأ لي (رسالة الغفران) وقد كنت غارقًا فيها وإذا بهذه الأصوات الغليظة تأخذنا من كل جانب ومكان، فانزعجت كما انزعج كل من كان جالسًا في ذلك المكان الحبيب، واضطررنا إلى التوقف عن القراءة حتى اجتاز ذلك الرتل من السيارات وابتعدت عنا تلك الأصوات، وإذا بشيطان الشعر يتحرك ويملي عَليَّ هذه الأبيات، وقد أردت أن لا أنشرها بين الناس لأن قافيتها لم ترقني والحق يقال، ولكنني ذكرت أنها جاءت على نسق آيات في سورة الحاقة، وسورة القارعة:

والأبيات هي:

يا معشرَ السُّواقِ رفقًا بنا

فإنكم من بعض إخوانيهْ

لـــذا تــقــدّمــتُ لــكــم نــاصــحًــا

والــنــصــح لــلــمــســلــم مــن دأبــيــه

تــقــبــلــوا الــنــصــح بــكــل الــرضــا

ولا تــكــنْ عــنــدكــم لاغــيــه

تمــهــلــوا فــي ســيــركــم ولــتــكــن

نــفــوســكــم شــريــفــةً ســامــيــه

هــلاّ عــلــمــتــم أن أرواحــنــا

عــزيــزةٌ حــبــيــبــةٌ غــالــيــه

تــهــوى كــمــا تــعــشــق أرواحــكــم

حــيــاتــنــا المــتــرفــة الــفــانــيــه

جــمــالُ ســيّــاراتــكــم فــاتــنٌ

فــتــنــة غــيــدٍ بــالحــلــي حــالــيــه

نــاعــمــة الأجــســاد بــراقــة

ألــوانــهــا جــذابــة زاهــيــه

لــكــنــمــا أبــواقــهــا إن بــدت

أصــواتــهــا مــزعــجــة نــابــيــه

رؤوســنــا صــدعــتــمــوهــا بمــا

تــبــدون مــن أصــواتــهــا المــؤذيــه

إن لــم تــكــفــوا بــعــض هــذا الأذى

أصــرخ فــيــكــم صــرخــةً عــالــيــه

****

٢٤ - عبدالله محمد العتيبي

لا نحتاج إلى مزيد بيان عن هذا الشاعر الذي عم شعره آفاقنا. وأمضى حياته في غناء جميل للوطن. حتى أُطلق عليه لقب: «عاشق الدار»، إن شعره كله يعبر عن هذا العشق العميق للكويت وأهلها. وله حول هذا الموضوع قصائد صارت على كل لسان، وعلى الأخص عندما غناها طلاب وطالبات المدارس في الحفلات الوطنية.

هذا هو الشاعر عبدالله محمد العتيبي الأكاديمي الأديب الذي غمر الساحة الأدبية بشعره الجميل، وأبحاثه النافعة التي تطرق خلالها إلى موضوعات أدبية ونقدية متنوعة لا ننسى منها عمله الخاص بالشعر النبطي فقد أجاد فيه وأبدع.

ولد في الكويت سنة ١٩٤٢م، وابتدأ دراسته في مدارسها، وعندما حصل على الشهادة الثانوية من معهد الكويت الديني أرسلته دائرة معارف الكويت إلى مصر فدرس في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وأتم دراسته فيها في سنة ١٩٧٠م، وفي سنة ١٩٧٤م حصل على شهادة الماجستير من الكلية ذاتها، وكان عنوان رسالته: «شعر السلم في العصر الجاهلي»، واستمر في التحصيل حتى إذا جاءت سنة ١٩٧٧م نال شهادة الدكتوراه من كلية دار العلوم أيضًا، وكان موضوعها: «الحرب والسلم في الشعر العربي من صدر الإسلام إلى نهاية العصر الأموي».

وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه انتظم بالعمل في كلية الآداب بجامعة الكويت، وقد تدرج فيها من مدرس إلى أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية. ثم صار رئيسًا لقسم اللغة العربية بالكلية ذاتها، وقد تولى رئاسة هذا القسم لعدة مرات صار بعدها عميدًا مساعدًا في سنة ١٩٨٣م، ثم تولى عمادة كلية الآداب.

وإلى جانب ذلك فإنه تولى عددًا من المهام منها ما يلي:

١ - نائب رئيس مجلس إدارة وكالة الأنباء الكويتية (كونا).

٢ - عضو مجلس إدارة المعهد العالي للفنون الموسيقية.

٣ - عضو في رابطة الأدباء الكويتيين. ثم صار أمينًا عامًا لها، وعضوًا للجنة الاستشارية التي تشرف على مجلتها: «البيان».

ولم يتأخر يومًا عن المشاركة في الأعمال الثقافية بكافة أنواعها وأساليبها، إذ كان يحضر المؤتمرات والندوات التي يُدعى إليها، وكان حريصًا على المشاركة في الأمسيات الشعرية التي تقيمها رابطة الأدباء الكويتيين وغيرها من الجهات المعنية بالثقافة بصفة عامة. ومن أنشطته أنه تولى رئاسة مجلس إدارة المجلة العربية للدراسات الإنسانية التي تصدرها جامعة الكويت، وكان رئيسًا لتحريرها لفترة من الزمن.

عني بالبحث الأدبي فأصدر عدة كتب منها على سبيل المثال كتاب: «الشاعر عبدالله سنان، دراسة ومختارات» وكتاب «دراسات في الشعر الشعبي الكويتي» وله عدة مجموعات شعرية هي:

١ - ديوان مزار الحلم.

٢ – ديوان طائر البشرى.

٣ – من أغاني الوطن؛ المقاومة والتحرير.

٤ – ديوان «أنا الكويت».

٥ – ديوان «أهل الكويت».

وكما أشرنا من قبل فإن هذا الشاعر المبدع قد أنجز عددًا من الملاحم التي يطلق عليها عادة «الأوبريتات». وكانت تقدم مغناة يشترك في تلحينها الفنان غَنَّام الديكان، وفي غنائها الفنان شادي الخليج، كما اشترك في أداء الحركات المصاحبة للأناشيد عدد كبير من طلاب وطالبات مدارس الكويت وقد انطلقت هذه الملاحم في الأعياد الوطنية على مسرح معاهد التربية الخاصة. وحصلت على اهتمام الناس جميعًا. حتى لقد صاروا يحرصون على جمع تسجيلاتها لمعاودة الاستماع إليها ولقد سمعنا وشاهدنا من هذه الملاحم:

١ – صدى التاريخ.

٢ – مواكب الفداء.

٣ – الخطوة المباركة.

٥ – قوافل الأيام.

٦ – أنا الآتي.

٧ – الزمان العربي.

وهنا نلاحظ أن إنتاج شاعرنا كان إنتاجا غزيرًا في التأليف وفي قرض الشعر على الرغم من أنه لم يطل المكث معنا، إذ وجدناه وهو في قمة عطائه يغادرنا إلى دار البقاء في سنة ١٩٩٥م.

كُتبت عن شعر عبدالله العتيبي مقالات كثيرة تشيد بإنتاجه، وتأسف لوفاته المبكرة، فهولاء الكتاب كانوا يأملون أن لو استمر في طريقه هذا لأنتج لنا المزيد، ولكن إرادة الله لا تُقهر أبدًا.

وهناك كتابان عنه لا بد من الإشارة إليهما هنا؛ وهما كتاب الأستاذ هاشم السبتي الذي أعده على عجلة من أمره بعد وفاة الشاعر بوقت قصير وجمع فيه ما كُتب عنه ونماذج من إنتاجه، أما الكتاب الثاني فهو من تأليف الدكتور توفيق الفيل الذي زامل الشاعر بالتدريس في كلية الآداب بجامعة الكويت، وكتابه بعنوان: «شعر عبدالله العتيبي، دراسة موضوعية وفنية»، وقد قام بنشر هذا الكتاب مركز البحوث والدراسات الكويتية سنة ٢٠٠٩م. وقد بدأ الكتاب بتصدير كتبه رئيس المركز الدكتور عبدالله يوسف الغنيم أشاد فيه بالشاعر وبدوره الوطني وحبه لبلاده وأهل بلاده، وبين علاقته به. وفي ختام التصدير قال: «رحم الله عبدالله العتيبي فقد كان بحق قيثارة وطنية صدحت أعذب الألحان، وأصدق الأحاسيس».

وفي كتاب الدكتور توفيق الفيل دراسة وافية تحدث فيها عن الشعر والشاعر، وبين رأيه في ذلك بكل وضوح فهو رجل أكاديمي يحرص على الصدق في عمله. وقد صدقنا فيما كتب عن الشاعر العتيبي، وفيما أبداه من آراء حول شعره الجميل.

ولقد التفتُّ إلى فقرتين مهمتين في قصيدتين للعتيبي، فرأيت أن من الأفضل أن أقدمهما هنا ضمن المختارات التي اعتدت تقديمها، وهما:

١ - قصيدة كتبها الشاعر ووجهها إلى صديقه الدكتور عبدالله يوسف الغنيم وذلك عندما أحس بفرحة غامرة حين علم بفوزه بجائزة الكويت للتقدم العلمي في سنة ١٩٨٨م. وقد جاءت قصيدته هذه طويلة معبرة عن مشاعره تجاه الصديق وتجاه الوطن بوجه عام. ولقد وجدت أن من المناسب أن أقدم هذه الأبيات التي جاءت في ختامها ففيها تعبير صادق، وعاطفة نبيلة:

عرائسُ المجدِ أرختْ من ضفائرها
تيهًا، وأنت الذي جلّلتها تيها
دنا لك النورُ فاصعدْ في معارجِهِ
إلى قطوف الأعالي في أعاليها
إن الجوائزَ قد تسمو بنائلِها
ورُب جائزةٍ خابت مراميها
وربَّ جائزةٍ نالت بنائلها
قلادةً نظمت فخرًا لآليها
عفوًا(أبا يوسف) هل أنت نائلها؟
أم أنها بك قد نالت أمانيها

إنه ختام نبيل لقصيدة نبيلة.

٢ - وقع الاختيار الثاني من شعر شاعرنا عبدالله محمد العتيبي على قصيدة من قصائده هي: «عاشق الدار»، وقد أطلق عليه لقب «عاشق الدار بسببها، كان قد كتبها في سنة ١٩٩٥م، وهي سنة وفاته، وبذا فهي من آخر

ما قاله من شعر فشدا به للوطن معربًا عن محبته له. وتتكون هذه القصيدة وهي طويلة جدًا، وقد أُعدت لكي تقدم بمناسبة العيد الوطني في السنة التي كتبت فيها. وتتكون من عدة فقرات، وتتناول كل فقرة منها موضوعًا يهم الوطن وتختلف قوافي هذه القصيدة باختلاف فقراتها.

إن الشاعر ليتذكر ماضي الكويت في مختلف أحوالها، ويتكلم عن الأنشطة العامة التي يقوم بها الناس كبارًا وصغارًا.

وأخيرًا فإن هذه هي الأبيات التي اخترناها من القصيدة التي أشرنا إليها. وهي إحدى فقراتها الدالة عليها معنى ومبنى:

يا عاشق الدار ما أشجاك أشجانا
فَغَنِّ من شوقنا للدار ألحانا

وادعُ الكريم الذي قد فَك كربتنا
بأن يَفُك قريبًا قَيْدَ أَسرانا

قل للحقود الذي ما صان جيرتنا
وما رعى ذِمةً للجار مُذ كانا

هذي الكويت كمثل الشمس باقية
فأين ما زعموا زورًا وبهتانا

إنا شربنا كؤوس النصر مُتْرَعَةً
وأنت تشرب كأس الذل ألوانا

إنا كتبنا على أسوار ديرتنا
لن نرتضي غير هذي الأرض أوطانا

لقد عشقنا ثراها وهي قاحلةٌ
حتى غَدونا بها للصبر عُنوانا

يــا عــاشــق الــدار مــا أشـجـاك أشـجـانــا
فـغـنـنــــا مـــن تُـــــراث الأمـــس ألــوانــا
حُـكـامـنــــا مــــن قـــديـم الـدهــر نـعـرفـهـم
وقــــد بـنـيـنــا مـعًــا لـلـعـــز أركـانـــــا
وَعُـــــدْ بـنـــا لـصـدى الـتـــاريـخ ثـانـيــةً
حــتــى تجـــدّد لـلأجـيـــال ذِكـــرانـــــا

رحم الله عبدالله محمد العتيبي فقد كان رجلًا ذا أخلاق عالية، وكان محبًّا لوطنه ولكافة صحبه عزيزًا على الجميع فقده، قدم شعرًا جميلًا، وأعمالًا تذكر له إلى الأبد.

****

٢٥- عبدالجليل الطبطبائي

الشاعر الذي نعتزم الحديث عنه هنا هو شاعر قديم، فقد كان من مواليد سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م)، له ديوان شعر مطبوع في سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) نشرته المطبعة السلفية بمصر، وأشرف على طباعته وقدم له شيخنا الأستاذ محب الدين الخطيب. أمضى الشاعر حياته متنقلًا من مكان إلى مكان بحسب الظروف التي كانت سائدة في وقته، واستقر بعد ذلك في الكويت، وصار من أهلها هو وأولاده وأسرته جميعًا. ويكفي أن نعدّه مخلصًا لهذا الوطن أنه قدم له ثلاثة من أولاده شهداء للدفاع عنه وذلك في حربي الصريف والجهراء.

نشأ في أسرة من أهل العلم، فأحب أن يكون مثلهم في التحصيل والدرس، ولذلك فهو منذ نشأته الأولى كان يدرس على يد معلم له يأتيه إلى منزل أهله فيعلمه اللغة العربية والحساب وعلوم الدين، وكان والده يقوم بهذه المهمة أيضًا إلى أن استطاع ابنه أن يدرك هذه العلوم، وصار فتى يافعًا وجد نفسه قادرًا على متابعة الدرس على أيدي علماء زمانه، فحضر الدروس على عدد منهم واستفاد علمًا وفضلًا حتى صار معروفًا بما يضمه بين جنبيه من المعارف والعلوم. ثم انتقل بين عدة أماكن كان آخرها الكويت التي اتخذها دار عيش وعاش بها سنوات عمره الباقية كلها.

وكان إلى جانب شهرته في العلم وفي الشعر، وإلى جانب قيامه ببث علمه بين الناس يعمل في التجارة. فاختار المتاجرة بالمحاصيل الزراعية التي

يستوردها إلى الكويت ثم يقوم ببيعها، وقد عرف بالصدق والأمانة، وعدم الطمع في ما هو في أيدي الناس، وكان ناصحًا لهم لا يرتضي أن يبيع إلا الطيب، وإلا ما هو مناسب في أسعاره لظروفهم. ثم تحول إلى المتاجرة باللؤلؤ واستمر في هذا النوع من التجارة إلى حين وفاته.

وخلال عمله التجاري فإنه لم يترك أمرين هما الشعر والصلات الطيبة بالناس، وقد أضاف إلى ذلك حبه للعلم ونشره بين طلابه، وقد وُصِفَ بأنه يمتلك حافظة قوية، وأنه كان ذا ذكاء نفاذ، كثير الإطلاع يحب مجالس العلم والعلماء، وكان محبًا لعمل الخير لا يتردد في البذل لكل محتاج، وهو حسن المعشر، سريع البديهة، يبذل كل طاقته في نشر العلم الذي تعلمه وأكب على تحصيله منذ كان صغيرًا.

كانت صلات الشاعر عبدالجليل الطبطبائي متعددة ومتنوعة، فهو كثير الترحال في أنحاء هذه المنطقة التي تشمل جزءًا مهمًّا من جزيرة العرب كما تشمل جزءًا آخر من العراق العثماني قبل زواله. وهذا الترحال أكسبه معرفة واسعة بالأماكن وبالرجال، وقد كانت صلته برجال الحكم ورجال العلم والأدب والشعر من الصلات القوية التي ظهر أثرها في شعره.

وقد تميز بقصائد المديح، وقصائد الأخوانيات، وبلغ القمة في قصيدة نظمها عند زيارته المدينة المنورة حيث ألقاها أمام قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وعندما تحدث شيخنا محب الدين الخطيب عن شعر هذا الشاعر قال ما يلي:

«ولا شك في أن جودة شعر السيد عبدالجليل وبراعته في بلاغته سبب كبير من أسباب انتشار شعره في حياته، لكن يضاف إلى ذلك شهرته أيضًا بين أبناء عصره. وتنقلاته الكثيرة في البلاد، ومبادراته إلى عقد أواصر الصداقة والصلات الأدبية مع كل من كانت له مكانة في الجهات التي ذكرنا أخباره فيها».

ومن أبرز ما حكي عنه في مجال المطارحات الشعرية هذا الذي حدث له مع رجل آخر من رجال العلم والأدب هو الشيخ عثمان بن سند في سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٣م)، وقد ورد خبر هذه المساجلة في ديوان شعر الطبطبائي، حيث شرح ما دار في المجلس الذي جرت فيه فقال:

« اجتزت بشيخ مشايخ المنتفق – الشيخ حمود بن ثامر الشبيبي– زائرًا له على شاطئ الفرات؛ وكان الشيخ الكامل، والنحرير الفاضل، الأديب الأريب، والعريب الحبيب، ذو القول الأحد، الشيخ عثمان بن سند، معنا قادمًا لزيارة الشيخ المشار إليه، ومن عادة الشيخ المذكور استعمال القهوة البنية، ولم نزل نأمر له بها.

فقال مخاطبًا لي والشيخ محمد صالح مفتي البصرة – إذ لم يكن معنا في الخيمة رابع – قال الشيخ يخاطبنا على جاري عادته شعرًا:

مــرا لــي صــاحــبــيَّ بـكــأس قـهـوة

فبادرت بالأمر بها له. فقال: لا، بل أجز. فاستقلته من إجازة البيت، لأني بعيد العهد بالنظم، تارك له، فلم يقلني، فعلمت أنه أراد امتحاني، فيسر الله لي أن قلت مجيزًا لبيته على البديهة:

كَـــــذَوْبِ الـتِّــبـرِ صـافـيـةٍ بـغُـدْوَةْ

ثم سكتنا. فقال زد البيت (طالبًا للمساجلة)، فحمي عند ذلك كل منا، فتساجلنا بهذه الأبيات الآتية على البديهة في ذلك المجلس، وهذه أبيات المساجلة متوالية:

مُـــرَا لــي صــاحــبــيَّ بــكــأس قــهــوةْ
كـــذَوب الـــتِّــبْــرِ صـــافـيــةٍ بـــغــدوةْ
يــطــوف بــهــا عــلــيَّ أَغَـــنُّ أحْـــوَى
كـــأن بـــخـــدّه والــكـــف جـــذوه
رشــيــق الــقــدِّ يــحــكي الــبــان لــيــنًـا
كـــأن بـــه إذا مـــا مـــاس نــشــوه
لـــه لــفــتــات أم الــخــشــف تـــرنــو
بــعــين تُـــذْكِـــرُ الـــعـــذري شجـــوه
أروم وصـــالـــه لــتــقــر عــيــني
بـــغــرة وجـــهـــه فـــيـــزيــد زهـــوه
عــلــقــت بـــه وغـــصـــنُ الــعــمــر غــضٌّ
يُـــحَـــرِّكُـــهُ الـــهـــوى الـــعــذري نــحــوه
فــمــا صـــبــري وإن يـــعــظــم جــمــيــلا
لمـــا اســتــمــســكــت فـــي حـــبــي بــعــروه
ألا يَـــدنــو فَـــيُــتْـــحِــفُــنــى بــعــتْـــبٍ
أغــيـــب بـــه إذا مـــا ذقـــت حــلــوه
قـــد اســتــعــذبــت مـــا يــجــنــى دلالا
فــمــهــمــا زاد صَـــدًّا زدت صــبــوه

قال الناظم رحمه الله: وقبل أن يجيز الشيخ البيت دخل علينا رسول الشيخ صالح ابن الشيخ ثامر أخي الشيخ حمود يستأذننا بقدومه زائرًا لنا، فاشتغل

كل منا بالتأهب لقدومه، وانقطع الإنشاد والمساجلة بسبب ذلك، فطارت أبيات المساجلة كل مطار، وتخللت غالب هذه الأقطار، وسبقتنا إلى البصرة.

ثم بعد قدومي إليها زارني قاضيها السيد عبدالقادر أفندي ابن عبدالله ابن صبغة الله أفندي الحيدري البغدادي، فسألني عن هذه المساجلة، فقلت: نعم، وقعتْ. فاستنشدنيها، فأنشدتها له، فأعجب بها، وطلب مني أن أكتبها له، والوقت إذ ذاك عند الغروب، وبعد أن صليت العشاء من تلك الليلة نظمت هذه القصيدة مادحًا القاضي المذكور والشيخ عثمان المشار إليه آنفًا، قاصدًا بذلك مجاذبتهما لأهداب الأدب.

وفي صبيحة تلك الليلة أرسلت لكل منها نسخة، وقد ضَمّنْتُ فيها أبيات المساجلة وكان ذلك في سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٢م).

ومن هنا يتبين لنا أن نتيجة هذه المساجلة كانت قصيدة جميلة امتدح بها الشاعر الشيخ ابن سند والقاضي الذي سأله عن حادثة المساجلة. وكان مما قال فيه:

هُمَامٌ قد تَفرّدَ بالمعالي
وطاب خُؤولةً وزكا أُبُوّهْ

نبيلُ ألمَعِيٌّ حيدري
شَأيَ الأمجاد في شرف ونخوهْ

أفاد جليسه علمًا ونبلا
وآدابًا، فَمنْ ذا نال شأوَهْ

أما القصيدة التي ذكرنا أن الشاعر قد ألقاها في الحرم النبوي الشريف فلها حكاية يرويها ابنه، ونحن هنا نذكر شيئًا من روايته وبضعة أبيات مختارة

من هذه القصيدة العصماء التي سار ذكرها في البلاد ورفعت من شأن قائلها جزاء ما قاله في الرسول الكريم.

يقول الابن: «في السابع من جمادى الأولى سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م) توجهنا إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما وصلنا إلى الصفراء أحب الوالد أن يفد على النبي صلى الله عليه وسلم بامتداحه بقصيدة فريدة، فشرع في نظمها، فنظم من غزلها بعض الأبيات، ولم يتمكن من مراده لكلفة السفر واشتغال البال به. وبعد استقرارنا في المدينة أتمها. فجاءت غرة في جبهة القصائد، وأنشدها تجاه المشاهد الشريفة سحر ليلة الاثنين والعشرين من رجب، وهو واقف مكشوف الرأس كما أشار إليه، فبكى وأبكى من حوله وهم جمع كبير.

وقد انتشرت هذه القصيدة في قطر والحجاز ومدنه كلها حيث كتب منها عدة نسخ في المدينة ومكة وجدة والطائف، ونقلت إلى صنعاء ومصر والشام وعمان واسلامبول. وناهيك بفخرها وقبولها إقبال الناس عليها. فتأملها تجدها كما وصف وأكبر. قال رحمه الله:

لِذِكر الحِمَى يَشتدُّ بالوامقِ الوجْدُ
فقل لي متى يبدو ليَ العلم الفردُ

أحنُّ إذا بانَ اللِّوى وطُوَيْلعٌ
ومن بان عن مغناه حُقَّ له الوجْدُ

منازلُ كان الشملُ مجتمعًا بها
ولم تكُ أيدي البين للحي تمتدُّ

منازلُ من أهوى على القرب والنوى
ولا خيرَ في وُدٍّ يُغيِّرُهُ البُعْدُ

هذا هو العالم الشاعر عبدالجليل الطبطبائي الذي أحيا الشعر في زمنه وعم إنتاجه منه الآفاق. ومع ذلك فإن هذا الشعر لم يدرس على أساس نقدي علمي كما درس شعر غيره من الشعراء. فهل نأمل في قيام أحد أدبائنا بذلك.

****

٢٦ - يوسف بن عيسى القناعي

قدّم لي الأخ الأستاذ الأديب عبدالله خلف هديتين ثمينتين، هذه هي الأولى منهما، وهي كتاب ألفه بعنوان: «الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، في مسيرته الإصلاحية»، وقد تناول فيه سيرة الشيخ يوسف بن عيسى وأعماله الإصلاحية التي شهدتها الكويت وشهدت له بأدائها. وقد تولى نشر هذا الكتاب المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في هذه السنة ٢٠١٦م.

والشيخ يوسف بن عيسى القناعي من علماء الكويت البارزين الذين تركوا أثرًا لا ينسى طيلة حياتهم، وكان مشاركًا في كل نشاط وطني أو اجتماعي، بل كان يحرص على رقي البلاد وارتقائها، ويسلك جميع الطرق المؤدية إلى ذلك.

عرفنا دوره في نشأة التعليم النظامي في البلاد منذ سعى من أجل إقامة المدرسة المباركية، وبذل جهده كله مع إخوانه من المواطنين الذين وضعوا أيديهم في يديه، وأيدوا المشروع التربوي الجديد بكل ما يحتاج إليه من مال وعمل. وحكاية هذه المدرسة مبسوطة في كتاب الشيخ يوسف: «صفحات من تاريخ الكويت» بكافة تفصيلاتها. وهو الذي سعى إلى إنشاء مشروع لا غنى عنه للكويت بأسرها، وبخاصة وأنه جاء في وقت مناسب جدًا وهو إنشاء بلدية الكويت التي قدم اقتراحًا بضرورة إيجادها وذهب للاطلاع عل مثيلاتها في خارج الكويت، ونقل تلك التجربة الناجحة إلينا مما أفاد البلاد والعباد.

ولم يكن يقدم مشاريعه في الهواء بل هو لا يتحدث إلا بما هو مقتنع به ومشارك في عمله، وعلى سبيل المثال فإننا نراه عندما نشأت المدرسة المباركية كان مدرسًا بها وناظرًا لها. وسعى فيما بعد إلى تطوير التعليم في هذه المدرسة فوجد أن من الأفضل إنشاء مدرسة جديدة على نمط جديد، لها مناهجها الخاصة، فاتفق مع مجموعة من أصحابه الذين تعوّد على العمل معهم، ووجد منهم الاستجابة دائمًا إلى كل دعوة تؤدي إلى عمل مفيد. فأنشأ هو وصحبه المدرسة الأحمدية وتولى إدارتها زمنًا.

وعند نشأة مجلس المعارف في سنة ١٩٣٦م تقرر إنشاء دائرة للمعارف، ولم يكن هناك من يصلح لإدارتها غير الشيخ يوسف بن عيسى.

وإلى جانب ذلك فقد كانت له مواقف سياسية مهمة، إذ هو من الساعين إلى تهدئة الأمور ورأب الصدع وحل المشكلات. وكان يقدم النصح عندما يطلب منه ذلك، فيجد السائل منه الصواب الذي يبحث عنه، وتطمئن إليه نفسه.

ومن ذلك نذكر ما حدث في سنة ١٩٢١م عندما توفي الشيخ سالم المبارك الصباح وهو ذلك الدور الذي قام به أبناء الكويت والشيخ يوسف بن عيسى معهم في سبيل انتقال السلطة إلى الأمير المنتظر الشيخ أحمد الجابر الصباح، ونذكر اقتراحهم بإنشاء مجلس للشورى يعين الأمير على أداء عمله. وقد كانت هذه الحركة الشعبية المخلصة سببًا من أسباب الاستقرار في ذلك الوقت، وقد ذكر الأستاذ سيف مرزوق الشملان تفصيلات ذلك كله في كتابه: «من تاريخ الكويت».

ولا ننسى أن الشيخ يوسف بن عيسى كان وراء إنشاء المكتبة الأهلية التي كانت البلاد في أمس الحاجة إليها، ولا ننسى أنه كان من الذين تولوا القضاء في الكويت.

وكانت له عدة مؤلفات مفيدة منها كتاب: «الملتقطات» وهو كتاب يدل على سعة اطلاعه على الكتب، وعلى قراءاته الواسعة في مختلف العلوم. ومنها كتابه المشهور صفحات من تاريخ الكويت الذي سعى فيه إلى توثيق كثير من الحوادث التي مرت بالبلاد، ولم يكتف بذلك بل إنه أورد كثيرًا من المعلومات عن المجتمع الكويتي وبخاصة في موضوعات التجارة وعبور البحر من أجلها، والعادات المختلفة للأفراد والجماعات. وتكلم في هذا الكتاب عن القضاء في الكويت ذاكرًا القضاة الذين تولوا هذه المهمة إلى سنة ١٩٤٦م وهي السنة التي صدر فيها كتابه هذا. وذكر - أيضًاَ - شعراء الكويت، ولم يكتف بالشعر الفصيح بل ذكر الشعراء النبطيين ومثل لأشعارهم. هذا إلى جانب كثير من الموضوعات التي يدل ذكرها على مدى إحساس هذا الرجل تجاه وطنه، وعلى أنه رجل غير متشدد في كثير من المسائل بل إن عقله ليقوده إلى المجال الرحيب الذي سلكه فاكتسب راحة البال، واكتسب كذلك محبة الناس وتقديرهم. ولقد كان الدليل على هذا التقدير الذي ناله الشيخ يوسف بن عيسى هو ما حدث حين وفاته في سنة ١٩٧٣م، فقد رأينا الناس في حزن شديد، ورأيناهم يتدافعون لكي يكونوا في وداعه عند رحلته الأخيرة، وكان موكبًا مهيبًا ودلالة رائعة على مكانة هذا الرجل في نفوس الناس جميعًا.

يحرص الشيخ يوسف بن عيسى القناعي على أن تكون له صلات متينة مع أدباء زمانه، ومع الرجال الذين لديهم رغبة في العمل الاجتماعي الذي يرقى بالبلاد، ولذلك فإننا نرى أصحابه يمثلون كافة نواحي البلاد، فمنهم الشاعر والكاتب والتاجر والعالم. وكان قد قرأ في بداياته عند الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، وكانت له صلة بالشيخ عبدالعزيز الرشيد والشاعر صقر الشبيب

وآل خالد وغيرهم من الأسر الكويتية التي كان لها دور في العمل المثمر لخدمة البلاد.

وإذا ألقينا نظرة على ديوان الشاعر صقر الشبيب وجدنا اسم الشيخ يوسف بن عيسى يتردد في عدة قصائد قالها هذا الشاعر، وهي قصائد تدل على العلاقة القوية التي كانت تربط بين هذين الرجلين.

ولا غرابة في أن تكون بين الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وشاعر الكويت صقر الشبيب صلة متينة، فكلاهما متمكن من علمه وكلاهما يقول الشعر، وكانت بينهما لقاءات كثيرة وأشعار متبادلة. وعندما كان الشاعر قادرًا على الخروج من مسكنه فإنه لم يكن يتأخر عن زيارة الشيخ يوسف والاستمتاع بما يدور في مجلسه من محادثات متنوعة فيها ما هو علمي وما هو أدبي وفيها الأشعار، وأخبار البلاد، والاتصال بالناس الذين يتوافدون على ذلك المجلس المهم. ولقد ثابر شاعر الكويت على زيارة الشيخ يوسف واستمر على ذلك وقتًا طويلًا إلى أن وجد نفسه عاجزًا عن المواصلة، فقد أصبح الخروج من بيته صعبًا. وقد أحس بأنه مخطئ في حق الرجل الذي يكرم وفادته ويشعره بأنه سعيد بلقائه، يحب منه هذه الزيارة وما ينتهي إليه المجلس بوجوده فيه من مختلف الفوائد، فكتب صقر الشبيب قصيدة اعتذار بهذه المناسبة يشرح فيها سبب انقطاعه وهو سبب معقول، فقال في هذا الشأن بعد أن بدأ بأبيات يصف فيها حاله، ثم توجه إلى الشيخ بالسؤال:

أجبني يا فخرَ الكويتِ ومن بهِ
حوتْ رغم تصغير اسمها أعظم الشهْبِ
فما أنا عن فتوى ابن عيسى بمائلٍ
ولو جَشَّمَتْني السيرَ في مَسْلكٍ صَعْبِ

إلى آخر هذه القصيدة التي ذكرت ما للشيخ يوسف بن عيسى من مناقب، وما له من أعمال جليلة.

وإضافة إلى هذا الشاعر، فإننا نجد اسم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي يتردد في شعر شاعر آخر هو الأستاذ راشد السيف، الذي عرفنا من بعض قصائده مدى صلته به. وديوان راشد السيف «السيفيات» يشهد على ذلك.

ومما قاله هذا الشاعر، قصيدة وجهها إلى الشيخ يوسف بن عيسى، وعنوانها: «هو المصلح المعروف» وقد كانت لها مناسبة هي عودة الشيخ من رحلة الحج. يقول الشاعر:

فتى جاوز الرقم القياسي مقامُهُ
فما قيمةُ الإطراء غير التّجرّدِ

أجل، إنني من غير جهل بيوسفٍ
أُباهي به أقطاب علمٍ وسؤدُدِ

وقبل أن ننتقل إلى الاختيار من شعره فإن من الملائم أن نذكر بعض الأعمال التي اضطلع بها، إضافة إلى ما ذكرناه سلفًا:

١ – أول مدير لمعارف الكويت.

٢ – عضو في المجلس البلدي حتى سنة ١٩٣٢م.

٣ – نائب رئيس مجلس الشورى في سنة ١٩٢١م.

٤ – شارك في إنشاء النادي الأدبي.

٥ – كان عضوًا في مجلس المعارف الأول.

٦ – عضو في مجلس دائرة الأوقاف العامة.

٧ – لا يزال الإقبال شديدًا على اقتناء مؤلفاته وقراءتها وبخاصة بين فئة الشباب.

٨ – تولى القضاء في عدة فترات.

٩ – اشتغل بالتجارة مدة من الزمن.

وقد آن أوانُ الاختيار من شعره:

١ – قال هذه الأبيات في آل خالد بمناسبة إنجازهم ترميم المسجد الذي أطلق عليه اسمهم فيما بعد، ولا يزال قائمًا على ساحل البحر:

لو قيل من هم في الكويت أولي المكارم والمحامد

الطيبون المحسنون على المدارس والمساجد

الراحمون الثابتون على المبادئ والمقاصد

لأجبتهم هذي الخلال تجمعت في آل خالد

٢ – وجه أبياتًا إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير البلاد الأسبق يقدم له فيها التهاني بعيد الاستقلال، فيقول:

أُهنيك في عيد التحررِ كلما
بدا طالع للشمس في كل مَشْرِقِ

وأرجو لك التوفيقَ ما دمتَ بيننا
تقوم بِعَدْلٍ في البلادِ وتتقي

وإني أُهني الشعب فيك لأنه
يرى أنك الماء الذي منه يستقي

فدم سالمًا يا حافظًا لكويتنا
وحامي حماها من حُدُودٍ ومرفقِ

٣ – وقال من قصيدة يرثي بها المرحوم شملان بن علي آل سيف:

فــي ذمــة الـلـه يـا شـمـلانُ تـرحـالُ
وَصَـيِّـبُ الـدمـع فـي مـثـواك هَـطَّالُ

فـي ذمـة الـلـه ذاك الجـسـم أُودعـه
قـبـرًا عـلـيـه مـن الـرضـوان إجـلالُ

فـي ذمـة الـلـه روح بـالجـمـيـل سمت
لـهـا عـلـى الخـيـر إقـدام وإقـبـالُ

إنْ أبـعَـدَتْـك المـنـايـا بـعـد أُلـفـتـنـا
فـأنـت فـي الـقـلـب يـا شـمـلان نَـزَّالُ

رحم الله هذين الفقيدين.

****

٢٧ - عبدالعزيز الرشيد

والكتاب الثاني الذي أتحفني به الأستاذ عبدالله خلف هو كتاب مشابه للكتاب الأول من حيث الاتجاه، وإن اختلف عنه بصورة واضحة، ذلك لأن الكتاب الأول كان عن الشيخ يوسف بن عيسى القناعي كما ذكرنا فيما سبق. أما هذا الكتاب فهو يتناول حياة وأعمال رجل آخر هو الشيخ عبدالعزيز الرشيد. وعنوان الكتاب: «الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مسيرته الإصلاحية»، ولقد سار المؤلف الأستاذ عبدالله خلف في كتابه هذا على المنهج الذي سار عليه في الكتاب الأول، فقد قدم لنا سيرة الشيخ عبدالعزيز الرشيد تقديمًا وافيًا، وذكر كل الأنشطة التي قام بها. ثم عرج على أشعار الرشيد ومثل لها بعدد من المقطوعات التي حصل عليها، ونحن نقول هذه العبارة لأن الشيخ الرشيد لم يترك وراءه ديوانًا يضم شعره، ولكن هذا الشعر متناثر بين مجلة الكويت التي أصدرها في سنة ١٩٢٨م وتاريخ الكويت الذي أصدره في سنة ١٩٢٦م.

وكان هذا الرجل محبًا للتجديد، حريصًا على إدخال مجالات من النشاط الثقافي والاجتماعي لم تكن في الكويت، وما كان يدعو إليه منفردًا يضاف إليه ما يكون فيه داعمًا لكل صاحب رأي سديد، وكل منادٍ إلى عمل مفيد. ولقد كانت الأعمال التي أسهم بها كثيرة ولكن أبرزها ما يلي:

١ - إصدار كتاب تاريخ الكويت، وهو عمل جديد لم يسبق إلى مثله. وكم كنا نتمنى أن لو أكمله لأنه أصدر منه - فقط - القسم الأول المكون من جزأين. ولقد كان عزم الشيخ عبدالعزيز هو أن يكون القسم الآخر كما ذكر في بداية الكتاب: «يبحث عما في (الكويت) من علماء وأدباء، وشعراء مع طرف من أخبارهم وأشعارهم، وعن بيوتها المعروفة، ومن له في تاريخها أثر يذكر، وعمن زارها من العلماء والأدباء والكتاب والأعيان».

ومن الملاحظ أنه قد أورد كل ذلك في الجزء الأول من القسم الأول، لذا فإننا نتوقع منه أن يتسع ويورد لنا أمورًا لم يوردها من قبل.

٢ - إصدار مجلته المشهورة (الكويت) وهي أيضًا مما لم يُسبق إلى مثله، فقد عزم في سنة ١٩٢٨م على إصدارها، وبذل جهده في ذلك، ولم تتوقف إلا بعد أن استنفد قدرته كلها. لأنه كان المحرر والناشر والموزع والمتابع لعمل مجلته، وهذه كلها جهود كبيرة فإذا اجتمعت على شخص واحد كانت أكثر شدة. والمجلة أدبية ثقافية وسياسية، وتهتم في جانب منها بالتاريخ، ولم يكن اهتمامها هذا منصبًا على تاريخ الكويت فقط، بل كان يقدم لقرائها تاريخ عدد من المناطق المحيطة والبعيدة.

ولقد كان ما يبذله فيها الشيخ عبدالعزيز من جهد ومال إضافة إلى تَفَرّدِهِ بالعمل من أسباب عدم قدرته على متابعة إصدارها، فتوقف في سنة ١٩٣٠م.

٣ - لم يكن يُطْرَحُ مشروع نافع للبلاد إلا وجدنا الشيخ عبدالعزيز الرشيد مساهمًا فيه، ولقد كان على صلة طيبة ووثيقة بأولئك الذين يتحسسون حاجة

البلاد فيندفعون إلى إقامة مشروعات شعبية يساهمون بها ويدعون من يشاركهم بالمساهمة.

وكان حاضرًا عند نشأة النادي الأدبي، وكذلك المكتبة الأهلية، والمدرسة الأحمدية، وكثير آخر من المشروعات المهمة التي لم يتردد لحظة في القيام بالإسهام بها مهما كلفه الأمر. وهو وإن اهتم كثيرًا بالثقافة والتعليم فإن له في مجال خدمة المجتمع دور لا ينسى؛ لأن الجمعية الخيرية التي أنشأها المرحوم فرحان الخالد تشهد له بذلك، وتعرف دعمه لها، وحرصه على نجاحها، وأداء مهمتها خدمةً للمجتمع بأسره.

٤ - وكان فوق ذلك مشتغلًا بالتعليم، إذ كان مدرسًا بالمدرسة المباركية، ثم بالمدرسة الأحمدية التي أسهم في إنشائها، بل واقتراح ذلك، ولم يكتف بهذا فانتقل إلى خارج الكويت حيث مارس التعليم والإرشاد والوعظ في جاوة (أندونيسيا الآن)، وقد أدى دوره كاملًا هناك إلى أن توفي في سنة ١٩٣٨م، وكان خبر وفاته محزنًا للجميع في الكويت بأسرها، لأن الجميع يتذكر أعماله ومآثره.

كانت لعبدالعزيز الرشيد صلة متينة بشاعر الكويت صقر الشبيب، فقد كان كثير الاختلاط به محبًا لشعره. وكان الشاعر الشبيب معجبًا بهذا الشيخ الأديب الذي يقول الشعر مثله، ويجيبه به إذا ما وجه إليه قصيدة من قصائده.

وفي ديوان صقر الشبيب الذي جمعه وقدم له الأستاذ أحمد البشر الرومي ذكر للشيخ الرشيد فيما لا يقل عن سبع قصائد. ومنها قصيدة أرسلها إلى صاحبه عندما انتقل إلى البحرين وعاش بها فترة من الزمن، فكتب إليه متشوقًا إلى لقائه:

مـــا فـــي أوال ولا فـــي الـــساكـنـين بـها

مـن مـوضـع لِـهِـجَـا الـهـاجـي ولا بـاسِ

لـو لـم نجـد سـائـر الـبـحـرين تُـشـغـلـه

بـأنـسـهـا عـــن مُـحِـبـيـة مـــن الـنــاس

هـــذا ابـــن أحـمـد لمـــا أن تـــوطَّـنـهـا

أنـسـتـه ذِكـري فـأضـحـى وَهْـوَ لـي نـاسي

ويضيف:

أيـعـلـم الـشـيـخ أنـــي مـــن تَـبَـــاعُـدِهِ

مـا زلـت أضـرب أخـمـاسًـا لاسـداسِ

وهــل أحــس الـفـتـى عـبـدالـعـزيــز بمـا

نـــواه مـن نـارهـا اذكـتـه أنـفـاسي

ولكن ما بين الرجلين لا ينتهي فالود قائم على رغم الابتعاد. ولذلك وجدنا الشيخ الرشيد وهو في خارج الكويت يسمع عن صقر الشبيب أنه قد اقتحم مجال الغوص وهو الضرير الذي لا يبصر شيئًا. واستغرب لصاحبه كيف يرمي بنفسه بالمهالك، ثم يلتمس له العذر بأن الحاجة هي التي دفعته إلى هذا العمل الذي يشق على المبصرين من الناس. فقال هذه الأبيات التي نختارها له:

أنـــت يــــا صـقـرُ بُـلْـبُـلٌ غِـــرِّيـدُ

إن تَـــغَـنّـي فــالـغـصـنُ مـنــه يميـدُ

قـد عـهـدنـاك فـي سمـا الـشـعـر بـدرًا

وشــهـدنــاك فـــي الـقـصـيـد تُجـيـدُ

تـقـرع الـقــوم بـالـنـصـائح جـهـرًا

بـقـصـيـد يــلـين مـنــه الـحـديـــدُ

فلماذا سكت حتى ظننا
أن صقرًا قد غيبته اللحودُ
ضلَّ رُشدي وكدت أصعق حزنًا
ودهاني من البلا ما يُبيدُ
منذ قالوا وأنت أعمى ضعيف
سرت في البحر «للمغاص» ترودُ
تبتغي لقمةً لتطردَ جوعًا
في حناياك وَخْزُه لشديدُ
أبهذا يا صقرُ يُجْزَى أديبٌ
من رجال فيهم سخاء وجودُ
إيه يا صقرُ فاحتسبْ كل بؤسٍ
فحياةُ الأديبِ بؤسٌ مُبيدُ
وقديمًا حظُّ الأديب سوادٌ
ونصيبُ البليد سعدٌ وعيدُ

وقد وصلت هذه الأبيات إلى الشاعر صقر الشبيب فارتاح لها وأعجب بها، ورد عليها بقصيدة عصماء بين فيها السبب الذي دفعه إلى خوض البحر من أجل الغوص، فقد ضاقت به الدنيا، واحتاج ولم يجد من يَسُد حاجته أو أن يدفع عنه غائلة الفقر. وكان مطلع قصيدة صقر كما يلي:

إن شجاكم مني الأنينُ المديدُ
فعذابي بالفقر جدًّا شديدُ
كلما قلت ذات يوم سيمضي
منه عني اشتداده أو يبيدُ

عَـــنَّ خَـــطْـــبٌ يـــقـــول إنــــي كـــفـيـلٌ

أن ســتـبـلـى يــا صــقــر وهـــو جـديـد

ويمضي إلى الإشارة المتعلقة بذهابه إلى الغوص مع شدة ذلك العمل وقسوته:

وأخـــيــــرًا رأيـــت أن ركـــوب الـــ

ـــبـحْـر فــيـه لـفـاقـتـي تـشـريـــد

فـــإذا الــبـحـرُ مـــوتٌ مَـن نُـــورُ عـيـنيْـ

ـــهِ شـبـيـهـي مـــن الــــورى مـفـقـود

أما ثناؤه على قصيدة الشيخ عبدالعزيز الرشيد فقد جاء منه قوله:

لـسـت أدري أفِـــي الـصـحـيـفـة دُرٌّ

زَفَّـــــهُ لـــي عــبـدُالـعـزيـزِ الـرشـيـدُ

مـسـتـثـيـرًا تَـعَـجُـبـي إذ أتــانـي

وهْـــوَ عـقـد – ولـم يُـثـقـف – نـضـيدُ

ومما يمكن أن نختاره للشيخ الرشيد من الأشعار هذه الأبيات التي يتحدث فيها عن محاسن (جاوه) التي هاجر إليها فترة من الزمن وافتتن بجمال طبيعتها، والهدوء الذي يحيط بها مع طيبة سكانها ومن ذلك قوله:

هـــذي وربِّــــك جـــاوةٌ وبـــجـــاوةٌ

غـــررُ المحـاســنِ جـمـعُـهـا والمـفـردُ

مـا مـثـلُ جـاوةَ فـي المـدائـنِ والـقـرى

يـفـنـى الـزمــانُ وحـسـنُـهـا يـتـجـدّدُ

هــي غـــادةٌ لـبـسـت ثـيــابَ جـمـالـهـا

فَـصَـبَـا لحُـسـن جـمـالِـهـا المـتـعـبِّـدُ

إن كـنـت تـهـوى فـي الـحـيـاة معيشةً
بـنـعـيـمـهـا شـبـح الـتـعـاســة يُـطْـرَدُ

فـاهــرغْ إلــى هــذي الـجـزيــرة إنـهـا
هــي درةٌ فــي شـرقـنــا تـتــوقَّـدُ

فيـهـا الـشـبــابُ يـعـود حـسـنُ بـهـائـهِ
والـغـصـنُ مــن مــاء الـحـيَـا يـتـأوّد

وإذا شككت بمــا أقــول فصورتـي
تُـنـبـيـك بــالـحـقِّ الــذي لا يـجـحـدُ

فـلـقـد خـلـعـتُ مـتــاعـبـي فـي رَبـعِـهـا
بـالـجـسـم مـنـي والـحـشــا تــتــردّدُ

ولـبـسـتُ مــن شــرخ الـفـتـوة بُـردَهـا
وَبِـــهِ المــلامــحُ والمــنــاظــرُ تشـهـدُ

نستطيع أن نقول عن الشيخ عبدالعزيز أحمد الرشيد أنه كان شاعرًا جيد الشعر، وما اخترناه له هنا يدلنا على ذلك. وهو وإن كان على هذا المستوى الجيد منه، فإنه يقول أشعارًا أخرى منها ما يعد من الأخوانيات التي يتم تبادُلها مع الأصحاب في ساعات الصفاء، أو في أثناء الرحلات والسمر، وهذا لا يمكن أن نفترض به أن يكون على مستوى عالٍ يساوي ما اخترناه للشيخ لأن الحالة التي يقال فيها هي التي تحكم على المستوى. وله قصائد أخرى يمكن أن نسميها القصائد التعليمية، وهي مشابهةٌ من حيث المستوى لقصائد الأخوانيات. وهو بصفته مدرسًا كان يتحف تلاميذه بأشباه هذه القصائد التي يرى أنها ينبغي

أن تكون قريبة من فهم هؤلاء الصغار. ولا ننسى أن نذكر منها تلك المحاورة الشعرية التي صاغها على هيئة تمثيلية قام عدد من التلاميذ بتمثيلها فأعجبت كل من اطلّع عليها أو شاهد عروضها.

هذا هو الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهذا هو شعره.

****

٢٨ - عبداللّه سنان محمد السنان

الشاعر الذي سوف يكون شعره مجال حديثنا هنا هو الأستاذ عبدالله سنان محمد السنان، وهو أديب شاعر، وعلى الرغم من أن عمله بعيد عن الشعر والأدب فقد كان يعمل بالمحاسبة في الكويت وخارجها، فإنه أولع بحرفة الأدب، وقد وجدنا له مقالات في مجلة كاظمة في سنة ١٩٤٨م، وهذا دليل على بدايات متقدمة له في الكتابة، ثم اتجه إلى الشعر فكتب عدة قصائد متنوعة الأغراض كان حريصًا على نشرها، ولذا فقد وجدنا له عددًا كبيرًا منها في مجلة البعثة وغيرها من مجلات الكويت. وقد كان حريصًا على شعره، يعيد قراءته وينقحه، ويضع قصيدته في أجمل صورة. ومن علامات حرصه قيامه بطبع ديوانه الأول الذي أطلق عليه اسم: «نفحات الخليج». وهو ديوان يضم مجموعة شعرية كبيرة ذات أهداف متعددة منها السياسي والوطني والهجاء والمدح والغزل. ولم ينس أن يخوض في مجال آخر هو المجال الخاص بالصغار وأدب الفكاهة والدعابة.

وبعد فترة من صدور ديوانه الأول في سنة ١٩٦٤ م وَجَدَ أن له شعرًا كثيرًا جاء بعد طباعة الديوان فارتأى أن يجمع شعره كله على أن يقوم بتنسيق عرضه من جديد، ولذا فإنه إضافة إلى الديوان الأول صار له:

- البواكير، وفيه أوائل قصائده.

– الله والوطن، وفيه قصائد دينية ووطنية.

– الشعر الضاحك، ويضم معه مسرحية شعرية عنوانها: «عمر وسمر».

– الإنسان، وبه قصائد منوعة لها صفة التعبير عن المشاعر الإنسانية لدى الشاعر.

وبذا يكون قد حفظ شعره، ورتبه ترتيبًا جيدًا، ووضع كل قصيدة في موضعها من أحد الأجزاء التي أشرنا إليها.

كان عبدالله سنان محمد شاعرًا مشهورًا في الكويت وفي الخليج العربي كله بما كتب من أشعار، وبما تناوله فيما يكتب من موضوعات ذات أهمية في وقته؛ فإن فيها دعوة إلى التحرر والانطلاق، وحث على التقدم والرقي لا يخص بذلك بلدًا دون آخر، وكان عزمه الشديد على نشر شعره سببًا في التفاف الناس حوله تقديرًا لما يكتب. أهدى ديوانه الأول «نفحات الخليج» إلى الخال إبراهيم سليمان الجراح وهو من الذين يرتبطون به بعلاقة متينة، فأرسل إليه الخال قصيدة يشكره فيها على إهدائه القيِّم ويثني على شعره وما فيه من تنوع فيقول:

بعثته كحبيبٍ حان موعدُهُ
فجاء يرفُلُ في أثوابه القُشُبِ
فما وجدت له شكرًا أفوه بهِ
إليك إلا بهذا النظمِ من نَشَبي
نَقلتَني فيه من جدٍّ إلى لعبٍ
فرحت أمرحُ بين الجدِّ واللعبِ
واعجبتني هنيهاتٌ لعبتُ بها
فهاهي اليومَ في كَفيَّ تلعبُ بي

إلى أن يقول:

عـشْ للكويـتِ فـأنـت الـيـومَ شـاعـرهـا الْـ
ـحَـانـي عـلـيـهـا وحــادي ركـبـهـا الـلـجِـبِ
بــل أنــت غِــريـدهـا الـشـادي وبُــلْـبُـلـهـا
فــاصـدح بـمـا شـئـت يـا قـيـثـارة الـعـربِ

وَحَسْبُ شاعرنا عبدالله سنان أن ينال هذه الشهادة من شاعر كبير مثل الشيخ إبراهيم سليمان الجراح.

ولابد من الإشارة إلى كتاب لطيف ألفه الأستاذ فاضل خلف، تناول فيه ما يتعلق بالشاعر عبدالله سنان محمد، وذكر فيه حياته وشعره، وأطلق عليه لقب: «مغني الشعب». وهو بالفعل كذلك لأن من يقرأ شعره الغزير سوف يجد اهتمامه بالشعب عامه؛ فهو ينصح، ويحذر من المزالق، ويدعو إلى التوجه إلى المستقبل الذي يأمل أن يكون مزدهرًا للجميع.

تحدث الأستاذ فاضل خلف في القسم الأول من كتابه عن صور من الحياة الاجتماعية والسياسية في شعر الشاعر، وبين أنواع ذلك ومثل لكل نوع. ثم تحدث في القسم الثاني عن الاتجاهات الفنية في شعره متتبعًا هذه الاتجاهات مع التمثيل لها. وقد أجاد المؤلف حين قدم بإيجاز كل ما نحتاج إليه من معلومات عن شاعرنا السنان وعن شعره.

ولد صاحبنا في الكويت (فريج سعود) في سنة ١٩١٧م، ودرس في الكتّاب كغيره من أبناء الكويت الأوائل، وعندما تم افتتاح المدرسة الأحمدية انتظم فيها، وبقي مثابرًا على الدرس حتى أنهاها. وبعد ذلك

اشتغل بالتدريس في المدارس الأهلية، إلى أن تحول للعمل في دائرة معارف الكويت، وكان عملًا غريبًا فهو لا يخرج عن نطاق التعليم ولكنه فريد من نوعه. كان يقوم بالتدريس بمدرسة في منطقة حولي القديمة. ولم يكن معه فيها أحد آخر إذ كان هو المدرس والناظر والوكيل، وكانت المدرسة لا تعدو بيتًا صغيرًا استأجرته له دائرة الدائرة المعنية بالتعليم.

ثم انتقل من هذا العمل المرهق إلى دائرة التموين في أثناء الحرب العالمية الثانية، ولقد مر بنا في أكثر من مرة اشتغال بعض شعرائنا في هذه الدائرة نذكر منهم الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري.

وَوَجد الشاعر عبدالله السنان فرصة للعمل الأفضل حين انتقل إلى الهند وصار محاسبًا لدى السيد يوسف الصقر، وهو أحد كبار التجار الكويتيين وله هناك مكتب تجاري معروف. وطالت مدة غيابه هناك ولكنه بعد أربع سنوات عاد إلى الوطن والتحق بالعمل في دائرة الصحة العامة بوظيفة إدارية.

ومنذ سنة ١٩٥٣م التحق بدائرة الأوقاف العامة فكان مديرًا للشؤون الإدارية. وبقي في عمله هذا حتى سنة ١٩٦٩م حيث تقاعد متفرغًا لأعماله الخاصة، فقد افتتح في هذا الوقت مكتبة اسمها: «مكتبة القلم».

أمضى حياته الأدبية نشيطًا فهو عضو في رابطة الأدباء الكويتيين منذ سنة ١٩٦٥م، وكان واحدًا من مؤسسيها. وقد مثلها في مناسبات عدة، ولم يكن يتردد في حضور المؤتمرات الخارجية لهذا الغرض.

وشعره صورة صادقة لزمنه، فقد تحدث فيه عن كل شيء يهم الكويت والعرب. وكان صادقًا في تعبيره عن حبه لوطنه، وناصحًا لأبناء الوطن راغبًا

إليهم في حفظ ما هم فيه من تآلف وتآزر، وما أشرنا إليه من الدواوين يحتوي على شعر يعبر عن كل ذلك، وأينما اتجهنا وجدنا هذا الشاعر وهويعبر عن محبته للكويت وأهلها، وتقديره لكل من يقوم بخدمتها.

وقد بقي إلى نهاية حياته وهو يحمل مِشْعَلَ الإخلاص هذا، ويوالي التعبير عن معتقداته إلى أن حان أجله المحتوم، فتوفي في سنة: ١٩٨٤م.

نصل الان إلى الإختيار من شعر الشاعر عبدالله سنان محمد السنان، وهو اختيار صعب لكثرة شعره، ولتعدد موضوعاته، ولكننا سوف نختار إحدى قصائده الوطنية، وهي قصيدة كتبها بمناسبة اعتماد دستور الكويت، وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٩٢م، وكان لإصدار الدستور من قبل المجلس التأسيسي واعتماد الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير البلاد آنذاك أثر كبير في نفوس الناس الذين اعتبروا هذا اليوم عيدًا من أعياد الوطن، وبسببه سارت الكويت في الطريق الديموقراطي المنشود.

بدأ الشاعر قصيدته بقوله:

طالَ احتباسُكَ عنا أيها القمرُ
فما أخالُكَ بعد اليوم تستترُ
ابزِغْ علينا وبدِّدْ كلَّ مُظْلِمةٍ
فَمَا لنا قطُّ عن رؤياكَ مُصْطَبرُ
عامٌ تَقَضَّى ولم يَغْلَقْ بنا مللٌ
وكلنا بعد هذا العام ينتظرُ
حتى طلعتَ طلوعَ البدر في غَسَقٍ
في دِفَّتيك لنا الآمالُ والوطرُ

ثم يصف الدستور وما ضم من مواد مهمة فيها حفظ الحقوق والأمن الاجتماعي، وكفالة الرعاية التامة لأبناء الشعب الكويتي الذي أمضى عامًا كاملًا في انتظار هذا البدر المشرق، وكأنه أعوام كثيرة ذلك لأن في صدوره تحقيق الآمال، وكسب الاطمئنان وحفظ سيادة الوطن. ثم يقول إننا لنرى في الدستور حاميًا ومنقذًا للكويت، وركنًا من أركانها.

ثم يوجه قصيدته إلى راعي الدستور، الأمير الذي فتح المجال لصدوره، ووقع عليه، فيقول:

طلعتَ في عهد عبدالله باركهُ الْـ
ـمولى وحَالَفَهُ الإسعاد والظفرُ
عهدُ ابنِ سالمَ عهدٌ لا يماثلُهُ
عهدٌ، به البركاتُ الكثرُ تَنْهمرُ
عهدٌ به اليُمنُ والأيامُ باسمةٌ
فيها السعادةُ والآمالُ تزدهرُ
عهدٌ به عم هذا القُطرَ قاطبةً
هذا الرخاءُ الذي لا زال يَنْهَمِرُ
وأورقَتْ شجراتٌ كاد يُهلُكها
طولُ الجفاف فَأتَى أُكلَهُ الشجرُ
هذي الكويتُ استقلَّت وارتقتْ صُعُدًا
هامَ السُّها ومقام الخصم ينحدرُ

وفي آخرها قوله:

يا شعبُ بشراكَ فالدستورُ جَلَّلَهُ
نورٌ تُضيء به أيامُنا الغُرَرُ

بشراك بشراكَ يا شعبَ الكويتِ ففي

دستورِكَ اليومَ ما يُجْلَى به البصرُ

حُلمٌ يراودنا في كل آونةٍ

وقد يغيبُ فلا يبقى له أثرُ

حتى تحقَّقتِ الأحلامُ وانكشفَ الْـ

ـمخفي عن كل ما قد اَوْعَدَ القدرُ

هكذا عبر الشاعر عن فرحته وفرحة الشعب الكويتي بصدور الدستور وهكذا أثنى على الشيخ الجليل الذي اهتم بهذا العمل الوطني المهم وسعى إلى إنجازه.

ولئن كنا قد مثلنا للشعر الجاد الذي قدمه لنا الشاعر السنان، فإن من المهم أن نختم ما بدأنا به بنموذج نمثل به لشعره الهازل، ومن ذلك قصيدته التي عارض بها قصيدة الشاعر صفي الدين الحلي التي كان مطلعها:

سلِ الرماحَ العوالي عن أيادينا

واستشهدِ البِيضَ هل خاب الرجا فينا

وهي قصيدة جادة، منها البيت المشهور:

بِيضٌ صنائعُنا خضرٌ مرابعُنا

سودٌ وقائعُنا حمرٌ مَواضينا

وقد حولها عبدالله محمد السنان إلى شيء آخر جلب السرور إلى قرائها فقال مما قال:

سلِ الدجاجَ العوالي عن أيادينا

واستشهدِ البَيضَ هل خاب الرجا فينا

وسائلِ اللحمَ بالتشريبَ ما فعلتْ
بصحنهِ دون أيدي الناس أيدينا
لقد عزمنا فلم تضعفْ عزائمُنَا
عمّنْ دعونا ولم تنقُصْ بواطينا

إلى أن يقول:

فللطعام ميادينٌ يخوض بها
قومٌ بيومِ الوغى خاضوا الميادينا
خضرٌ مرابِعُنا حُمرٌ ذبائحُنا
سودٌ سماطاتُنا بيضٌ طواهينا
لا يظهرُ العجز منا دون مائدةٍ
ولو رأينا المنايا عند داعينا

هذا، وفي ديوانه «الشعر الضاحك «عدد كبير من القصائد والمقطعات كلها تدور حول الفكاهة التي قصد بها مسامرة الخلان، وإدخال السرور عليهم.

****

٢٩ - عبداللّه محمد الفرج

هنا نبدأ حديثًا عن الشاعر الكويتي الكبير عبدالله محمد الفرج؛ وهو من أقدم شعرائنا، كما أنه من المتميزين بوجود شعرهم حيًا إلى اليوم محفوظًا في ديوانه الذي لقي عناية كبيرة بعد وفاته في سنة ١٩٠١م وقيل إنها كانت في سنة ١٩٠٣م.

ولم يكن هذا الشاعر ينظم شعره باللهجة العامية كما هو مشهور عنه، فقط، ولكنه يجيد صياغة الشعر باللغة الفصحى، وقد طُبِعَ شعره بنوعيه كما سوف يتبين لنا فيما بعد، لأن الأمر يحتاجُ إلى تفصيل.

وهو إلى جانب الشعر فنان قدير له في الموسيقى با ع طويل وشهرة ذائعة لا في الكويت فقط بل تتعداها إلى غيرها، وله أغان كتبها ولحنها وقام بأدائها عدد من المغنين الكويتيين ولا يزالون يرددونها، وهذا أيضًا ما سوف نتحدث عنه فيما بعد.

ولد الشاعر عبدالله الفرج في سنة ١٨٣٦م، وعاش مع والده في الهند لأن الوالد كان مرتبطًا بأعمال هناك. ولما كان حريصًا على إعداد ولده للحياة فقد كان حريصًا على تعليمه، وكان مولد الشاعر في الكويت، ولكنه لم يبق بها كثيرًا حتى غادرها إلى الهند ولم يعد إليها إلا بعد وفاة والده، وبعد أن وجد نفسه لا يستطيع الاستمرار هناك وحيدًا بعد وَفَاةِ ذلك الوالد الحاني عليه.

كانت عيشة عبدالله الفرج في الهند عيشة ترف وبذخ، فقد ورث عن أبيه ثروة طائلة لم يبق له منها شيء بعد وقت قصير. ولقد كان الوالد واسع الثراء، إذ يملك أسطولًا من السفن الشراعية التي يستخدمها في تجارته وسائر أعماله.

عاش الشاعر هاويًا للشعر والموسيقى، ولقد درس الفن الموسيقي في الهند على أيدي معلمين متخصصين، وقد أدى ذلك إلى نبوغه في الشعر والموسيقى على حدٍّ سواء، فقد كان إلى جانب الاهتمام بالتحصيل العلمي مُكبًّا على القراءة لا يترك شيئًا من الكتب بين يديه إلا وقد قرأه واستفاد منه. وهذا واضح من إشارات كثيرة نلحظها في شعره بنوعيه. فهو على علمٍ بتاريخ هذه المنطقة ورجالها وله صلات مع كثيرين منهم.

وقد استفاد من الموسيقى الهندية والموسيقى العدنية كما استفاد من تمكنه من العزف على العود، ومجالسة مُحبي الموسيقى والغناء في الكويت والخليج العربي فبرع في الموسيقى الخاصة التي ابتكرها، وهي موسيقى الصوت المشهور لدينا حتى يومنا هذا، واستفاد من فنه عدد من الرجال، وكانت له جلسة يومية يشاركه فيها محبو الطرب الذين نقلوا عنه ألحانه الجميلة وشعره الغنائي الذي طار ذكره في كل مكان.

أما ألحانه فقد استطعنا الحصول عليها بجهد رجل مخلص لوطنه هو الأستاذ أحمد البشر الرومي الذي استطاع في وقت مبكر الحصول على آلة تسجيل ربما تكون الأولى من نوعها في الكويت، فأقنع المطرب القديم يوسف البكر بأن يسجل له، وبذل محاولات كثيرة حتى اقتنع بذلك، لأنه كان قد توقف عن الغناء مدة طويلة، ولأنه كان قد بلغ من العمر مبلغًا يصعب عليه معه

ممارسة الغناء ولكنهُ اقتنع. فسجل الأستاذ الرومي له عشرات من الأصوات والاستماعات وكلها نقلها يوسف عن أخيه خالد البكر الذي كان ملازمًا لعبدالله الفرج، وصوت يوسف البكر الذي احتفظ به لنا الأستاذ أحمد البشر الرومي يُرددُ الآن في الآفاق، وهو ذخيرة غالية من ذخائر الفن الكويتي. وقد تم إعادة تسجيل عدد من هذه الأصوات والاستماعات بعد ذلك بأصوات مطربين آخرين وصارت تتردد في إذاعة الكويت وغيرها.

وأما شعره فهو كما أشرنا من قبل شعر يحمل صفتين؛ أولاهما الصفة الفصحى التي كتب بها عددًا لا بأس به من القصائد، وكان له منها ديوان خاص بهذا النوع من الشعر، ولكن أكثره قد ضاع، أما ثانيهما فهو الشعر العامي الذي نطلق عليه اسم: الشعر النبطي، فله منه ديوان اعتنى خالد الفرج بطبعه مرتين أولاهما في الهند سنة ١٩١٩م والثانية في دمشق سنة١٩٥٣م. ثم قامت مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بطبع شعر هذا الشاعر بنوعيه في مجلد واحد، ولكن المؤسسة لم تعثر إلا على عدد قليل من القصائد التي قالها باللغة الفصحى، وهذا مما يؤسف له، وقد تم نشر الديوان بصورته الشاملة هذه في سنة ٢٠٠٣م، إثر اهتمام المؤسسة المذكورة بإقامة مهرجان خاص جَددَتْ فيه ذكرى الشاعر، فكان من فعاليات هذا المهرجان بالإضافة إلى نشر الديوان عدد من الندوات والمحاضرات التي تتعلق بفن عبدالله الفرج وإنتاجه على مدى حياته، دون أن تنسى نصيبه من الموسيقى.

كان اهتمام خالد الفرج كبيرًا بكل تراث عبدالله الفرج وقد طبعه مرتين كما أسلفنا إحداهما في بومبي (الهند) والثانية في دمشق، وكتب للديوان مقدمتين إحداهما تناول فيها الشعر النبطي وأصوله. والثانية تحدث فيها عن عبدالله

الفرج بصفته شاعرًا وفنانًا وموسيقيًا وإنسانًا. وأثنى على جهوده في تهذيب الغناء في الكويت وتقديمه في صورة زاهرة حتى استطاع أن ينشره في المنطقة كلها.

وبعد أن تحدث خالد الفرج عن كل ذلك قال: «كما أن له يدًا في الرسم والتصوير، وَخَطُّهُ في غاية الجودة، وله تميز في مختلف أنواع الخطوط». ثم أضاف وهو آسف: «وقد ضاع كثير من شعر صاحب الديوان (عبدالله محمد الفرج) لأن مخلفاته ظلت مدة طويلة في يد من يجهل قدرها، فلعبت به يد الضياع».

وأضاف خالد الفرج إلى ذلك قائلًا: «وجدت له بخطِّهِ مسودات لنوع من (الشعر) الزهيري مرتبة على حروف المعجم، ولم يتمها سماها: «الروضة»، وقد ملأها بأنواع البديع والتراكيب اللفظية بين مهمل ومعجم ومتجانس إلى ما هنالك من أنواع التعسفات اللفظية البديعية، وبعضها يعسر فهم معناه، ولكني أثبتها حرصًا على حفظ آثاره.

وهذا الذي ذكره كاتب المقدمة واعتبره من التعسف أمر قابل للنظر، فإن عبدالله الفرج شاعر وفنان ومبدع، وكان يحب أن يأتي بالجديد دائمًا، بل كان يتحدى شعراء عصره في أن يأتوا بمثل ما يكتبه من شعر، ولذا لجأ في جانب من شعره إلى النوع الذي سماه (الروضة) وهو مذكور في الديوان تحت هذا الاسم ولم يكن شاملًا لمجمل شعره من هذا الجنس.

وإذا نظرنا إلى القسم النبطي من شعره وهذا ما اهتم بذكره خالد الفرج فإننا سوف نجد كثيرًا من المداخلات الشعرية التي جرت بينه وبين غيره من

الشعراء، وسوف نرى فيه هجاء لكثيرين، كما نجد فيه فخرًا بمكانته في عالم الشعر، ولذا فإن من المتوقع أن يأتي بالغرائب، أو بما سماهُ خالد الفرج بالتعسفات حتى يُعْجِزَ غيره، فلا يستطيع أحد من شعراء زمنه اللحاق به.

ولقد حان الآن وقت الحديث عن شعر عبدالله محمد الفرج الفصيح، والمتوافر منه لا يزيد عن اثنتي عشرة قصيدة، وكما مر بنا فيما سبق فإن أكثر شعره الفصيح قد ضاع ولم يبق منه إلا هذه المجموعة الضئيلة. وعلى كل حال فإنها تنم عن مستواه في هذا النوع من الشعر، وأرى أن ما جاءنا منه جيد. وهو - أيضًا - متنوع فيه الرثاء والمديح والغزل بل والهجاء حتى ليكاد الشاعر أن يقول في كل غرض من أغراض الشعر قصيدة لو كان ما وجدناه هو كامل شعره. وقد أحسنت مؤسسة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري حين بذلت جهدها في سبيل ما يمكن جمعُهُ من أشعار الشاعر الفنان فَهَذِهِ مجموعة على قلتها ذات دلالة على مستواه وعلى المجهود الذي جرى من أجل تجميعها.

القصيدة الأولى من المجموعة الفصحى تدل على مدى علاقة شاعرنا بالناس مهما بعد مكانهم عنه، فهي قصيدة وجهها إلى الأديب القديم أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة (الجوانب) وهو يمدحه ويمدح جريدته، أما أحمد فارس الشدياق فهو أديب لبناني ولد في سنة ١٨٠٤م وتوفي سنة ١٨٨٨م. وهو رائد من رواد الصحافة العربية. وقد أصدر جريدته هذه في اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، وكانت هذه العاصمة تسمى الآستانة إلى أن تغير اسمها. وقد نُشرت القصيدة في الجريدة المذكورة، ونُقلت إلى ديوان الفرج.

ومما قاله عبدالله الفرج في هذه القصيدة:

فــإن ســاد أربـــاب الجـــرائـد حقبة

فـلا عـجـبًا إن ســـادَ رب الجـــوانـبِ

يُــقـر لــه بــالـفضل أبـنــاء جِـنْـسِـهِ

ويُـــثـنـي عـلـيــه كــل دانٍ وعـــازبِ

أَلــم يَـهْـدِ حـقًّـا فـي الجـوانـب نُـطْـقُهُ

عـقولَ الأعــادي في الــورى والأصاحـبِ

ومن جيد غزله الفصيح قوله:

إنَّ هــنـــدًا يَـــرُقُّ مـنـهـا المُـحـيـــا

لـيـس إلا مـــن الـبَــهـا أن تُـحــيّـا

رَبِّ هَـــبْ لــي مـــن الجـــلادة صـبـرًا

وإِذَنْ مـــن لــديـك هـــب لـــي ولـيّـا

لا تــذرنـــي إلـــى الـكـآبـــة والــوجْـــ

ـــدِ، إلــهـي أهـيـم فـــردًا خَـلـيّـا

كـيـف أنـسـى كـلامَـهـا الـيـــومَ لما

نـبـذتـنـي عـنــهـا مـكـانًـا قـصـيّـا

عـــاتـبـتـنـي فـــأوسـعـتـنـي عـتـابًـا

فـكـأنـــي أتـيـتُ أمـــرًا فـريّـــا

ذات طـــرفٍ كـأنــهــا الـنـجـم هـنـدُ

ووشـــاحٍ إذا بَـــدَتْ كـالـثـريّـا

وقد لحن عبدالله الفرج هذه الأبيات، وسجلها الأستاذ أحمد البشر الرومي ضمن ما سجل للفنان يوسف البكر، ثم غناها الفنانان محمود الكويتي وسعود الراشد، وهي من نوع الاستماع، الذي هو من فنون الصوت.

ولعل فيما قدمناه الكفاية للدلالة على شعر عبدالله محمد الفرج الفصيح.

وسوف تكون لنا وقفة مع شعره النبطي فيما بعد.

****

٣٠ - خالد محمد الفرج

خالد محمد الفرج أديب وشاعر كويتي معروف لدى الجميع. له مؤلفات نثرية وله شعر جيد نراه في مجلات الكويت وبخاصة مجلة البعثة التي كانت تهتم بإنتاجه الشعري وتنشر له دائمًا.

ولقد كان هذا الأديب من الحريصين على أصدقائه من أبناء الكويت، وبخاصة منهم من أخذته حرفة الأدب، فهو على الرغم من عمله في خارج البلاد فإنه دائم التردّد عليهم حريص على أن يكون تواصله مع هؤلاء غير منقطع.

إذن؛ فإن علاقة خالد الفرج بالأدباء الكويتيين علاقة متينة بدليل اهتمام مجلة البعثة بنشر كل ما يكتبه. وبدليل آخر هو تكرار ذكره في أوراق الأستاذ أحمد البشر الرومي الخاصة، وفيما يتعلق بصلته مع الأستاذ الرومي فإننا نورد فيما يلي ما جاء في كتابنا: «أحمد البشر الرومي... قراءة في أوراقه الخاصة». وقد تحدث عنه هكذا:

في صفحة ١٦٦؛ كتب في اليوم الثاني عشر من شهر يونية لسنة ١٩٥٠م فقال: «أرسلت كتابًا للأخ خالد الفرج عن طريق لبنان بواسطة فهد الدويري، وأرسلت البعثة والبعث والملتقطات أيضًا لخالد، وكتبت لعبدالعزيز حسين لكي يرسل البعثة له».

وهذا يدل على مدى اهتمام الأستاذ أحمد البشر الرومي بهذا الأديب الشاعر، فهو يعرف قدره وقيمته الأدبية والفكرية. وكان الأستاذ خالد الفرج – كما سبق أن قلنا – قد عاش فترة طويلة من الزمن خارج الكويت، ولكنه لم ينقطع عنها في زيارة أو في مراسلة. وهذا بيان لبعض ما ورد في النص المنقول أعلاه:

فهد الدويري: أديب كويتي باحث وقصاص.

البعث: مجلة أصدرها الأستاذ أحمد العدواني والأستاذ حمد الرجيب في أوائل الخمسينيات.

ومما كتبه الرومي عنه بالتفصيل ما يلي:

«خالد الفرج علم من أعلام الخليج في أيامه، تلك الأيام التي شح فيها الأديب إلا ما قل وندر، عدا أفذاذ لا يكادون يعدون على رؤوس الأصابع، فقد كان في تلك الأيام لذكر خالد الفرج دوي في الخليج العربي حتى قبيل وفاته رحمه الله. وشاءت الأقدار أن تنتهي رحلة حياته بعيدًا عن وطنه قبل أن تسمح له الظروف بنشر إنتاجه، وكان من جراء ذلك أن استولت عليه أيد لم تعرف قيمة هذه الآثار الأدبية، ومما يحز في النفس أنه لم يعرف أحد مصير تلك الآثار حتى هذه الساعة، وقد حدثني خالد الفرج قبل وفاته بخمس سنوات أنه كان يحتفظ بمخطوطتين لشعره يترك إحداهما عند أهله والأخرى يأخذها معه عندما يسافر إلى جهة ما، تخوفًا مما قد يحدث له في أثناء سفره، مما يدل على أن الرجل كان حريصًا على تراثه. غير أن الحذر لا يغني عن القدر فقد ضاع الكثير من إنتاجه».

ولقد اهتمت به مجلة البعثة ونشرت له أشعارًا كثيرة تكاد لكثرتها تكون غالب شعره. وكتبت عنه كتابات أوضحت مكانته الفكرية والشعرية.

ولقد كان خالد الفرج على الرغم من أنه كويتي لا يعرف له وطنًا محددًا في الخليج العربي كله فهو في كل مكان من هذه البقعة من الأرض ابن من أبنائها، وأدل شيء على ذلك أنه عندما احتفل النادي الأدبي في البحرين سنة ١٩٣٧م بتتويج الشاعر أحمد شوقي أميرًا للشعراء وقدم النادي هدية إلى هذا الشاعر الكبير كانت معها قصيدة للشاعر خالد الفرج مطلعها:

من منبتِ الدرِّ تسليمٌ وتكريمُ

لشاعر اللغة الفصحى وتفخيمُ

حيّاك في دارنا البحرين لؤلؤها

والنخل حين بَدَتْ فيه الأكاميمُ

ولد الشاعر الأديب المؤرخ خالد محمد الفرج في مدينة الكويت سنة ١٨٩٨م. واندفع إلى قول الشعر عارضًا للمشكلات الاجتماعية ومصورًا للواقع الذي يعيش فيه أوضح تصوير.

في سنة ١٩١٧م سافر إلى الهند، وصار كاتبًا عند بعض التجار العرب في بومبي، ولما كان طموحًا حريصًا على أن يقدم لنفسه مثل ما يقدم للناس فقد أسس مطبعة في تلك المدينة الهندية أطلق عليها اسم: «المطبعة العمومية». وإتمامًا لما فطر عليه من حرص على الوصول إلى المعالي فقد تعلم هناك اللغة الإنجليزية واللغة الهندية.

وفي الوقت نفسه كان يوالي قرض الشعر ويقدم منه - باستمرار - كل جديد حتى أطلق عليه قراؤه وأصدقاؤه الأدباء لقب: شاعر الخليج.

وعاد من رحلته هذه إلى الكويت في سنة ١٩٢٧م، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية حيث عمل هناك وأنشأ مطبعة وألف مجموعة من المؤلفات،

لم يكن من بينها شعره الذي ضاع أكثَرهُ، وفي آخر حياته أصيب بالتدرن الرئوي وبقي تحت العلاج فترة إلى أن توفي في لبنان حيث كان يعالج، ولم ينج من ذلك المرض فانتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٩٥٤م بلبنان.

شعر خالد الفرج شعر متنوع الأسلوب، جميل ورقيق. وقد يلاحظ قارئ هذا الشعر أن الرجل كان مهتمًا بأحداث العالم في خارج المجال الذي يعيش فيه. فهو يورد في شعره ذكر بعض الأمور الخارجية مشيرًا إلى مدى انطباع هذه الأحداث على المنطقة العربية بوجه عام ومنطقة الجزيرة العربية والخليج العربي بوجه خاص.

ولما كانت هذه الظاهرة واضحة في شعره تمام الوضوح، فإن من المهم أن نورد تفصيلًا لها مع التمثيل لكل ما ذكر من موضوعات بما يناسب ذلك من شعره.

ولقد وجدنا أنماطًا من شعره تتحدث عن الأوضاع بمختلف حالاتها. وأول ما يلفت النظر هذه الأبيات التي نشرتها مجلة البعثة وعنوانها:

«المهاتما» ويقصد به الزعيم الهندي الشهير غاندي الذي أسهم في تحرير الهند. فقال الشاعر يصف «المهاتما» هذا الوصف الذي نراه في الأبيات الآتية:

قطعةُ من نسيج قطن خام
خَشِنٍ فوق هيكلٍ من عظامِ

ثم رأس، السبرمان موجو
دُ كما صوّروه في الأوهام

أُذُنٌ قد أعارها الفيل إيا
ه، وأنف من الأنوف الضِّخَامِ

وعـــيـــونٌ كَـــمَـــنَّ خـــلـــف زجـــاجٍ

نـــافـــذات ولا نـــفـــوذ الـــســـهـــام

وثـــنـــايـــا مـــن المـــشـــيـــب تـــهـــشْـ

ـــنَ، تـــريـــك الـــشـــبـــاب بـــالإبـــتـــســـام

قـــام مـــن بـــيـــنـــهـــا لـــســـانٌ ذلـــيـــقٌ

غـــيـــر مـــســـتـــرســـلٍ ولا تَـــمْـــتَـــامِ

ولـــعـــمـــري لـــولا الأديـــم لـــقـــلـــنـــا

هـــيـــكـــلٌ عـــاش مـــنـــذ ألـــفـــي عـــام

فماذا كان من أمر هذه الصورة الواضحة التي رسمها خالد الفرج للمهاتما، حتى لنكاد نراه ونسمعه. إنه يقول:

هـــذه الـــصـــورة الـــتـــي تـــمـــلأ الـــكـــو

نَ، ضـــجـــيـــجًـــا مـــحـــاطـــة بـــالـــزحـــامِ

هـــزت الـــهـــنـــد بـــالمحـــيـــط بـــهـــمـــلا

يـــا، ومـــا بـــيـــنـــهـــا مـــن الأقـــوامِ

وجـــدت حـــولـــهـــا المـــلايـــين ممـــنْ

خُـــلـــقـــوا خـــلـــف شِـــقْـــوة الانـــقـــســـامِ

وهـــم الـــرمـــل عـــدة وانـــحـــلالا

وانـــهـــيـــارًا إن دِيـــسَ بـــالأَقـــدامِ

يـــتـــحـــدى الـــقـــوى الـــكـــبـــيـــرة بـــالـــرد

ح، فـــيـــعـــنـــو لأمـــره كـــل هـــامِ

بـــســـلاحٍ مـــن الـــتـــقَـــشـــفِ والـــزهْـــ

ـــد، ويـــرمـــي قـــنـــابـــلًا مـــن صـــيـــامِ

هذا هو المهاتما غاندي كما صوره الشاعر، وصور حركته التي هزت العالم وأدت إلى تحرر الهند، وتخلصها من الاستعمار البريطاني الذي كان مسيطرًا عليها وكان فيما يبدو متمسكًا بها، لا يمكنه القبول بمغادرتها. ولقد وجدنا في هذه الأبيات لطفًا ورقةً ودِقةَ وصف، وقدم خلالها صورة جلية لحركة اللاعنف التي أدت إلى تحرر هذا البلد الكبير: الهند.

وبعد هذا أليس من الملائم أن نختار أبياتًا أخرى على هذا المنوال لنبين بدقة أكثر، ووضوح أجلى مما أشرنا إليه اهتمام الشاعر خالد محمد الفرج بالعالم الواقع خارج منطقته؟.

بلى... فإن له من القصائد التي نحا فيها هذا المنحى عدد كبير. وكما اخترنا القصيدة الأولى فهذه قصيدة أخرى من النوع نفسه لها جانب سياسي، ولها جانب آخر إنساني وقد عبر من خلالها عن شعوره تجاه النكبات التي يتكبد بلاءها الفقراء والمغلوبون على أمرهم من أبناء الشعوب التي كانت خاضعة لسطوة آمرهم من أبناء الشعوب التي كانت خاضعة لسطوة الاستعمار في وقته، ويحاول رفع صوته مستنفرًا الزعماء الذين يظن أنهم ربما أسعفوا الناس بجزء من جهدهم، فوجهوا قادة الدول الاستعمارية إلى وجوب الالتفات إلى النواحي التي ينبغي الاهتمام بها لمصلحة الإنسانية جمعاء.

وبناء على ذلك نشرت مجلة البعثة الأبيات التالية وهي موجهة من الشاعر إلى شيخ الأزهر وبابا روما ورئيس الكنيسة الإنجليزية، وكان خالد محمد الفرج يأمل من هؤلاء أن يقوموا بدورهم في إصلاح الحال السياسي العام في مختلف أنحاء العالم. إن شاعرنا يقول:

أيـــا مــن بــ (رومـــا) وكـنـتـربـري
وشـيـخ المـشـايـخ فـي (الأزهـــرِ)
أفــي عـــالــم الـنـــاس أم أنــتـمُ
ذهــبـــتــم إلــى عـــالــم آخـــرِ؟
ألا تــشــعـرون بمـــا قـــد جــرى
وهـــل أحـــد بـــات لـــم يـشـعـرِ؟
زلازلُ بـــغـــيٍ تـــهـــدُّ الجـبـــالَ
أعـــادت لـنـــا مـظـلـم الأعـصــرِ
ألـــم تـسـمـعـوا أنّـــة الـلاجـئـيـن
ألـــم تـبـصـروا الـعـمـل الـبـربـري؟
أُهــيـــن الـصـلـيـب وبـيـت الالـــه
بـهـتـك الـنـســاء وقـتــلِ الـبـري
لمـــاذا الـسـكـوت فـلا تـنـبـسـونَ
أمـــا فـيـكـم يـــا تُـــرى مِـــن جَـــري؟

وإلى هنا نكون قد انتهينا من الحديث عن الشاعر خالد محمد الفرج ومن الاختيار الذي قدمناه من شعره. وهذا الذي ذكرناه لا يعطي البيان الكامل عن كل ما يجب أن يقال عن شاعرنا ولا عن حياته وكتاباته المتعددة، ذلك لأنه كتب كثيرًا وأنشد شعرًا غزيرًا. ونحن نأمل أن نعود إلى ذكر هذا الرجل مرة أخرى فنقدم عنه ما لم نقدمه هنا.

****

٣١ - حجي بن جاسم الحجي

الشاعر حجي بن جاسم الحجي شاعر قديم جيد الشعر له مبادرات شعرية، وله مراسلات مع عدد من الشعراء، كان منهم شاعر الكويت صقر الشبيب ومنهم السيد حسن بن السيد زيد النقيب، أما موضوعات شعره فهي متنوعة وسوف نذكر منها ما نرى أن نختاره ضمن حديثنا هذا.

ولد الشاعر الأديب حجي بن جاسم الحجي في الكويت سنة ١٩٠٣ م. ودرس في وطنه فترة من الزمن. ثم رحل إلى الأحساء وأقام بها مدة لا بأس بها، ومن بعد ذلك عاد إلى الكويت. وقد تولى العمل في عدة مجالات منها أنه كان عضوًا في اللجنة العقارية ببلدية الكويت. ومنها عضويته في الهيئة العامة لمساعدات الخليج. وقد عمل - أيضًا - في أعمال خاصة، وبقي على ذلك حتى توفي في سنة ١٩٧٤م.

اختار له الشيخ عبدالعزيز الرشيد عددًا من قصائده وضعها ضمن مجموعة مختارة من أشعار الكويتيين في الجزء الأول من القسم الأول لكتابه «تاريخ الكويت» وقدم لشعره بمقدمة قصيرة ولكنها تدل على رأيه فيه، فهو يقول: «الشاب الأديب والفاضل اللوذعي حجي بن قاسم آل حجي».

ومما أشرنا إليه آنفًا حول مراسلات هذا الشاعر مع غيره من الشعراء؛ نذكر أنه أرسل بقصيدة إلى شاعر الكويت صقر الشبيب، فرد عليه بما يلي:

كَســـوتَ أخـــــاك ثـيـــابَ الـثَّـنـــا

فـجـــازَ فـخــــارًا بـــهــنَّ الـسـمـــا

وأصـبـــــح يــســـحــب اذيــــالــهـــنَّ

عــلــى ذروتــــــي نـــسـرهـــا والــسّــهــا

ولـــكـــنْ أطـــلـــت ذيــــــول المـديـــح

والــبــســتــهــن فــتــــىً ذا عَــمــىَ

وطـــــول الـــذيـــــول عــثـــــار لـــه

وأنـــــت بـــســطـت لــــه فــــي الـكـســـا

ومن قصائد الشاعر الحجي قصيدة عنوانها: «النصائح الثمينة»، وهي موجهة إلى إخوانه أبناء الشعب الذين وجد أن من واجبه أن يتوجه إليهم بالنصح، فيدعوهم إلى التآزر والتعاون على طول المدى. ويعلن لهم أنهم بدون وحدة الرأي، والاتفاق على وحدة الوطن وحفظه سوف لا ينعمون بما به من خير ومن رغد العيش، ويبلغهم بأن هدوء البال وراحة النفس لا تأتي مع المشاحنات، بل إنها تأتي مع الشعور بالأخوة والتآلف. وتبادل المحبة، وانتشار الرأفة بين أفراد الشعب، وهي كلها أمور لا تأتي إلا بخير، ولذا فإن علينا جميعًا أن نشعر – دائمًا– بأننا أفرادُ أسرة واحدة لا غنى لبعضها عن البعض الآخر.

وفي قصيدته هذه يقول إنني أقسمتُ للشعب ألا أُخلف العهد الذي عاهدته به، وأن أكون دائمًا عند ما يُحِب أن أقدمه إليه من الإخلاص والوفاء، ولقد وعدتني أيها الشعب الكريم بوفاء تقابل به عهدي، وأنا أرجو الله أن يحقق وعدك.

إنني أيها الشعب في وضع لا يسرني البقاء عليه، فأنا أتمنى مجالًا فيه شفائي مما أحس به من أسواء وأنني لأبيت رهنًا لقيود يكبلني بها الدهر، ويقع

ثقلها على كتفي. أعيش وكأنني في ظلام دامس فليس حولي إلا الغمام الذي يظللني وأقبح به من ظِلٍّ هو الظلمة بعينها. حتى صرت على يقين من أن المنايا ليست ببعيدة مني، فهي دائمًا حيالي، ويضيف قائلًا:

إن الشعوب لا تخضع لمن يأخذها بالعسف والتضييق عليها. وإن المرء لا يرضى أن يناله عدو بالخسف وبالأذى، فالشعب الكريم هو الذي يدفع عن نفسه أذى المعتدي، ويبعده عنه.

إن الحر لا يقبل الضيم بحال من الأحوال، ولا يرضى أن يهان مهما كان الأمر،، فهو الشامخ دائمًا الرافض للذل الداحض للعدوان. وأنا هنا أقبل المصارحة كلها بهذه الأمور التي في معرفتها نجاة الأمة من كل ما يصيبها من عدوها. وانفساح الطريق أمامها للرقي.

ثم يقول بعد ذلك:

خـــيـــرُ الأنـــــــام هــمــــامُ
يـــصــون حـــــقَّ الـــبـــلادِ
يـــكـــون فـــيــهـــا كــشــمــسٍ
تُـــضـــيء طُـــــرْقَ الـــرشـــادِ
مُـــــذَكِّـــــــرًا كـــــل حـــيـــن
يـــزيـــح أُسَّ الـــفـــســـادِ
ومـــــن تـــفـــكـــر يــــومًـــا
بِـــغَـــمْـــطِ حـــق الـــعـــبـــادِ
فَـــهْـــوَ الـــــذي راح يُـــدنـــي
مـــصـــيـــره لـــلـــنـــفـــادِ

تـــــرقـــب الـــفـــجـــر يـــــا مــن
عـــدمـــت طـــيـــب الـــرقـــــادِ

وبعد هذه الأبيات يكرر الشاعر القسم الذي ابتدأ به ثم يواصل قصيدته التي رأينا أنها تتكون من عدة فقرات. ففي الفقرة القادمة يتحدث عن كل ما يقابله من أولئك الناس الذين ينصحهم، ويقدم إليهم خلاصة تجاربه، يرددها بكل إخلاص آملًا أن يتحلى بها أبناء الشعب، ولكن الأمر الذي يراه هنا مختلف تمامًا. إن الذين يستمعون إليه لينظرون إليه شزرًا، وكأنهم قد استمعوا إلى عدو مبين يطلب منهم أن يعملوا ما يضر ولا ينفع.

ويضيف أنه قال للناس: يا قوم قوموا إلى التقدم، وناديتهم بذلك جهرًا، ولكنهم عَدوا ما قلته لهم رياء، وَعَدوا موقفي من ذلك منكرًا. واستمروا على غيهم، وصار كل جهول منهم يضمر لي الشر، ويفضل الباطل على الحق.

ثم يوجه النصيحة إلى صاحبه الذي يقدم إليه قصيدته هذه قائلًا له: إذا رأيت عسرًا فعليك أن تترقبَ اليسر، فإن بعد العسر يسرا. ولا تكترث بكلام المغرضين فإن الشر لا يغلب الخير، وكن مثلي فقد وضعت نُصْبَ عيني حكمة آمنت بها وهي إنه إذا كانت المعالي راضية عني فإني لا أخاف شرًا من أحد مهما علا شأنه.

وفي هذا الموضع يعيد قسمه الذي ابتدأ به قصيدته ثم ينتقل إلى فقرة أخرى.

وفي هذه الفقرة إشارة إلى موقف بعض الذين يدعون العلم، ويرون أنفسهم أولياء على الناس، وفيها أن أدعياء العلم هؤلاء هم أضر البشر بالأهالي فإن

المدعي يزين القبيح ويُقَبِّحُ الجميل ومن يستمع إليه يصدقه في كل ما يقول، وتكون النتيجة هي الضلال المبين:

أضــــرَّ بـــالـــنـــــاس قـــومٌ
يُـــــــــدْعَـــونَ بـــالـــعـــلـــمـــــاءِ

يُـــحـــبـــــذون الـــتـــمـــــــادي
بـــــــالجـــهـــل لـــلـــســـفـــهـــاءِ

تَـــــدرَّعـــــــوا بـــثـــيـــــــابٍ
ثـــيــــابِ أهـــــل الـــريـــــاءِ

لـــيـــكـــشـــف الـــصـــبـــحُ مـــــا قـــد
أخــــفـــــوه عـــنـــد المـــســـــاءِ

فما هو موقف الشباب من هؤلاء:

نـــحـــن الـــشـــبـــاب ريـــــاحُ
وأنـــتُـــــمُ كـــالـــهـــبـــــــاءِ

تـــيـــــــارنـــــا آخـــــذٌ فـــي
تمـــزيـــقـــكـــم فـــي الـــفـــضـــاءِ

وغني عن الذكر أن نشير إلى أنه لا يعني بما قاله فئة الصالحين من العلماء الذين جعلوا هدفهم الإصلاح وإزالة المفاسد، وهم محل احترام وإجلال الجميع.

ولقد اشترك الشاعر حجي بن جاسم الحجي بالنادي الأدبي، وكان حريًا به أن يكون عضوًا فيه لأنه من عداد الأدباء في وقته. ولقد كان سعيدًا بقيام هذا النادي، حريصًا على أن يؤدي رسالته كاملة، متمنيًا له الاستمرار في هذا العمل النبيل، ومن أجل ذلك فقد كتب قصيدة جميلة جاء فيها:

أَفِـــقْ يـــا عـلـمُ مـــن نـــومٍ عميقٍ
فـــإن الـــقــومَ أضـحــوا نـاهـضـيـنـا
ويـــا شـمـسَ المـعــارفِ أسـعـفـيـهـم
فـنـحـوَكِ قـــد غــدوا مُـتَـطلِّـعـيـنـا
أمـــدّيـــهـــم إذا ســـــألـوكِ عـلـمًـا
وأخــــلاقًـــا بــهـــا تـحـيـــا الـبَـنــونـا

والتقى حجي بن جاسم الحجي مع زميل له من الشعراء في قصيدة واحدة، وهذا الزميل هو السيد حسن بن السيد زيد النقيب. وقد قال حجي الشطر الأول من أبيات القصيدة وأكمل النقيب الشطر الثاني، وهكذا إلى نهايتها؛ ومنها قولهما:

نـــســـيـــمُ الـــصـــبـــح يـشـجـيـنـي
إذا هـــبَّ ويُـــشـــجـــيـــهِ
ويـــقـــتـــلـــنـــي ويُـــصـــبـــيـــنـــي
صـــــدودٌ مـــنـــه يُـــبـــديـــهِ
ويـــوهـــمـــنـــي ويـــغـــريـــنـــي
بـــلـــفـــظِ الـــــدلِّ والـــتـــيـــهِ

إلى آخرها. وهي أبيات غزلية كانت عبارة عن مباراة في الشعر بين هذين الرجلين، وما على قارئهما إلا أن يحدد الشاعر الفائز منهما.

هذه نماذج من شعر حجي بن جاسم الحجي، وهي كل ما استطعنا العثور عليه من شعره. ولنا أن نقول إن له من النثر الجيد شيئًا كثيرًا لابد من جمعه.

ولقد وجدنا له كثيرًا من الشكوى التي بدا بعضها فيما قد قدمناه، فهو يرى الناس وهم لا يقومون بواجبهم تجاه الوطن، ولا يقدمون لمواطنيهم حقهم في

المواطنة الصالحة التي يكفلُونَ بها لأنفسهم ولغيرهم العيش الهادئ الهنيء. ومع ذلك فقد وجدنا له قصيدة جميلة نشرت في إحدى صحف الكويت فيها تعبير عن حب البلاد، وتقدير لدور الأهالي في الدفاع عن الوطن، والحرص على استقلاله وكرامته وهي هذه القصيدة التي نختارها هنا:

يا وردةَ الصحراءِ يا نورها
يا زهرةَ المشرقِ والمغربِ
كم في مزاياك شدا شاعرٌ
كم فيك للأمثال من مَضْربِ
تَلألئي فوق ضفاف الخليـ
ـجِ وجدِّدي مجد بني يَعْرُبِ
حققت الاستقلال مستكملا
أكرم بالاستقلال من مكسب
يا درة التاج ألا فافخري
بحاكمٍ عدلٍ وشعب أبي
وليهنك العيد فأقصى المنى
أن يظفرَ الطالبُ بالمطلبِ
قولي لمن ضلّ طريقَ الهدى
وسخّر المجهودَ للأجنبي
إنّا لَقَومٌ من كرامٍ أَبَتْ
شيمتُنا الصفحَ عن المذنب
اليوم عصرُ النور عصرُ الحجا
وليس عصرَ الناب والمخلبِ
لا نخرج الصارم من غمدهِ
إلا بوجه الطامع الأشعبي

فـــالخـيـرُ كــلُّ الـخـيــــرِ أن يـرعــوي

عـــن غـيـــه والـــقـــصـــد والمـــــــأرب

فـــإن أبَـــى إلا ركـــــوبَ الـهــــوى

سـنـشـهـرُ الـنـعـلَ عـلـى الـعـقـــــربِ

هذا هو الشاعر الحجي، نرجو أن نكون قد قدمنا عنه ما يكفي للتعريف به وبشعره.

✱✱✱✱

٣٢ - ١ - عبدالله زكريا الأنصاري

الأديب اللامع الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري رجل عاش في قلوبنا بأدبه وأخلاقه العالية وشعره الجميل، إنه يُحبُّ الشعر والشعراء الذين يتبادل معهم القصائد، وَيَهْتَمُّ بتسجيل الأحداث التي تمر بحياته في شعر جيد محببٍ إلى النفوس. وكان يؤرخ لأحداث معينة حرصًا على حفظ ذكراها.

له عدة مؤلفات، وله ديوان شعر طبعته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في سنة ٢٠١٣، وهو يجمع شعره كله. وله مقالات كان ينشرها في مجلة «البعثة» يوم كان رئيسًا لتحريرها، ثم صار يكتب ما يعنُّ له من أفكار وموضوعات في الصحف التي تصدر في الكويت، وذلك بعد أن عاد من مقر عمله في القاهرة حيث أمضى فترة من الزمن وهو مسؤول في بيت الكويت هناك.

شعر الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري رفيق يشارك به في جوانب الحياة المختلفة، وله نصيب في الشعر القومي والوطني، ووصف الطبيعة والأحوال العامة في البلاد والغزل وكثير من الأغراض التي اعتاد الشعراء على التطرق إليها في قصائدهم، وسوف نقدم نموذجًا لذلك ضمن الاختيار الذي نراه مناسبًا لعملنا هذا، ولكننا قبل أن نصل إلى هذه المرحلة ينبغي أن نشير إلى ما يلي:

١ – ولد الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري في سنة ١٩٢٢، كما ذكر في مقابلة أُجريت معه، ونشرت في إحدى الصحف الكويتية.

وكان والده رجل دين وعلم، كانت له مدرسة أهلية يتعلم بها أبناء المنطقة التي كان يعيش فيها، ومن الطبيعي أن يلتحق بها ابن صاحبها، فيستفيد مما يقدم فيها من علم. وبعد هذه الفترة التحق صاحبنا بالمدرسة المباركية، فدرس بها لمدة ثماني سنوات، وزامل فيها عددًا من أبناء الكويت الذين تتشكل منهم مجموعة من أصدقائه ومعارفه.

ولما كان قد نشأ في بيئة علمية فقد أقبل على قراءة كتب الأدب بما في ذلك الشعر، وقرأ كتب التاريخ، واستوعب أشياء كثيرة، ومعلومات واسعة بسبب إقباله على الاطلاع، ولم يكن يترك وقت فراغ له دون أن يشغله بقراءة الكتب، ولذا فقد وجدناه بعد ذلك أديبًا مُتمكنًا، وشاعرًا رقيق الشعر، حسن الديباجة.

٢ – وبعد أن أخذ نصيبه من التعلم صار مدرسًا في مدرسة والده أولًا، ثم دعته دائرة معارف الكويت في سنة ١٩٤٠ لكي يكون مدرسًا في المدرسة الشرقية فالتحق بهذا العمل، وكان من زملائه المدرسين هناك الأستاذ أحمد البشر الرومي.

٣ – وفي سنة ١٩٤٢ ترك العمل في التدرس وصار محاسبًا لدى شركة تموين الأقمشة، وبقي متنقلًا بين أعمال المحاسبة في بعض الشركات إلى أن تم اختياره محاسبًا لدى دائرة معارف الكويت في فرع من فروعها هو بيت الكويت في القاهرة. فكان أن تسلم عمله في اليوم العاشر من شهر أكتوبر لسنة

١٩٥٠م، وبقي هناك إلى أن عاد إلى ديوان وزارة الخارجية، وعمل مديرًا لدائرة الصحافة والثقافة بهذه الوزارة إلى أن تقاعد عن العمل في سنة ١٩٨٨م.

٤ – ترك الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري عدة مؤلفات بخلاف الديوان الذي جمع فيه شعره. ومن بين هذه المؤلفات وعددها أحد عشر كتابًا:

أ – كتاب بين الكتب والمجلات، وهو مجموعة من المقالات التي كتبها في شؤون الأدب والسياسة والمجتمع.

ب – كتاب الشعر العربي بين العامية والفصحى.

جـ – صقر الشبيب.

د – مع الشعراء في جدّهم وهزلهم.

إلى باقي هذه المجموعة القيمة التي نالت إقبالًا شديدًا من القراء، وبخاصة أولئك الذي أعجبهم في كاتبها صدقة وأمانته وكياسته.

تمر بالشعراء فترات جافة يتوقف فيها الشاعر عن قرض الشعر والتغني به، ويحس لهذا السبب بهمٍّ كبير. لأنه اعتاد التغريد لا الصمت. وشاعرنا عبدالله زكريا الأنصاري من هؤلاء الشعراء الذين ذاقوا مرارة الصمت الشعري حتى لقد التفت إليه أصدقاؤه يسألونه عن سر توقفه عن الإبداع كما عودهم. وكان ذلك الاستفسار من أحدهم عن طريق قصيدة كتبها صديقه الشاعر محمد أحمد المشاري، وقد تلقاها شاعرنا بابتهاج، واعتبرها فتاة جميلة مغرية تحاول إثارته وإغراءه بالخضوع لدواعي الإلهام، فتوحي إليه بالشعر.

وقد كانت قصيدته التي رد بها طويلة بدأها بالحديث عن كيفية وصول قصيدة صاحبه إليه، وكأنها الفتاة اللعوب، وذكر تفصيل ما كانت تقوله له، ثم أشار إلى الأسباب التي وقفت حائلًا دون أن يستمر في دنيا الشعر كما كان يحب وكما كان يحب أصدقاؤه.

بدأ القصيدة التي يرُدُّ بها قائلًا:

جـــــاءت عـــلـــى مـــهـــل تـــداعـــبـــنـــي
وتـــثـــيـــر فِـــــيَّ كـــوامـــــنَ الـــشـــجَـــنِ
وتُـــعـــيـــد لـــــي ذكــــرى إذا خـــطـــرتْ
كـــانـــت كـــمـــثـــل الحُـــلـــم فـــي الـــوسَـــنِ
ذكــــرى صـــحـــوتُ بـــهـــا ولـــــم أرهـــــا
فـــكـــأنـــهـــا كـــانـــت ولــــــم تـــكُـــنِ

إن أطياف هذه الذكرى تُؤَرقُهُ وتُعذبُهُ على طول المدى، ثم إن الفتاة التي يتخيلها تتساءل عن سبب توقفه عن قرض الشعر، فتذكر عددًا من الأسباب التي قد تكون حالت دون استمراره ومن ذلك قولها له: هل تَيمتك الغيد حتى نسبت ما جرت به عادتك. أم شاب قلبك بعد فُتُوةٍ وشباب، أم أن محن الحياة هي التي أسكتتك، أم صرت هائمًا كالطير يطير دون أن يكون له روض أو فنن.

ثم تُذَكِّره بالمحيط الذي يحيا فيه، وكان يومذاك في مصر فَتُعدِّدُ له ما في تلك البلاد من مفاتن الحياة، وتستمر على هذه الشاكلة إلى أن يقول على لسانها:

قـــد كُـــنْـــتَ مـــثـــل الـــطـــيـــر تُـــنْـــشِـــدُنـــا
وتـــطـــيـــر مـــــن غـــصـــن إلــــــى غـــصـــنِ

تشدو بشعرٍ كُلّهُ نغمٌ
يسري كما الصهباء في البدنِ

وهي بعد أن قدمت هذه الأسئلة متوقعة فيها الأسباب التي قد يكون واحدًا منها هو الذي منع شاعرنا من الإنشاد. وكان صامتًا لا يجيب، ولكنه لم يبق على صمته فإن الإثارة التي أحس بها من جراء هذه القصيدة التي وردته من صاحبه إثارة لها مفعولها السحري في نفسه. فقال لها الرد المناسب، وهو ما نختاره هنا:

فأجبتُها والنَّفسُ تائهةٌ
والفكرُ فيها ليس يُسعِفُني
وعرائسُ الإلهامِ هائمةٌ
في الحُلْم والأوهامُ تزعجني
وتطلُّ أشباحُ وأخيلةٌ
من كُوَّةِ الماضي فَتُذْهِلُني
ورؤًى تَمُرُّ بخاطري تبعًا
«ما شاب قلبي لا ولم يَهُن»
لكنْ رأيتُ الدَّهرَ مضْطَربًا
كالموجِ إذ تجري به سُفُني
فأشقُّ فيها كُلَّ عاتيةٍ
وأقودُها والرِّيحُ تَدْفَعُني
فتسيرُ والأمواجُ صاخبةٌ
وتكادُ تودي بي وتُغْرِقُني

فَـــأَغُـــصُّ لا قـــولٌ ولا كَـــلِـمُ
ويـخـونُـنـي شـــدوي ويَـهْـجُـرنـي

وأظـــلُّ فــي صــمـتٍ وفــي قَـلَـقٍ
حـتـى كـأنَّ الـصَّـمْـتَ مـن سُـنَـنـي

فـــأحـــارُ والأفـــكـــارُ حـــائـمـةٌ
لـتَـشُـدَّنـي طـــورًا وتَـجْـذُبَـنـي

فـيـمـوتُ إنـشـادي عـلـى شَـفَـتـي
فَـتَـظُـنُّـنـي عـيًّـا وتَـحْـسَـبُـنـي

أجْـتَـرُّ مـا قـد قـيـل مـن قِـدَمٍ
شـعـرًا أُرَدِّدُهُ فَـيُـطْـرِبـنـي

أشـكـو بـه الأحـداثَ مـفـعـمـةً
وأبـثُّـهُ شَـجْـوِي لـيُـسْـعِـفَـنـي

ثم هو في آخر المطاف يقول موجها هذه المرة حديثه إلى الشاعر محمد أحمد المشاري:

حـتـى أتـيـتَ إلـيَّ تـسـألـنـي
بـعـضَ الـغِـنـاء وأنـتَ تَـعْـذِلُـنـي

وتـقـولُ لـي قَـدْ كُـنْـتَ تُـنْـشِـدُنـا
مـن غـيـرِ مـا كَـلَـلٍ ولا وَهَـنِ

أَرْسَـلْـتَ لـي وبَـعَـثْـتَ أغـنـيـةً
جـاءت إلـى الإنـشـاد تَـدْفَـعُـنـي

فَـطَـفِـقْـتُ أرويـهـا وأنـشِـدُهـا
وَغَـدَتْ بـقـولِ الـشـعـرِ تُـلْـهِـمُـنـي

إذن؛ فإن قصيدة الصديق المتسائلة هي التي أخرجت الشاعر الأنصاري من صمته، وجاءت بقصيدته الجميلة التي عنوانها: «الشعر نبع من مشاعرنا».

ولعل مما يذكر في هذا المجال أن الشاعر عبدالمحسن محمد الرشيد قد مرت به حالة من الصَّمت مشابهة لهذه الحالة، وتحدث إليه أصدقاؤه في ذلك، فقال:

قــالــوا: أطــلــتَ الــصــمــتَ يــا مــحــسنُ

والــصــمــتُ بــالــغــرّيــدِ لا يَــحــسنُ

الــــــروضُ مـــن بـــعـــدك أرجـــاؤه

مـــوحـــشـــةُ جـــدبـــاءُ لا تَـــفْـــتنُ

فـقـلـت مـــا صـــمـــتـــيَ عـــن رغـبــةٍ

لـــو أن مـــا أهـــفـــو لـــه مُمْــكِـنُ

****

٣٢ - ٢ - عبدالله زكريا الأنصاري

هذه عودة إلى الحديث عن الشاعر الكبير عبدالله زكريا الأنصاري، وهو- في واقع الأمر - يستحق أكثر من عودة، وذلك لسببين مهمين هما قدرته الأدبية وشعره الفاخر. ثم كثرة إنتاجه شعرًا ونثرًا. كان متفرغًا لصنعة الأدب منذ تقاعد عن العمل في وزارة الخارجية سنة ١٩٨٧م، وقد شَهِدَتْ مجالسه التي يعقدها كل ليلة على إقبال الناس عليه وحرصهم على سماعه والاستفادة مما يمتلكه من معارف، وَشَهِدَتْ بذلك - أيضًا- الصحف التي نشرت كثيرًا من شعره ونثره.

حكى عن نفسه أنه لا يرضيه أن يمر عليه يوم من أيام حياته دون أن يكتب شيئًا يرصد فيه ما يمر به، أو يعلِّق فيه على بعض ما يقرأ من كتب أو مقالات منشورة. فلقد كان قارئًا نهمًا، ولكنه كان حريصًا على الاستفادة مما يقرأ، وقد أفادنا بتفرغه هذا كتبًا كثيرة وأشعارًا غزيرة، ولقد كان لا يترك فكرة تمر به دون أن يسجلها شعرًا، وكان - كذلك - يستفيد من علاقات صداقته بعدد من الشعراء فيتبادل معهم الشعر معبرًا لهم عن اهتمامه بهم وبما يكتبون.

وكان من أقرب الشعراء إليه الشاعر محمد أحمد المشاري فقد تبادل هذان الشاعران قصائد كثيرة أَثْرَتْ الشعر الكويتي، وصارت نموذجًا لما يتم بين الأصدقاء الشعراء حين تقوى علاقة أحدهما بالآخر.

وأنا أذكر هنا مع إحساس شديد بالسعادة أنني كنت على صلة متينة بالشاعر عبدالله زكريا الأنصاري فهو أستاذي منذ كان مشرفًا في بيت الكويت في القاهرة وكنت طالبًا هناك. أراه كلما زرت بيت الكويت فأسعد بلقائه، واستمتع بحديثه. وعندما عدت إلى الكويت لم تنقطع هذه الصلة. وكان الشعر سببًا قويًا من أسباب نموها واستمرارها. وإن كان حرصي على الاتصال به ولقائه أمر واجب، ولذا فإنني حرصت على زيارته في مجلسه المعهود، واستمتعت بحديثه الطّلي.

مما أذكر هنا أن المرحوم الأستاذ عبدالحميد البسيوني كان قد كتب أبياتًا لطيفة، وهو يتحفنا دومًا بأمثالها لأنه يود أن يحيي جلسات ديوانية الثلاثاء بمثل ما يكتب عادة. وهذا الذي يكتبه إن لم يكن بمناسبة محددة فإنه يجعله شعرًا فَكِهًا فيه دعابة ومزاح. وأذكر - أيضًا - أنني كتبت ردًّا على هذه الأبيات، فوصلت المقطوعتان إلى الأستاذ عبدالله زكريا عن طريق أحد أصدقائنا المفوض من الطرفين بإيصال كل ما يسمعه في الديوانية إلى أستاذنا عبدالله زكريا، وهو الصديق المرحوم محمد أبوخليفة المشهور بكنيته: «أبوعبدالله»، وكان من المواظبين على زيارة مجلس الأستاذ بعد أن يخرج من عندنا مباشرة.

وبعد أن قرأ شاعرنا المقطوعتين تحركت في نفسه نوازع الشعر، فكتب قصيدة بديعة معلقًا فيها على ما قلناه أنا والأستاذ البسيوني، ومن ذلك قوله:

عجبت من الشعر في أمرِهِ ... وَحَيَّرَني في مدى سِرِّهِ

حبيبٌ تناجيه في صدِّه ... وتطربُ منه ومن سحره

ويقول: ونتيجة لمناجاتك للشعر، واهتمامك بهبوط وحيه إليك بعد توقف فإنك تراه يحن إليك:

فَــيُــرخِــى إلــيــك زمــــام الــكــلامِ
تــضــوع الجـــــوارح مـــن نَــشْـــرِهِ
فــتــقــتــطــف الـــــورد مـــــن خَـــده
وتــرتــشــف الخــمــر مـــــن ثَـــغْــرِهِ
وتـــغـــدو رضـــيًـــا هـــنـــيء الـــفـــؤاد
تمــيــل وتـــغـــفـــو عـــلـــى نَـــــحْـــرِهِ

فإذا رضي لك الشعر وسمح لك بأن تقتطف من زهره، وجعلك تسبح في حالمات الرؤى، فتستنشق عطره الجذاب. فإنك في هذه الحالة تستطيع أن تستلهم منه الوحي، وتلتقط الدر الكامن في بحره، إن الشعر أمر لا يمكن أن نسميه إلا غناء الحياة، ونحن ننام ونصحو على ذكره، لا يفارقنا ولا نستطيع نحن فراقه.

إنه الشعر الذي نراه طورًا عزيز المنال، ثم نراه ينثال علينا غامرًا لحياتنا، إنه في هذه الحالة كالغيث المنهمر يهمي فيجرف كل شيء أمامه.

وأنت أيها الشاعر:

تـــغـــنّـــي وتـــهـــتـــزّ مـــــن وقـــعـــــهِ
وتـــبـــكـــي غـــنـــــاءً عـــلـــى وتـــــــرهِ
وتــــرقـــصُ طـــــــورًا عـــلـــى حـــلـــوهِ
وتــــرقـــص طـــــــورًا عـــلـــى مُــــــرهِ

ها نحن قد رأينا تعبيره الصادق عن الشعر، فهو منغمس فيه بصفته شاعرًا، وهو عارف بتقلبات القريحة وضنها حينًا وسخائها أحيانًا. إن الشعر المرقص هو الذي يأتي عفوًا لا تكلف فيه، ولا إرهاق ولا تزمت، بل إنه ليأتي من النوع السهل الممتنع.

والآن وقد تحدث عن كل ذلك، وأبدى وجهة نظره كما يشاء فقد آن الأوان لكي يبين لنا السبب الذي دفعه إلى هذه المقدمات. إنها أبيات الأستاذ عبدالحميد البسيوني التي أطربت شاعرنا وجعلته يَتَنبه إلى أن الشعر الذي يقوله. ثم يتوجه إليَّ طالبًا مني نقل هذه الصورة الجميلة من الشعر إلى الأستاذ البسيوني تقديرًا لما كتب وتعبيرًا عن الإعجاب بشعره:

(أبا أوس) هذي حميديّةٌ
(تُبَسْيِنُ) في الشعر من شعرهِ
فذاكَ الأديبُ الأرِيبُ الذي
يناولنا الدرَّ من دُرِّهِ
فَخُذْها كرمزٍ على حالها
وضعها كرمز على صدرهِ

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري قد كتب قصيدته في اليوم الخامس عشر من شهر يناير لسنة ١٩٧٧م، وأنها نشرت في ديوانه الذي اهتمت بطباعته ونشره مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وذلك في سنة ٢٠١٢م.

والأستاذ عبدالله كثير الحديث عن الشعر، وهذا ما يبدو جليًا في ديوانه، فالقصيدة التي مرت بنا، فيها حديث شيق عن الشعر وعن موقفه منه، وكيف

يراه. وهو يرى أن للشعر سلطانًا يسيطر به على الشاعر، فالشاعر لا يستطيع أن يستدعي الشعر متى يشاء، ولكن الشعر وحي يهبط عليه، فتراه يهطل كالمطر، بينما يكون – أحيانًا – ممتنعًا لا يجود على الشاعر بما يريد التعبير عنه.

هذه قصيدة طويلة جدًا كتبها في اليوم الخامس من شهر ديسمبر لسنة ١٩٧٥م. وهي بعنوان: «الشاعر والشعر»، وقد وردت في ديوانه المشار إليه آنفًا.

في مطلع القصيدة يقول الشاعر:

أضعتُ حُلْمِيَ في كِبْري وفي كِبَري
وتهتُ بينهما في مَهْمهٍ وَعِرِ
هذا عن الوجْدِ ينهاني ويمنعُني
وذاك يأنفُ أن أرتدَّ للصِّغرِ
والقلبُ بينهما شطّت مذاهبُهُ
إذْ راح يُمعنُ في قهري بلا حَذَرِ

هذه مقدمة، فأين حديث الشعر؟

يقول: إن الوجد هو الذي ألهمني هذا الشعر الذي أردده، وجعلني أصيغه صباغة جميلة حتى بدا في أجمل الصور. وفيه أرى طيوف الوحي منثالة، هائمة بمعانيها الجميلة المتناسقة التي تعجبني وتُمْتِعُ من يستمع إلى شعري، ذلك لأنها ملأى بالمعاني الرفيعة، رائعة الأثر. ثم يقول إن الشعر وحي وإلهام نَصوغُ به شتى الأفكار التي تعبر بنا وتسيطر على أذهاننا، إنها تأتي إلينا من كل اتجاه سانحة دون أعداد مسبق فننظم بها تلك القصائد التي تفيض في النفس فنراها متدفقة تشبه المطر في تدفقه. وهي في بعض الأحيان تهبط علينا متدللة مترددة

فلا تأتي بالهيئة التي نريدها. فهي ماضية في تدللها حتى إذا أطلت علينا وجدناها مجللةً بالخفر والحياء.

إنها تعز علي وترتفع عَني حتى إنني لأراها وهي ترنو إليَّ من أعلى وكانها القمر. أهفو إليها دائمًا، وهي صافية كماء المزن، فأشرب من هذا الماء النقي.

إنها رؤى متباينة من الشعر أراها في أحلى ما تكون في تلألئها، تزينها الأمثال والعبر وتكسبها جمالًا فوق جمالها. وتزينها – كذلك– حروف اللغة العربية الجميلة الزاهية وكأنها غُرَرٌ من أبدع الغرر.

مِـــن كـل حـــرفٍ لـــه جَـــرْسٌ أردّدهُ
كـأنـــه نَـــغَـمٌ يـنـســـابُ مـــن وتــرِ
يـشـعٌّ نـــورًا يـضـيء الـنـفـسَ رونـقُـــهُ
ويـجـعـل الـقـــولَ مـعـنًـى طـيِّــبَ الـثـمر
تــضـــيء أحـــرفُــهـا فـــي كــل جـارحـةٍ
كـمـا تـضـيء المـعـانـي أحـــرفَ الـزُّبُــرِ

هذه صفات الكلام في قصيدته التي توقعها ثم وجدها تهبط مقبلة عليه بجمالها وحسن رونقها، وهو يعجب حين يرى القوافي وقد أتته طائعة بعد تردد وتمنع. تسير إليه سيرًا متمهلًا ولكنها تبدي كل مستتر. ويكسوها الدلال فتسحب ذيولها في رقة واعتداد بالنفس، يفوح منها شذا طيب، وعطر يأخذ بالألباب.

هذه هي القصيدة، ذكر أوصافها، وهيامه بها وإعجابه بما هبط عليه منها. ولكن أين القوافي؟ ماذا يقول عنها؟ وما هو رأيه فيها؟.

إن في شعري كل قافية عذراء حالمة كأنها اللؤلؤ أو الفتاة الرائعة الجمال ذات الدلال الذي لا دلال قبله ولا بعده. لقد اشتقت إليها وطارحتها الهوى وأبديت لها الأشواق، ورضتها بخيال مزدهر بصورتها التي رسمها ذهني لها. وأمعنت في بثها أشواقي حتى انتفضت، ثم استرخت لي والهة مشتاقة، وخفضت من غلوائها فجاءتني وهي ملء سمعي وبصري، وهي ما أتمناه وأفزع إليه.

وها أنذا أصوغ منها نشيدي، وأعلن سروري بها بين الناس. وكما أنني معجب بها محب لها، فإنها تبادلني ذلك الحب، وتعجب بمقدرتي الشعرية التي جذبتني إليها ودفعتني إلى مبادلتها الأشواق على الرغم من تَمَنُّعها في بداية الأمر. وهي الآن على غير ما كانت، فهي تميل إلى مجاراتي في أهوائي وتخطر دائمًا في خيالاتي، بل هي عندي في مظهرها الذي أراها عليه مثل الشمس والقمر. ثم إنها لتشتاقني بصفتي شاعرًا رقيق المشاعر، تهفو إليه العذارى وتقدر ما يقوله من شعر:

مُجنحٌ لفظُهُ في كل قافيةٍ
جمُّ المعاني رقيقُ الحسِّ ذو أَثَرِ
خصبُ الخيالِ سريعُ اللمح تحسبُهُ
طيفًا رقيقًا سرى في شارد الفِكَرِ

هذا هو ما رأته في الشاعر حين هبطت إليه وشغلت باله، وجعلته لا يفكر في أمر من أمور الدنيا غيرها. إن القوافي حين أرخت إليه أعنَّتها في النوم وفي السهر، لم تَقُمْ بذلك - كما قال - إلا بعد أن علمت أنني أشتاقها شوقًا غامرًا وَأرقُبُ اللحظات التي ألتقي فيها معها. ولقد رضت فكري على ذلك وصرت لا أصبر عنها أبدًا. ولقد صادف ذلك اهتمامي بها واهتمامها

بي. وانتظرتها طويلًا حتى أطلت عليَّ فهب فكري منطلقًا، وصرت أشدو بعد صمت، وأحس بأنني ارتقيت مع قصيدتي هذه فوق هام الشمس والقمر، وأصبحت مغردًا راقصًا يلهو جذلًا بما ناله منها. وأصبحت قصائدي بسبب رضاها وتعطفها على كل لسان. وهذا هو الشعر لا يأتي إلا برضاه ورغبته، ومهما حاول الشاعر أن يتغنى به فلن يستطيع ذلك بسهولة، ولقد مررت أنا بهذه التجربة وعشتها. وخرجت منها عالي الهامة بعد أن تدفق شعري، وأعجبني شخصيًا قبل أن يعجب من يستمع إليه من أصحابي.

لقد قال الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري قولًا صادقًا معبرًا عن تجربة مر بها حين أراد أن يقول قصيدة من قصائده هي هذه التي استعرضناها هنا ولقد أجاد وأبدع. وتبينت لنا عبقريته الشعرية التي ارتفع بها في دنيا الشعر.

إن شاعرنا هذا محب للشعر، حريص على أن يكون مبدعًا فيه على الدوام، وهو يتحدث عن الشعر قائلًا في هذه الأبيات التي اخترناها من قصيدته:

والشِّعرُ وحيٌ وإلهام وأخْيلَةٌ
يبقى على الدهر معنىً خَالدَ الأثَرِ
تسمو به الروح في عليائها وبهِ
تُروى الأساطيرُ بين البدو والحضرِ
أبثّهُ في صلاتي كل أخْيلَتي
وفي نهاري وفي ليلي وفي سَهَري
أبُثّهُ من رؤى الأحلام أروَعها
كأنها طُررٌ من أبدع الطّرَرِ

يا نائمَ الليلِ ليلي الشعرُ إن هجعتْ

في الليل من كل فَج أعْيُنُ البشرِ

ومع ذلك فإنه يرى أن الشعر لابد له من ملهم يلقي المعاني والأفكار في ذهن الشاعر فيدفع به الحان القصيد، وها هو يناجي الملهم فيقول:

يا مُلهمَ الشعر ينبوعًا يُفجِّرهُ

يَدِرُّ دَرًّا كدرِّ السحْب للمطرِ

أروي به غلتي، أروي به ظمئي

أجني به يانع الأزهار والثمرِ

أصوغُه من معاناتي وأنشدهُ

في كل مجتمع بالشعر مؤتزرِ

يا مُلهمَ الشعر حسبي منك أمنيةً

أهفو إليها، وقد جاءت على قدرِ

هذا نموذج من شعر أستاذنا الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري، ودليل على إبداعه، وجمال فنه الشعري، وكم في ديوانه من قصائد رائعة الجمال.

****

٣٣ - عيسى مطر حسن مطر

لم أعثر على ديوان شعري مطبوع لهذا الشاعر ولكنه يقول الشعر، واشتهر بذلك بين زملائه، ونستطيع أن نجد له عدة قصائد في أماكن متناثرة ضمن وسائل النشر المعروفة، ووفق الرواية الشخصية التي يتناقلها أولئك المحيطون به. إنه الشاعر الأستاذ عيسى المطر. الذي سوف يكون مجال حديثنا هنا.

ولد عيسى مطر حسن مطر في الكويت (براحة مجيبل) في سنة ١٩١٠م، ونشأ في حضانة عمته، لأنه فقد والديه عندما كان في التاسعة عشرة من عمره.

وفي أيام شبابه الأولى كان يذهب مع غيره من أبناء البلاد في رحلات الغوص على اللؤلؤ، ومما يذكر أنه بدأ الرحلة الأولى في حياة والده وبصحبته وكان النوخذه هو علي الدوب، وتاريخ هذه الرحلة هو سنة ١٩٢٠م، وكان رضيفًا أي مساعدًا لأنه صغير السن. ومع انشغاله في فصل الصيف فقد كان ملتحقًا بالدراسة في الكُتّاب، وكان نابغًا في دراسته، وعلى الرغم من أن والده كان يتمنى أن يكون ولده بحارًا على شاكلته فإنه جمع بين الاثنين فهو بحار في الصيف دارس في الشتاء. وعندما لاحظ الأب اهتمام ابنه بالدراسة ورغبته في حفظ القرآن الكريم أدخله إلى كُتّاب ملا حسين التركيت، فتفوق في الدراسة على كافة زملائه الدارسين معه. وعندما رأى فيه معلمه قدرته على الإدراك وحبه للعلم جعله ملاحظًا للطلاب.

وبعد أن اكتفى من العلم الذي اكتسبه من الكُتّاب انتقل إلى التعليم النظامي، فصار طالبًا في المدرسة المباركية، وأنهى فيها المرحلة المتوسطة على النظام القديم، ثم تركها لكي يتلقى علوم اللغة العربية وبخاصة النحو على يد أحد زملائه المتقدمين، وبعد أن وجد لديه من العلم ما فيه الكفاية بقدر ما كان متاحًا في ذلك الوقت أحب الانخراط في مهنة التعليم، فوجد السبيل إلى ذلك بافتتاح مدرسة في منطقة شرق على طريقة الكتاتيب سماها مدرسة ملا عيسى مطر، وكان يتولى في هذه المدرسة تعليم الأطفال مبادئ الحساب، وحفظ القرآن الكريم ودام عمله هذا لمدة تسع سنوات.

ثم التحق بالعمل في مهنة التدريس رسميًا فصار من مدرسي دائرة معارف الكويت. وانتدب للعمل في المدرسة المباركية والمدرسة الأحمدية في وقت واحد. وعندما تم افتتاح المدرس الشرقية انتقل إليها، وبقي فيها مدرسًا حتى سنة ١٩٥٧م. وكان قد ضعف بصره في أواخر أيامه، وبعد أنْ عمل مدة طويلة تحتم عليه أن يرتاح، فتقاعد في السنة التي ذكرناها آنفًا.

وكان إلى جانب التدريس إمامًا في أحد مساجد الكويت لمدة أربع سنوات، لزم المنزل بعدها لصعوبة خروجه بسبب ضعف بصره. توفي رحمه الله في سنة ١٩٩٢م.

كان لعمل الأستاذ عيسى مطر بالتدريس فائدة كبرى عادت عليه بالنفع الكبير، فهو أولًا وجد مجالًا واسعًا للاطلاع على كثير من الكتب والمطبوعات التي توفرها دائرة معارف الكويت للمدرسة، ثم صارت مشاركته في الأنشطة المدرسية سببًا من أسباب التزود بالثقافة العامة، وإشباع رغبته في قول الشعر

وحفظه والاطلاع على دواوين الشعراء الأقدمين.، واكتسب بسبب وظيفته هذه أصدقاء كثيرين من العاملين في سلك التدريس، وعن طريقهم استطاع الاتصال بعدد ممن هم خارج هذا السلك فعرف عددًا كبيرًا من الأدباء والشعراء. واستطاع أن ينظم الشعر بصورة جيدة، وتعود الكتابة النثرية التي أُعجب بها قراؤها. وصار له حضور في الندوات والمناسبات الفكرية التي تجمع الأدباء ورجال الفكر بين وقت وآخر، ولقد كان على صلة بالشاعر الكبير أحمد السقاف، كما كانت له صلة بالشاعر المربي راشد السيف الذي ذكر الأستاذ عيسى مطر في ديوانه السيفيات، وهذه إشارات لابد منها تتضمن ما كان يقوم به من نشاط فيما يتعلق بالندوات واللقاءات:

كان الأستاذ أحمد السقاف يقيم ندوة يلتقي حولها عدد من الأدباء تلتقي مساء بين فترة وأخرى، وكان موقعها يتجدد وفق ظروف المشاركين، ولقد كان الدور يومًا على الأستاذ عيسى مطر، فأتلفت الندوة الفكرية في بيته. وكان من الحاضرين الأستاذ راشد السيف الذي ألقى – آنذاك – قصيدة تُناسب الموقف وتساير موضوع اللقاء. فكان عنوان القصيدة: «الأخلاق» وقدم لها نثرًا بقوله:

« ألقيت هذه القصيدة في بيت الأستاذ عيسى مطر»، وللأسف الشديد أنه لم يُؤرخْ لهذه القصيدة على الرغم من أن من عادته أن يؤرخ قصائده.

وبداية القصيدة كما يلي:

أجُـــــوبُ الــطـــول والــعــرضـــا
وجـــوبًـــا كـــــان أو فـــرضـــا

ولـــكـــن كـــيـــفـــمـــا أحـــيـــا
ســـوى الأخـــــلاق لا أرضـــى

ومنها فيما يتعلق بموضوع القصيدة:

هـــــي الأخـــــــــلاق فـلـنـعـمـل
بـــهـــا يـــا إخـــوتـــي فـرضـــا
بـــهـــا آبـــــــاؤكـــم قـــامـــوا
فـــكـــونـــوا مـــثـــلـــهـــم أيـــضـــا

واشترك الأستاذ عيسى مطر في ندوة تربوية وأدبية أقامتها مجلة البعثة في سنتها الرابعة ونشرت في شهر فبراير من تلك السنة وهي ١٩٥٠م، وتتناول الندوة موضوع النهضة الأدبية في الكويت، وقد أدارها الأستاذ عبدالعزيز حسين وشارك فيها الأساتذة أحمد القطامي، وعبدالله أحمد حسين، وعبدالمحسن المسلم، وعيسى مطر، وصالح الشهاب، وعبدالمجيد محمد، وإبراهيم المقهوي، وعقاب الخطيب، كما شارك فيها طالبان من طلاب البعثة في ذلك الوقت هما جاسم القطامي وإبراهيم الملا.

والمجموعة المشاركة تضم أساتذة لهم تاريخهم ولهم سمعتهم الطيبة. وآراؤهم التي يُعتَد بها، فإذا وجدنا عيسى مطر معهم فذلك معناه أنه يصطف مع هذه النخبة الكريمة باعتباره منها.

أما الندوة فقد أخذت مجالاً واسعًا من المجلة، ونكتفي هنا بذكر الفقرات التي تحدث بها صاحبنا لأنه إنما يُدلي بدلوه فيما يتعلق بموضوع النهضة الأدبية في الكويت ما لها وما عليها.

وهذه هي أقواله:

أ - الأديب فنان إذا لم يُشجع فربما يهجر فنه للبحث عن قوته.

ب - إن من وسائل الإصلاح القضاء المطلق على الأمية، وجعل التعليم في متناول الجميع، فبدون التعليم لا تُنْتظر نهضة من أي نوع كان.

جـ - أبدى رأيه في مستوى المدرس في المراحل التعليمية المختلفة، فقال: إن المدرسين الذين يستطيعون التدريس في مدارس رياض الأطفال يكونون عادة من أصحاب الكفاءة، وأصحاب الامتياز لأن تدريس الأطفال يحتاج إلى المهارة أكثر مما يحتاج إليها المدرس في تعليم السنوات الابتدائية والثانوية.

وتعليقًا على قوله هذا وهو قول سليم أشار إليه أستاذ آخر من المشاركين في الندوة المشار إليها، فإننا لابد وأن نذكر أن السلم التعليمي المعمول في ذلك الوقت يتكون من روضة ثلاث سنوات، وابتدائي لمدة أربع سنوات، وثانوي من جزأين يكمل بهما بخمس سنوات.

هذه لمحة عامة عن الأستاذ عيسى مطر، تناولت سيرته الذاتية، وأنشطته. ولم يبق لنا إلا أن نتحدث عن شعره فقد عرفناه شاعرًا إلى جانب كونه مربيًا وصاحب فكر.

وبعد؛ فما علينا الآن إلا التمثيل بما هو تحت أيدينا من شعره حتى تستدل على مكانته الحقيقية بصفته شاعرًا كويتيًا مجيدًا يقف إلى جانب زملائه الشعراء من أبناء وطنه ممن يساويه فنًا وقَدْرًا. ومن هنا نبدأ بتفصيلٍ عن شعره.

ولما كانت بقايا شعره قليلة، فإننا سوف نختار منها ما يدل على مستوى شعره وفق الموازين الشعرية المعروفة لا من حيث عروض الشعر، ولكن من حيث المشاعر والأحاسيس وجودة السبك وحسن اللغة.

ومما نلاحظ على هذه المجموعة أنها قصيرة الأبيات إلا ما ندر، وإنها مما تسيطر عليه حالته الصحية المتعلقة بفقده لعينيه، يضاف إلى ذلك بعض الأخوانيات والإشارات الخاصة ومنها إشارته إلى مكتبتِه ومخاطبته للأستاذ فاضل خلف الذي كان من تلاميذ هذا الشاعر ولكنه افتقده مدة طويلة، وفرح به حين لقيه فكتب له أبياتًا جميلة.

ومما استأثر بهذه المجموعة من الأشعار موضوع علاج عينيه ومخاطبة الطبيب، وإزجاء الرجاء إليه حتى يبذل مزيدًا من الاهتمام بحالتهما. يقول:

أَتَـيْـتُـكَ يـا طـبـيـب ولـي رجـاءٌ

مُـلِـحٌ أن تُـعـالـج لـي عـيـوني

وأنـك سـوف تـفـحـصـهـا فـتـدري

بمـا فـيـهـا مـن المـرض المـكـينِ

ومما نُفضل اختياره هنا أبيات من قصيدة له تدل على ميله إلى المزاح؛ ووصف الرحلات، كما حدث حين شارك زملاءه في رحلة بحرية إلى جزيرة فيلكا. وكانت له تجربة في هذه الرحلة، ولكنه عاد منها بهذه القصيدة اللطيفة التي فيها وَصْفٌ لما حدث، وفكاهة وإثارةٌ للأُنْس.

يقول في القسم الأول منها:

رحـلـتُـنَـا لـفـيـلـكـا

فـاقـتْ جـمـيـعَ (الـرّحـلِ)

فـقـد ركـبـنـا زورقًـا

سـار بـنـا فـي عـجـلِ

وبالبخار سيرهُ
لا بالشراع المعتلي
من خلفه حديدةٌ
تدور دورَ المغزلِ
تسوقه بشدّةٍ
سوقًا بغير مهلِ
(تكتكة) (تكتكة)
تصم أُذن الرجل
والموج عند صدره
يغلي كغلي المرجلِ
فتارةً في صعدِ
وتارةً في نزلِ
والبحر إن داعبه
مال كميل الثملِ
واليم لم تعصفْ به
قَطُّ رياح الشمألِ
ولم تكنْ أمواجهُ
تُوقعُنَا في وجلِ
والجوُّ في صفائهِ
وروعة التّجملِ
يبعث فينا مرحًا
فَنَنْثني في جَذَلِ

ونـــحـــن فـــي زورقـــنـــا

بـجـمـعـنـــا المُـكـتَـمـِــلِ

كـــم بـيـنـنـا مـــن مُـطْـــربٍ

فــــي لحــنــه كـالـبـلـبـلِ

إذا شَـــــدَا مُــــغــرّدًا

(هـيّـــج قـلــب الـثـمـــلِ)

وكـــــل ذي رزانــــــــةٍ

تُــبـصــرُهُ (تَــرَلـــلـــي)

وفيما قدمنا دليل على مستوى مقدرته الشعرية. وكم نتمنى أن لو حصلنا على كامل شعره.

****

٣٤ - محمد ملا حسين

شاعرنا هو محمد ملا حسين..

يقال إن الشعر يأبى الإضمار، لذا نجد الشاعر يسعى إلى اطلاع الناس على شعره فيقرأه لهم، أو يقدمه إليهم مكتوبًا وهو لا يرتاح إلا إذا أفضى بما قاله من شعر، وبخاصة عندما يبدع قصيدة جديدة فتكون راحته الكبرى في إسماعها للناس.

ولكن الأستاذ محمد ملا حسين على عكس هذا النوع من الشعراء، فهو شاعر يأبى أن يُعلن عن شعره. يكتبه ويحتفظ به وكأنه سرٌّ من الأسرار لا يطلع عليه أحد.

أعرفه معرفة جيدة، وأزوره بين آن وآخر في مكتبه بشارع الأمير، وأجلس إليه مع صفوة من الأصدقاء نتحدث في أمور كثيرة، ولكني لم أسمعه يومًا يلقي علينا من شعره بيتًا واحدًا. وأكثر من ذلك فإنني كنت أقرأ مقالات مفيدة في مجلة «البعثة» يكتبها من أطلق على نفسه اسم «شرقاوي»، وأسعد بقراءتها وأتابع ذلك دائمًا دون أن أعرف أن هذا الأستاذ الشاعر هو الكاتب الجميل الذي يمدنا بهذه المعلومات التاريخية والأدبية المتنوعة. ولعل هذه النزعة إلى التواضع هي التي جعلت شعره يضيع إلا أقله. وكتاباته تندثر إلا ما احتفظت به مجلدات

مجلة البعثة التي أعاد طباعتها مركز البحوث والدراسات الكويتية في شكل رائع مع فهارس كاملة.

ومع موقف الأستاذ محمد ملا حسين من مسألة الإعلان عن شعره؛ فإنه كان ذا صلة مع عدد من الأدباء يتبادل معهم الأشعار، ولذا فإننا نجد عنده قصائد متبادلة بينه وبين صديقه الأستاذ الشاعر أحمد عنبر وغيره من الشعراء. ولعل هذا العمل هو الذي حفظ لنا بعض أشعار هذا الرجل فصرنا نراها في مرآة غيره.

لقد كانت جلسة ممتعة ضمت عددًا من الأصدقاء منهم الأستاذ أحمد عنبر والأخ إبراهيم المهنا وغيرهما، وقد تم تبادل الأحاديث حتى أقبل الليل بظلامه فانفض المجلس على أمل العودة مرة أخرى. وهذه هي عادته في جلسته المسائية، أما في الصباح فقد خصص صاحبنا وَقْتَه لعمله التجاري.

كان محمد ملا حسين رجلًا بارزًا، وشاعرًا جيد الشعر. وكاتبًا أثرى مجلة البعثة بمقالاته التي كتبها حول عدد من الأمور المحلية، وأهمها أنه كان ينوه برجال الكويت القدماء ويذكر محاسنهم.

ولد في الكويت في سنة ١٩١٦م. وكانت نشأته في بيئة علمية. ولقد كان أبوه على علم جيد وعلى ثقافة شاملة، وله مجلس يحضر إليه أصحابه بصفة دائمة، ونستطيع أن نذكر من جلساء الوالد كلًا من الشاعر صقر الشبيب والأديب أحمد البشر الرومي. ولقد كانت الجلسة المهمة لملا حسين هي التي تعقد في يوم الجمعة حيث يجتمع معه عدد من أهل العلم والأدب فيتبادلون الأفكار والأشعار ويتناقشون في شتى الأمور التي تهمهم.

ولقد بدأ محمد ملا حسين ينهل من مناهل الثقافة من هذا البيت الذي نشأ فيه، وهذه الجلسات التي كان يحضر جانبًا منها على الرغم من صغر سنه.

درس في الكتّاب، ثم انتقل إلى المدرسة المباركية واجتاز مدة الدراسة بتفوق واضح. ثم استقبلته – في البيت – مكتبة الوالد التي صار عاكفًا على كتبها يقرأ كل ما يقع بيْنَ يديه من كتب.

كان يتردد كثيرًا على شاعر الكويت صقر الشبيب، ويستمع إلى الشعراء البارزين في ذلك الوقت من أمثال خالد محمد الفرج وعبداللطيف إبراهيم النصف ويجالس الأديب أحمد البشر الرومي. أما الشيخ أحمد عطية الأثري فقد تلقى عنه علم قواعد اللغة العربية فأتقنها.

وإلى جانب عمله الخاص الذي كان يزاوله من خلال المكتب الذي أشرنا إليه فإنه قد تولى أعمالًا أخرى يَدُل اختياره للقيام بها على مكانته وتقدير البلاد له حتى صار كما يلي:

١ – انتخب عضوًا في مجلس معارف الكويت.

٢ – كان مختارًا لمنطقة المطبة في الشرق.

٣ – كان عضوًا في لجنة تحقيق الجنسية.

٤ – كان عضوًا في لجنة التموين.

٥ – منذ سنة ١٩٦٤م حتى سنة ١٩٦٦م عين عضوًا في المجلس البلدي.

وبعد هذه الأعمال المتعددة والكثيرة كان لابد له من الاستراحة فتقاعد وتفرغ لعمله الخاص ومتابعة القراءة وقرض الشعر. ويكفيه سعادة أن كان وطنه قد اختاره لهذه المهمات الكثيرة الصعبة وأنه قام بدوره فيها خير قيام.

وبعد أن ترك خلفه ميراثًا من الذكر الطيب والأدب الراقي توفي في سنة ١٩٩٧ م.

الشاعر أحمد عنبر من الشعراء الذين عاشوا في الكويت زمنًا كان يغني لها، ويسجل تحركاتها، ويرسم تاريخ الأيام التي يعيشها فيها شعرًا جميلًا. وقد حصل على الجنسية الكويتية بعد هذه الإقامة الطويلة وهذا العمل المضني في مجالين مهمين أولهما هو مجال التعليم وثانيهما مجال الأدب والشعر. وكان في خمسينيات القرن الماضي لا يتخلف عن المشاركة في أي احتفال يقام في الكويت، وكانت تلك الاحتفالات كثيرة منها الديني ومنها السياسي ومنها الاجتماعي.. وفي هذا الكتاب فصل كامل عنه.

ألمحنا فيما مضى إلى علاقة الأستاذ أحمد عنبر بالسيد محمد ملا حسين، ولا غرابة في ذلك فكلاهما شاعر، ولذا فقد ألَّف هذا الفن بينهما حتى صارت علاقتهما دائمة والفتهما لبعضٍ قائمة. ثم صارت بينهما مبادلات في الشعر تنم عن مقدرة الرجلين على أداء الشعر الجميل.

وكان الشاعر محمد ملا حسين يميل دائمًا إلى مراسلة صاحبه شعرًا. ويهتم بممازحته ومن ذلك أنه كتب قصيدة تحدث فيها عن سيارة عنبر التي كانت وقتها قديمة. وكان يعتز بها، ولا يرضى بالتحول عنها إلى سيارة أخرى على الرغم من وجود الأنواع الفاخرة من السيارات التي يشاهدها وهي تخطر في شوارع الكويت لافتة الأنظار إلى جمالها وقيمتها في مجال هذا النوع من الصناعة.

كنا نرى سيارة الأستاذ أحمد عنبر ذات اللون الأخضر الحائل، وذات الصوت القوي حين تهدر عندما يستحثها الأستاذ على السير، بل لقد كان

أصدقاؤه يعرفون بمقدمه لمجرد سماعهم هذا الصوت الغريب الذي لم يعد أحد يسمع مثله لأن صناعة السيارات تطورت، وكل ما يسير منها قد سبقها بزمن طويل.

هذه السيارة لفتت نظر الأستاذ محمد ملا حسين فقال فيه (أرجوزة) بدأها بقوله:

مَرّ علينا باختيالٍ عنبرُ
وَهْوَ يقود آلةً تُزَمجِرُ
لها دَوِيٌّ هائلٌ وجعجعةْ
كأنها جيشٌ يخوضُ مَعْمَعَهْ
وعندما استفسرت عن أصولها
وعن زمان جاد في موديلها
أجاب تُدعى هذه بالبِنْزِ
ومن طرازٍ اسمه شمبانزي
إن أكل الدهر عليها وشربْ
فإنها قد صمدت كما يجبْ

وفي آخر الأرجوزة يقول:

ويعرف الناسُ إذا مَرّتْ لمن
لأنها باقيةٌ مع الزمنْ
فلا يقالُ عنبرٌ مسافرُ
وصوتها في الطرقات هادرُ
دلَّ على وجودِهِ وجودُهَا
لعلّهُ بخُلدِهِ خلودها

وارتـأى الشاعر محمد ملا حسين يومًا أن يداعب صاحبه أحمد عنبر فأرسل إليه شعرًا يتضمن أحد الألغاز، ثم طَلَبَ منه الإجابة فيلبي عنبر هذا الطلب لكي نحصل على قصيدتين من الرجز أيضًا، يقول محمد ملا حسين:

إلــيـك يــا عــنـبـرُ هـــذي الأُحــجـيــةْ
حـــار بــهــا قــضــاةُ كــلِّ الأقــضـيــةْ
شــــيءٌ قــد اســتـعـصـى وصـــار لُــغـزًا
بَـــــزَّ جـمـيـع الأحــجـيـــات بَـــــزَّا

إلى آخر هذه الأبيات التي ضمت كثيرًا من الملح والنوادر وتضمنت السؤال وطلب الإجابة. وقد رد الأستاذ أحمد عنبر، فقال:

مـحـمـد المــلا بـــهــذي الأمــســيــةْ
قـــرأتُ مــا أرســلــتَ لــي مــن أُحـجـيـهْ

وأطال الرد شارحًا ما ظن أن فيه شفاء غليل صاحبه.

ويمضي الأستاذ محمد ملا حسين في طريق الدعابة فيكتب هذه الأبيات لصديق له كان رجلًا تقيًا أطلق لحيته، وأبدي استقامته. وهو شخص محب للأدب مقبل على الشعر يحفظه ويقوله:

غـــرامـــي فـــيــكَ يـــا أحــمــدْ
بـــديــــلٌ عــنـــــه لا يـــوجــدْ
فــلــيــس يــفــيـــه وصــفــيـــه
تجـــــاوز فـــي مـــــداه الحـــدْ
لحــــــانـــي عـــــــاذل فـيـــــه
فـمـــا انْـصَـغْـتُ لمـــا رَدّدْ

يــــقـــول غـــزتـــــهُ لحـيـتـــهُ
عـــفــتْ مـــن صــدغـــه والخـــدْ
فـقــلــت الــلـــــوم إغــــــراءُ
فــدعـــــه وابــتــعــد تُحْـمَــــــدْ
فــحــبّـــي فـيـــــه بـالـلـحـيـةْ
وحـــبــــي يـــــومــــه أمــــردْ
فَـلِـــــــي ممّـــــا يُـــكِـــنُّ لـــه
فـــــــؤادي شـــــاهـــد يـشـــهـدْ
أَأُرْضِـــــــــــي عـــــاذلـي فـيـــه
وقـلـبـــي احــتُــــلَّ واسـتُـعْـبِـدْ
فـــلا تَـــــلْـحُ فـقـــد اسـمـعـت
صـــخــــــرًا أخـــرسًـــا جـلـمـدْ
وحــــبُّ الـــنـــــاسِ أيــــامُ
وحـــبَّـــي خـــالـــد ســــرمـدْ
ولا تـــعـــجـبْ إذا قـــيــلَ
فـــلان بـــالــهــوى اسـتُـشْـهِـدْ

وأخيرًا فهذه أبيات نزع فيها أستاذنا محمد ملا حسين إلى الجد، وفيها تعليقه على شؤون حياته، وهي بعنوان: «ضوضاء»، وقد اخترناها ضمن مختاراتنا لكي تكون نموذجًا مختلفًا لشعره، يقول:

خـمـســونَ مـــرّت واثـنـتـــان
فـكـــأنـهـــا طـــيـــفُ عــــرانـي
أو غــــــادةٌ مـحـبـوبــــةٌ
جـــادت بـوصـــل فــي ثـوانـي

مـــا أســـــفـرت حـــتـــى اخــتــفــت
فـكـــأنـهـــا الـــبــــرق الـيـمـــانـي

لـــــم أدرِ أنــــــي ســــرتُـهــــا
أو ســـرتُ مـــن سَـــيْـــرِ الــزمـــانِ

هـــــل كـــنـــتُ أمـــشـــي خـلـفـهـا
فـــــأظـــن لــــم أبــــــرحْ مـكـانـي

أو كـــنـــت فـــيـهــــا ســـابـقًـا
أو أنـــنـــا فَـــرَسَــــــا رهــــانِ

أو أنـــنـــي قــــد عـشــتُـهــــا
ضـــوضــــاءَ لــيــس لـــهــا مـعــانـي

إنه يتحدث عن حياته حين بلغ سنهُ الثانية والخمسين. ومرت به السنون وكأنها طيف خيال، أو أنها فتاة جميلة عبرت من أمامه. لقد مرت به الأعوام وكأنها البرق. ويقول إنني قد عشت هذه الحياة، ومرت بي أحداثها ولكنها حياة تَعُمّها الفوضى، ويصعب فهمها.

هذا هو الشاعر محمد ملا حسين رحمه الله.

****

٣٥ - عمر فهد العمر

من شعراء الكويت شاعر لم ينل شهرة كبيرة في مجال الشعر وإن كان له أكثر من ديوان شعر مطبوع.

إنه عمر فهد العمر الشاعر الدبلوماسي الذي أمضى حياته في خدمة وطنه، ونشر شعره في الجرائد الكويتية، ثم جمعه في مطبوعات أنيقة منها ديوانه الذي هو بين أيدينا الآن: «ترانيم»، وقد طبعه في سنة ٢٠٠٨م. وهو يضم ثلاثين قصيدة ذات أغراض متعددة، ولقد كان حريصًا على نشر شعره واطلاع أصدقائه عليه، كما كان يعتز بهذا الشعر بدليل بذله المادي في سبيل طباعته باهتمام بالغ.

ما بين يدي الآن طبعة ديوان ترانيم الثانية، وكانت الطبعة الأولى قد صدرت في سنة ١٩٧٤م، وقدم لها الأستاذ الأديب عبدالرزاق البصير بمقدمة قيمة لم ير أن يسميها دراسة نقدية لأمر شرحه فيها، ولكنه أرادها عرضًا مجردًا للديوان، والأستاذ البصير ضليع في مثل هذه الأمور فهو يعبر بصدق عن وجهة نظره في كل كتاب يقرأه. ويقرب للقراء ما قد يبعد عن أذهانهم من غوامض الموضوعات، فيجعل فكر الكاتب أو الشاعر واضحًا أمامهم دون غموض.

والأستاذ البصير يعلن منذ البداية أن ما يقدمه في بداية الديوان إنما هو كلمة، وأن هذه الكلمة لا ترقى إلى أن تكون دراسة نقدية بالمعنى المتعارف عليه.

وهو يرى أن الناقد ينبغي ألا يخوض في نقد أي كتاب لم يكن بين أيدي الناس، وعمل الناقد الأدبي – في رأيه – إنما يبدأ بعد قراءة القارئ، لذا فإنه يقول إن هذه الكلمة التي يقدمها ما هي إلا انطباعات أحس بها بعد قراءته.

ثم يضيف الأستاذ البصير إلى ذلك قوله: «وقد دفعني إلى كتابة هذه الكلمة أمران اثنان أولهما أن الخط الذي سار عليه المؤلف خط أميل إليه أشد الميل، وأعني به الوضوح، فأنا أُعْرِضُ أشد الإعراض عن كل أثر أدبي أو فكري يكتنفه الغموض، ولست أعني أن يبتعد الأديب عن الرمز، وإنما الذي أعنيه أن يكون الرمز مضيئًا، يعطي صورًا وأفكارًا متقاربة للقراء. أما الأمر الثاني فهو تأكدي من صدق الشاعر في كل ما جاء في هذا الديوان، إذ إنه قد كتب توضيحاً لكل قصيدة من قصائده».

ويضيف الأستاذ البصير: «وقد عرفت المؤلف منذ أكثر من عشرين سنة شابًا متحمسًا لأهداف أمته العربية نقي الضمير، صافي السريرة».

ولقد تحدث الأستاذ البصير كثيرًا عن الشاعر الذي كان يعرفه حق المعرفة، وقرأ شعره قراءة جيدة وأعجب بصورة خاصة بما أورده الشاعر في مقدمة هذا الديوان، وهي مقدمة تدل على نكران الذات، وعدم الكبرياء، فإنه كما قال لا يزال في أول سلم الشعر، وإنه راغب في الاستمرار به حتى يصل إلى الإجادة التامة.

هذه نظرة عامة على ديوان من دواوينه، وليست حديثًا عن شعره كله، ولكن قيمة هذا الديوان تكمن في أنه أول ما نشره من شعر. ففيه دلالة على بداياته، ودلالة أخرى على أنه ابتدأ نشطًا، وأنه استمر بعده في الشدو فأصدر غير هذا الديوان.

المرحوم عمر فهد العمر. صديق خسرته، وكان لجلوسه معنا في ديوانية الثلاثاء إثراء للجلسة بما يقوله لنا من معلومات وأفكار وذكريات، وكان محبًا لأصدقائه حريصًا على زيارتهم لم تمنعه عن ذلك إلا الوفاة، رحمه الله.

كان من مواليد الكويت في سنة ١٩٣٥م. ودرس في أماكن متعددة دراسة خاصة انطبعت في ثقافة ودراية ومعرفة بكثير من الأمور التي تضاف إليها مقدرته الشعرية التي ظل يعبر بها عن مكنون نفسه في كل مجال شخصي خاص أو إنساني عام.

- في اليوم الثالث من شهر مارس لسنة ١٩٥٧م، عمل في دائرة الأمن العام، واستمر عمله بها إلى اليوم الحادي والثلاثين من شهر يناير لسنة ١٩٥٩م.

- في اليوم الأول من شهر فبراير لسنة ١٩٥٩م عمل في دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل حتى شهر اكتوبر لسنة ١٩٦١م.

وبعد ذلك تحول مسار عمله، فاتجه إلى النواحي الدبلوماسية، وصار من موظفي وزارة الخارجية، وقد تنقل إلى أكثر من مركز من مراكز عمل هذه الوزارة في الخارج وذلك كما يلي:

- كان في سفارة الكويت بدمشق، وقد بدأ عمله هناك في اليوم التاسع والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٣م وانتهى في اليوم الثلاثين من شهر مارس لسنة ١٩٦٧م. وفي اليوم الأول من شهر يولية لسنة ١٩٦٧م انتقل إلى سفارة الكويت في بيروت وبقي فيها حتى اليوم الثلاثين من شهر سبتمبر لسنة ١٩٦٩م.

ثم بعدت رحلته فانتقل إلى المغرب، وفي سفارة الكويت في الرباط صار يعمل منذ أول يوم من شهر سبتمبر لسنة ١٩٦٩م حتى التاسع والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٧٢م.

وكان قد أبدى جهدًا طيبًا خلال أعماله السابقة ونال إعجاب رؤسائه في وزارة الخارجية، ولذا فقد عين بعد ذلك سفيرًا لدولة الكويت لدى الجمهورية الصومالية في اليوم الحادي عشر من شهر ابريل لسنة ١٩٧٦م إلى اليوم الرابع عشر من شهر أكتوبر لسنة ١٩٧٩م.

وكان آخر عمل له خارج الكويت هو أنه جرى تعيينه رئيسًا للبعثة الدبلوماسية الكويتية في مالطا منذ اليوم الثالث عشر من شهر يونية لسنة ١٩٨٠م إلى اليوم الثامن عشر من شهر إبريل لسنة ١٩٨٢م.

وعاد إلى الوطن فرقي إلى درجة وزير مفوض في اليوم الحادي والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٨٠م.

وبقي في عمله بالوزارة إلى أن تقاعد في شهر إبريل لسنة ١٩٨٧م.

ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة ٢٠١٥م.

لقد آن لنا الآن أن نعود إلى مضمار الشعر، فقد تكلمنا عن الرجل كثيرًا، وهو يستحق منا أن نقدم عنه كل ما تقدم من ذكر لمراحل حياته، ومجال عمله. ولكن ما يهمنا أولًا وأخيرًا في «الحماسة الكويتية» هو الشعر.

وشعر أبي زياد لطيف خفيف اللفظ سهل المعنى يندمج القارئ في قراءته دون ملل يعتريه. وهو شعر متنوع الأغراض. مختلف الموازين، له أسلوب خاص في النظم سوف نَتَبينه معًا بعد قليل.

فمن حيث الشكل نراه يتبع طريقتين من التشكيل الوزني للقصيدة، إذ هو يتبع الوزن العروضي المعتاد في بعض الأحيان فيقول مثلًا:

هـــــذه الـدنـيـــا كـغـيــمٍ حـــالـكٍ
أســـود الـقـلـب بــلا رفـــقٍ ولـيـــنْ
إنــهـــا بـــعـضُ تـــرانـيـم الـهـــوى
عُـــزفــتْ فـــي مـــسـرح الحـــب الأمـــينْ
كـل مـــا أرجـــــوهُ فـــي أنـغـامِـهـــا
نُـــصـرةَ الإنــســـان والـــشـــوقُ الـدفـينْ

وفي نموذج آخر يتوجه بدعائه إلى الله سبحانه قائلًا:

ربّـــــاهُ إنـــي قـــد قـصـدتـك راجـيًـا
بـك أسـتـنـير عـلـى الـطـريـق وأعـــرفُ
رَبَّـــــاهُ إنـــي قــــد صـبـرت مـكـابـدًا
إنـــي ابـتُـلـيـت وبَــــعْـدُ نـفـسي تـنـزفُ
ربّـــاه رفـقًـــا إن خـطـــوتُ بـــلا هـدى
إنــــي ســأَلْـتُ ودمـــــع عـيـنـي يـــذرفُ

إن هذه المناجاة تحتاج إلى هذا الوزن المستقيم الذي يعبر عن التوجه الخالص إلى البارئ الذي بيده أمر كل شيء. فلا يليق بنا إلا أن نتوجه إلى جلاله بهذا الأسلوب وهذا الوزن الموسيقي الهادئ الذي نراه مثيرًا للشجن مُعَبّرًا عن الرغبة الصادقة في الحصول على المطلوب الذي ذكره الشاعر في أبياته هذه، وملأه الأمل في الحصول عليه.

وإذا نظرنا إلى شكل آخر من أشكال شعر الشاعر عمر فهد العمر فإننا نجده يتساهل في اللجوء إلى العروض ببحوره المعروفة، ويلجأ إلى طريقته

الخاصة في الصياغة، ومثال ذلك ما نراه في قصيدته «أريج الياسمين». وهي تُعبِّر عن لحظات جميلة قضاها الشاعر في روضة من الرياض مع من يحب، يقول في مطلعها:

همس الحب لها هيا اقفزي
وامرحي بين اخضرار وزهور
وتغنَّى الحب في أرجائها
وتبارى الشوق في أنحائها
رفرف الحب وغنته الطيور
وبدت في موسم العطر تثور
وتسامَى الحبُّ في أفيائها

واختلاف القوافي هنا غريب عن الطرق المستعملة في الشعر التقليدي، ولكنه ألزم نفسه بالتعبير بحسب الطرق التي يراها. فهو يقول في قصيدته «ساعة الانتظار»:

أعيش ساعة انتظار أبدًا
آمل أن أرى الزهور في الربيع
أنتظر المُزنَ نميرًا في الشتاء
لأنني أحب قطرة المطر

فنحن هنا نلاحظه وقد وضع أبياته القصيرة بحيث تكون لكل واحد منها قافية مختلفة، وفي شعره من هذا النمط كثير.

وعلى كل حال فإن أسلوب الشاعر رقيق، وهو حريص على الإجادة، واختيار الألفاظ المناسبة، كما يوحي لقرائه بالصدق، وأنه لم يكتب شيئًا من شعره إلا وهو تحت تجربة حقيقية مُلحة.

ومن الملاحظ أن سفراته الكثيرة من أجل العمل في البلدان التي ذكرنا نزوحه إليها كان لها تأثير كبير في موضوعات شعره فهو يتحدث – مثلًا– عن المطر في الصين، وعن الرياض الغناء في سهول المغرب، وعن البحر والصحراء، وعن الناس أيضًا. ونلاحظ أنه على الرغم من بعده عن الوطن كان يقرأ ما يكتبه الشعراء هنا ويعلق عليه بأشعار منه جميلة.

وأخيرًا فإننا نعود إلى الاختيار، فهذه أبيات من قصيدة له عنوانها: «كم عشقنا» وفيها تعبير عن العشق الذي عاشه الشاعر، وطرب له، وشدا له مع الطيور، وبنى حوله الآمال. وهو يرى أن المحبة التي سادت في الوقت الذي يتحدث عنه وهو يصف مشاعره فيه قد أثارت الغيرة في نفوس الغير، وأحفظتهم على الحبيبين، مما غير أجواء المحبة حتى اكتشف أنها كانت مجرد أحلام عبرت دون أن يبقى لها من أثر، لأن ما حل بعد كل ما جرى من مظاهر الحب هو: الخُلف والنوى والخصام:

كم عشقنا وكم سألنا كثيرًا
عن حبيب مضى وزاد الغرامُ
كم طربنا وكم بنينا قصورًا
ملؤها الشوق والجوى والهيام
كم حسبنا مرابع الأمس حصنًا
راسخ الطود عامرًا لا يضام
وشدونا كما الطيور وحلقْـ
ـنَا ولكن فضاؤنا أوهام
وعبرنا متاهة إثر أخرى
وتلاشت كما تلاشى الغمام

كم شدونا مع الليالي بلحن
صاغه الحبُّ والهوى والوئام
لست أدري علام تبدو الأماني
موغلاتٍ وكلنا مستهام
كم تسامت بنا المحبة حتى
غار منا الحسود واللُّوَّام
كنت في الحب في الرياض سعيدًا
فبدا الدربُ كله أحلام
كنت أبدو كمن يفوز بنصرٍ
واثق الخطو ملءُ نفسي سلام
خلتها في دمي مُزجْنَ بكأسٍ
طعمه الشهد والمنى والمرام
حُلمَ واشٍ بدا ابتعادُ حبيبي
فلمَ الخلفُ والنّوى والخصامُ؟

وبعد، فهذا نموذج جميل من شعر الشاعر الكويتي المبدع عمر فهد العمر، نتمنى أن يكون اختيارنا له مناسبًا لقيمته الشعرية. وأن يكون بداية لمن يريد أن يدرس شعر شاعر كويتي كتب الشعر، وعبر بِهِ عن مكنون نفسه وأصدر منه دواوين، ولكنه لم يجد من يقوم من أبناء وطنه بدراسة ما كتب دراسة يستحقها كغيره من الشعراء الذين نالوا حظهم من ذلك.

****

٣٦ - عبدالله العلي الصانع

من بين قدامى شعراء الكويت، وأوائل العاملين في مجال الأنشطة العامة في البلاد؛ يتردد اسم الشاعر عبدالله العلي الصانع. ومنذ سنة ١٩٢٨م كنا نقرأ له قصائد تنشرها مجلة الكويت في إصدارها الأول حين أنشأ وترأس تحريرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد.

كان الشاعر – آنذاك – في ساحل عمان مقيمًا لعدة سنوات وكان يوالي اتصاله بوطنه عن طريق هذه القصائد التي يرسلها من هناك فتهتم المجلة بنشرها والتنويه بها. بل وكان رئيس تحريرها يُطري هذا الرجل دائمًا ويثني عليه، فهو يعرف اهتمامه بالشعر ومتابعته لشؤون الأدب. ويعرف أنه يستطيع أن يؤدي لوطنه خدمة مهمة إذا عاد إليه.

وعاد الرجل، ولكنه لم يركن إلى الراحة بل إنه باشر العمل فكان أول ما قام به هو عضويته لمجلس المعارف الذي نشأ في ذلك الوقت، ثم كان الوجه الثاني لعمله – بعد عودته– هو رئاسته لتحرير مجلة الكويت في إصدارها الثاني، ولقد كان يقدر لهذه المجلة اهتمامها بكتاباته ومنها شعره عندما كان في خارج الكويت. ويشعر بأنها قد أدت إليه جميلًا لا ينساه، وليس لها من مكافأة على اهتمامه بإصدارها الثاني إلا عن طريق توليه رئاسة تحرير هذا الإصدار والاستمرار في ذلك حتى توقفت المجلة عن الصدور.

كان الشاعر عبدالله العلي الصانع مواكبًا للنشاط الشعبي في مجالات الثقافة والتعليم، وكان مقبلًا على الاطلاع، قارئًا لتاريخ المنطقة كلها، مدافعًا عن التاريخ داعيًا إلى عدم إهمال تسجيله والبحث عنه. وهو إلى جانب شعره الذي يوالي بِهِ قراءه بين وقت وآخر يهتم بكتابة مقالات متنوعة الأغراض في مجلة الكويت أو في مجلة البعثة، ومجلة كاظمة، ولكي نستدل على منهجه في الكتابة، وأنواع اهتماماته فإن هذه بضعة مقالات نشرها متفرقة تعطي صورة عن مَلَكته الكتابية والفكرية. وعن تنوع إنتاج هذه الملكة وذلك كما يلي:

١ - مجموعة مقالات متنوعة وردت في مجلة الكويت ومجلة كاظمة.

٢ - بحث يؤكد فيه ضرورة الاهتمام بدراسة التاريخ وعنوانه: «ترك البحث عن الماضي فكرة خاطئة».

٣ - موضوع مكون من عدة حلقات مستوحى من أيام إقامته في عمان. وعنوانه: «طُرف من عمان» وفيه تنويع جيد.

٤ - له اهتمام بالتنقيب عن الوثائق التاريخية وما يتعلق بتاريخ العرب بصورة عامة، ومن ذلك مقاله «رسائل الخلفاء الموضوعة». ومقال: «كم في الزوايا من نفائس الخبايا» وكلا المقالين منشور في مجلة كاظمة.

هذا إلى جانب عدد آخر من المقالات اجتهد الأخ الأديب النابغة فهد بن محمد بن نايف الدبوس، فجمعها وذكر مظانها، وتاريخ نشر كل مقال منها. ولقد أبدع حين ألف كتابه «عبدالله العلي الصانع، وصفحة من الإبداع الأدبي في دولة الكويت». ونتيجة لما وجد من آثار هذا الرجل فقد أطلق عليه ما يلي: «الشاعر والراوية الأديب». وقد أجاد في صنعه هذا وجاءنا بكتاب نعتز به وَ بِمِنْ ألفه وبالأديب الشاعر الذي هو موضوع هذا الكتاب الثمين.

ونستأنف الحديث عن الأستاذ عبدالله العلي الصانع، الأديب والشاعر، لنذكر أنه كان على صلة متينة بالكويت وأهلها طوال بقائه في خارجها، ومن يطلع على مراسلاته مع أصحابه، ومع المسؤولين الكويتيين فإنه يجد ذلك واضحًا وقد بينته مقالاته الكثيرة، إذ كان يشير – بين وقت وآخر– إلى صلاته بالناس وعدم استطاعته نسيان أيامه الكويتية.

ولعل من أهم ما يدلنا على ذلك هو الأستاذ فاضل خلف الذي تحدث إلى الأستاذ فهد الدبوس كثيرًا عن هذا الرجل، وبين له كيف عرفه، وأين كان ذلك. ومما يلفت النظر أن المودة قد جرت بين الرجلين في مجلس أدبي مُهِم هو مجلس الشاعر الكبير فهد العسكر الذي كان يضم الأدباء والشعراء.

لقد لقي الأستاذ فاضل خلف هذا الرجل في ذلك المجلس فجأة دون معرفة سابقة به. وقد تحدث عن ذلك فقال عن جلسات فهد العسكر أنها كانت أدبية شائقة، ثم يضيف: «وفي تلك الليلة بالذات وجدت عنده شخصًا لم أعهده من قبل، ولكنني تبينت من حديثه أنه شخص أديب، يحفظ من الشعر أعذبه، ومن النثر أطيبه»، ويقول أنه لاحظ أن الرجل كان يدير الحديث تارة، وكان فهد العسكر يديره تارة أخرى، وقال: «فصرت أستمع إليهما وأنا في غاية السرور والانشراح» ولم يعرف الأستاذ فاضل خلف هذا الرجل إلا بعد أن غادر المجلس وتركهم فوجه سؤاله إلى الشاعر فهد العسكر قائلا: من هو هذا الزائر؟ فجاءه رد يدلنا على موقع الرجل في نفس شاعرنا العسكر، إذ قال:

«أن الزائر هو الشاعر الكويتي الأديب عبدالله علي الصانع، وأنه كان غائبًا عن البلاد مدة طويلة ثم عاد».

ومضى الأستاذ فاضل في هذا الحديث فقال إن معرفته بهذا الرجل قد تم استئنافها عندما تهيأت الظروف فيما بعد، فقد أصدر أستاذنا أحمد السقاف مجلته المعروفة «كاظمة» وصار فيها عدد من الكتاب بينهم الأستاذ عبدالله العلي الصانع، وكان الأستاذ فاضل خلف من أولئك الذين يعملون بها، ويتخذون من أحد الأماكن في إدارتها مكانًا للقاء، فتمكنت العلاقة بين الأديبين الشاعرين. ولقد كان حديث الأستاذ فاضل حديثًا طليًا ممتعًا فيه كثير من المعلومات عن الأستاذ عبدالله العلي الصانع.

وإن كان لي رجاء فهو أن يهتم أبناء الكويت بهذا الرجل فيجمعوا آثاره، ويقوموا بعرضها عرضًا علميًّا، ويكفي الأستاذ فهد الدبوس أنه فتح المجال إلى سلوك هذا السبيل.

ونقدم الآن سيرة الأستاذ عبدالله العلي الصانع حتى يبقى ذكره بيننا:

- ولد رحمه الله في سنة ١٩٠٢م، وتوفي في سنة ١٩٥٤م. وكان عضوًا منتخبًا في مجلس المعارف سنة ١٩٥٢م، وقد استمر هذا المجلس إلى سنة ١٩٥٤م.

- ترأس تحرير مجلة الكويت في إصدارها الثاني سنة ١٩٥٠م.

- له كتابات كثيرة في الصحف الكويتية القديمة، وكل ما كتبه محفوظ فيها ويمكن الرجوع إليه.

- أقام مدة في دبي وما حولها، ولكنه لم ينقطع عن وطنه فبقي على صلة به عن طريق الزيارات والاحتفاظ بالصداقات، والمراسلات.

- من مقالاته وقصائده ما هو منشور في مجلة الكويت (الإصدار الأول). فقد نشر له الشيخ عبدالعزيز الرشيد عدة قصائد. وفي أواخر أيامه عاد إلى الكويت واستأنف حياته فيها.

- كان ذكيًا متوقد الذهن، حاد الذكاء، وكان بليغًا فصيح العبارة.

عرفنا أن للمرحوم عبدالله العلي الصانع دورًا مهمًا في مجال الشعر. فهو يحفظه، ويتتبع أخبار الشعراء القدامى والمحدثين. وهو يحب أن يتحدث عن ذلك، وقد مر بنا دوره في مجلس الشاعر فهد العسكر حيث كان يدير المجلس في بعض الأحيان في موضع لا شيء يجري الحديث حوله أكثر من الشعر.

ثم إن له قصائد جميلة بدأ في نشرها منذ صدر الإصدار الأول من مجلة الكويت، المعروف أنه كان في سنة ١٩٢٨م. وقد تنوعت قصائده فقال قصائد مرتبطة بالكويت وقال أخرى لها ارتباط بالمكان الذي أقام به بعد أن غَادَرَهُ وهو ساحل عمان الذي أحبه وأحب عددًا كبيرًا من أهاليه واتخذهم أصدقاء. وكان من بين هؤلاء من يقول الشعر، فوجدنا صاحبنا يبادلهم قصيدًا بقصيد، فأحيا بنشاطه هذا روح الشعر في هذه المنطقة العربية الكريمة.

وهذه إطلالة سريعة على شعر صاحبنا بعد أن قدمنا تلك المقدمات الطويلة التي كان لابد من تقديمها لكي نصل إلى ما نريده الآن.

شعر عبدالله العلي الصانع بوجه عام من النوع المتسم بالجزالة، وقوة اللفظ، وجمال الخيال وهو معبر عن صادق الأحاسيس، وصادق الود لمن يود. فإنه إذا وجه قصيدة إلى أي فرد من أصدقائه فإنه يقدمها بروح المحب المخلص، ويشرح ما في نفسه شرحًا يعبر فيه عن الخلجات التي تعتمل داخله وهو يكتبها،

دونَ أَنْ يفرق بين أصدقائه في الكويت أو في خارجها فالمحبة واحدة وهو يرى أن الأرض التي يعيش عليها واحدة وأنها ممتدة من الكويت إلى ساحل عمان.

إنه في إحدى قصائده يشتكي ما حل به من أذى الفراق، واغتراب النفس قبل اغتراب الوطن، فإنه يتحدث عن كل ذلك قائلًا عن نفسه:

أرهـقـتـــه طـــــوارق الـدهـــــر لما
أقـصـــــدتـــه بـــالـبـين والآلامِ
نـبـذتـــه فـــي بـقـعـة لـيـس فـيـهـــا
لــــذوي الـعـقـل راحـــة مـــن سـقـامِ

وفي القصيدة ذاتها استمر في الحديث عن الناس الذين يلقاهم فلا يصادف منهم إلا من هو مؤذٍ ثقيل الظل، صعب المعاشرة، ولا يرى في المجموعة منهم إلا طغمة من الأنعام التي لا تفهم، ولا يفهمها أحد. ولقد بقي صاحبنا بينها وحيدًا فريدًا تمر به الأيام ثقيلة وَكَأَن اليوم عنده ألف عام.

إنه يشتكي جور دهره عليه، ويئن لذلك أنينًا يجاري فيه الطيور فيبكي معها. لقد ضاق بحياته الجافة هذه، وهو الذي كان صبورًا جلدًا لا يعبأ بالأمور الجسيمة بل يتخطاها دائمًا.

وأخيرًا:

صـــاحِ مـــا لـــي ولـــلـحـــوادث لا تـنْـــ
ـــفَـكُّ تـسـعـى بـمـحـنـتـي واغـتـرامـي
وَيْـــحَ نـفـسـي حـمـلـتُ لـلـدهـر ثِـقـلا
ودهـتـنـي الـخـطـــوبُ بـالأسـقـــامِ

إننا نستطيع أن نتخيل حاله وهو يشكو مُر الشكوى مما هو فيه من آلام وأسقام. وما يكابده من الناس من أذى كم يتمنى أن يزول. وهو في الوقت نفسه يبكي دهرًا جميلًا مَر به ولا يراه سوف يعود.

ونختار له هنا بعض الأبيات من قصيدة له تم نشرها في مجلة الكويت القديمة، وكان قد أرسلها إلى المجلة من دبي. وفيها دعوة لأبناء الكويت إلى التكاتف والتعاون ونبذ كل ما يسبب التفرقة بين أبناء الشعب الواحد الذين لم يعرفوا غير الألفة والمحبة والوحدة منذ نشأت الكويت، بقول:

سقى الله الكويت وساكنيها
من الوسمي صوب الهاطلاتِ
ألا من مبلغٍ عني بنيها
غياث الممحلين ذَرَى العُفاةِ
مقالة ناصح يحنو عليهم
حُنو الوالدات المرضعاتِ
شَبَابَ القوم قوموا لا تناموا
فَقَدْ حان القيام لذي سُباتِ
بنفسي موطن أضحى ينادي
ألا يا قوم قد حانت وفاتي
ضغائن منكُمُ قد جَرعَتْني
كؤوسًا بالمصائب مترعاتِ
دعوا مُر الشقاق فقد رمتني
يد التفريق في حضن العُداةِ

ألا وانْـضُـوا ثـيــابَ الخُـلـفِ واسْـعَـوا

لِـلــمِّ الـشـعـث مـــن بـــعـد الـشـتَـاتِ

رحم الله عبدالله العلي الصانع فقد وضع يده على الجرح منذ زمن قديم.

✷✷✷✷

٣٧ - سليمان الجارالله

الشاعر سليمان جارالله الحسن الجارالله، صاحب قريحة شعرية متفتحة على الدوام. وله اهتمام بقضايا الوطن والناس. وعناية ببناء العلاقات الأخوية الصادقة مع أصحابه. له ديوان شعر مُكَوّنٌ من خمسة أجزاء نشرته مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في سنة ٢٠١١م، وكانت طبعته أنيقة، تَسْبِقُ الجزء الأول منه مقدمة هي عبارة عن تصدير كتبه صديقه الأستاذ الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين الذي كانت له علاقة بالجارالله طويلة، وكانت بينهما مسامرات شعرية ولقاءات في الكويت وفي خارجها.

ولقد جاء في التصدير قول الأستاذ البابطين:

«لقد عرفت الشاعر سليمان الجارالله عام ١٩٥٥م، حيث كنا جيرانًا في منطقة الصالحية، وتوطدت بيننا الصداقة بأسمى معانيها. وأعده أخًا حقيقيًا وصديقًا قل نُظَراؤه».

أما شعر الجارالله فقد جاء عنه ما يلي:

«لقد تميز شعر الجارالله ببساطة وعفوية صادرة من القلب، فضلًا عن عذوبة واضحة في الكلمة والإيقاع».

وعن صفة الشاعر المميزة له قال أبو سعود:

«... أن هناك كلمة واحدة تجمع كل هذه القصائد هي: المحبة. فالشاعر لا يسع قَلْبُهُ من المشاعر إلا شعور الحب والوفاء لأصدقائه، والحب لأبنائه وعائلته، والحب لوطنه وأمته، والحب للطبيعة، والحب للإنسان أينما كان».

هذه الفقرة الأخيرة وصف شامل لشعر سليمان الجارالله، وتعبير صادق عن فحوى شعره، وهو وصف لا يبعد عن الحقيقة أبدًا، ومن يقرأ هذا الديوان فإنه سوف يلاحظ تميز هذا الشاعر في سيطرة روح المحبة عليه.

وسليمان جارالله الحسن الجارالله من مواليد الكويت في سنة ١٩٢٦م. وقد تلقى دراسته في المدرسة المباركية وأنهى المرحلة الثانوية بها، ثم عمل بالتجارة.

ومنذ صباه وهو عاشق للشعر يقرؤه ويحفظه ويبحث عن دواوينه فيجمع منها مكتبة يعود إليها كلما أحب أن يغترف من نهر الشعر، ولم يكن قد خص بالقراءة والحفظ عصرًا من عصور الأدب العربي، فقد كان متابعًا للشعراء في جميع العصور، ولقد صقل هذا كله مقدرته على قرض الشعر لأنه عندما بدأ تجاربَهُ الأولى وجد في نفسه الاستعداد والقدرة على إنجاز شيء في هذا المجال.

ولقد نشر شعره في عدد من الصحف الكويتية وغير الكويتية. وصار له قراء يتتبعون إنتاجه وتسعدهم قراءته، أو الاستماع إليه.

بني الديوان على أساس تقديم قصائد الشاعر بترتيب الحروف الأبجدية، ولم يُبْنَ على أساس الموضوعات، ولكننا نستطيع أن نتتبع كامل شعره كما ورد، فنصل إلى تحديد موضوعاته، وهي موضوعات كما سبقت الإشارة متعددة،

تشمل كافة شؤون الحياة، وتتطرق إلى أحوال الناس، وإلى أحوال البلاد منذ بدأ الشاعر في قرض الشعر.

بدأ سليمان الجارالله ديوانه بأبيات يتحدث فيها عن صفاته وعاداته فقال:

أَبــتْ نـفـسـي الـتــــعَـرضَ للدنـايـا
وتـــأبـى أن تُـسـيء وأن تُـسـاءَ
و صـونـي الـنـفـسَ عـن قـيـل وقـالٍ
وتـــأبَـى لـي كـرامـتـيَ الـريـــاءَ

ثم يقدم مقطوعة شعرية فيها دعاء وتضرعُ إلى الله سبحانه وتعالى، ورجاء من الله أن يشفيه من المرض الذي ألم به، وفي الأبيات ذاتها نراه يذكر أنه صار في وحدة مملة ليس له فيها من أنيس إلا الكتب التي تحيط به وتشرح صدره قراءتها. ثم له بعد ذلك «فيض القريض».

وتمثله مقطوعة أخرى يتحدث فيها عن تجربته في الشعر منذ كانت البداية الصعبة حيث معاناة الإبداع إلى أن صار شاعرًا له من يرغب في سماع أشعاره.

وإذا اعتبرنا ما مضى نوعًا من التقديم لشعره ولكن على طريقته الخاصة، فإن قصيدته التي عنوانها «ضحايا الظلم والعدوان» تعتبر هي بداية الجزء الأول من ديوانه، وفيها ذكر لما حدث ويحدث في الحياة العربية العامة من سيطرة بعض الطغاة على الناس، وتسلمهم زمام الأمور في بلدانهم دون أن يكون لهم حق في ذلك عدا أنهم يتعاونون مع أعداء العروبة، ويصنعون ما يُرْضِي هؤلاء الأعداء في مقابل وصولهم إلى ما يريدون، حتى إذا وصلوا إلى هذا المطمع واستولوا على الحكم جعلوا الناس لعبة في أيْدِيهمْ، وأصبح كل من يعارضهم عدوًا لهم يستحق القتل والسحق، فليس عندهم من يستحق أن يبدي رأيه في

أمر من الأمور، أَوْ يعترض على مخالفة من المخالفات، وكل واحد من هؤلاء الطغاة المعتمدين على أعداء وطنهم يرى في نفسه أنه الوحيد الذي له الحق في التحكم بالعباد.

والشاعر يرى أن وجود مثل هؤلاء الطغاة هو الذي جر علينا الغزو العراقي الغاشم، ولكن إلى أين يذهب أعداء الإنسانية:

فـالـظـلـمُ حـين يـهـلُّ فـهْـوَ مـدمـرٌ
عـقـبـاهُ شـرٌّ مُـهْـلـكٌ وفـنـاءُ

ثم تمضي قافية الهمزة إلى نهايتها، ممتلئة بما فيها من قصائد تضم أحاديث النفس، وبعض التعازي والتهاني، وأنواعًا من ذكر ما يجري في المجتمع من أحداث. ثم تأتي قافية الباء، وفيها تنوع وعدة أغراض، منها بعض الأبيات التي تسودها الفكاهة بغية التخفيف عن النفس، فقد مر بنا في هذا الجانب ذكر اللبن الخالي من الدسم، وذكر الحوت اللذيذ الذي أعجب الشاعر أكله، وذكر ذلك الشخص الذي ضايقه، ثم وصف اللاعب المستهتر المعجب بنفسه، وأخيرًا تأتي ثلاثة أبيات لطيفة عنوانها: «الشنب الأبيض» يقول:

ضـحـك الـطـفـلُ مـنْـذُ رأى
أبـيـضَ الـشَّـعـرِ فـي الـشـنـبْ
قـال يـا جَـدُّ مـا أرى
إن هـذا هـو الـعـجـبْ
قـلـت هـذا الـذي تـرى
لـبـنٌ فـوقَـهُ انْـسَـكـبْ

ومن هذه المعاني انتقل إلى معاني الجد، وقدّم عددًا من القصائد في أغراض متعددة، وآخرها هذه الأبيات التي نظمها تحت عنوان: «ضياع أمة»، وهو يتحدث في أبياته هذه عن ضياع الأمة العربية بعد أن كانت تقود الدنيا، وكانت أملاكها تعم كل مكان، وأهلها من العزة في موقع عالٍ يُطاول النجوم ثم تدهور حالها، ولم تعد كما كانت من العز، وبقينا نبكي المجد المفقود:

سادوا الأنامَ بدينٍ لا شبيهَ لهُ
وأنقذوا أممًا من وهدةِ العَطَبِ
فَخلَّفوا أمّةً ضَلَّتْ طريقهمُ
ضاعت وحلّت عليها كثرةُ النُّوَبِ
من ضيّع الدِّين لم يظفرْ بطَيِّبَةٍ
ولو تقلّد يومًا عاليَ الرُّتبِ

إن رنة الأسى، وحسرة الأسف لتبدو لنا بكل وضوح في كامل القصيدة، وفي هذه الأبيات الثلاثة على جهة الخصوص. ويحق للشاعر أن يعبر عن إحساس الحزن والأسى كلما شاهد من أحوال أمته ما يضيق به صدره.

وآخر ما جاء على قافية الباء هذه الأبيات الانتقادية التي صاغها دفاعًا عن كرامته التي أحس بأن أحد الموظفين العامين يحاول المساس بها سواء أكان ذلك عن قصد أم لا.

يحس القارئ بأن هذا الشاعر يعبر فيما كتب عن حزن عميق، لأنه يعرف نفسه جيدًا فهو قارئ كاتب له وزنه في دنيا الشعر، ومجالات الأدب، ثم هو شخص معروف لا يحتاج إلى تعريف، فيأتي هذا الموظف ليسأله: هل تعرف القراءة والكتابة؟ وفي اعتقاد الشاعر أن هذا الموظف لو أراد أن يستفهم عن

هذه الجزئية لسبب يتعلق بعمله، فكان أولى به أن يتبع طريقًا آخر كأن يطلب منه التوقيع على الورقة أو قراءة ما فيها، ولكن سؤاله كان مفاجئًا جدًا، ومزعجًا إلى ما لا نهاية.

يقول سليمان الجار الله:

قـــال المــوظــف نــافـخـــاً أوداجـــــه
يـا عــمُّ قـل لـــي: هــل تــخـــطُّ وتـكـتـبُ؟
فـــــأجـبـتـه قـلـــمـي يُـــخـبّـر إنـنـــي
شــخــصٌ عــريــقٌ عـــــارفٌ ومــــؤدّبُ
أَبُــنَــــيَّ لـــو تـــدري بــمـن خـاطـبـتـه
عـن شـعـرهِ لـعـلـمـتَ كـيـف تُـخَـاطِـبُ

ثم يضيف إلى ذلك قوله بأنه شاعر قد ألف الشعر وحازه، وقد قدم القوافي المطربة.

ويقول: أنا إن قلت شعرًا في الغزل حسبتني قيس ابن الملوح حينما يصوغ الشعر في وصف حاله فيبدعُ فيه.

إن هذا الشاعر الذي يقف أمامك إن قال حِكَمًا حير سامعه بِحِكَمِهِ، وجعله يعجب ببيانها، وإن وصف الحوادث العابرة أبدع في ذلك بما يحير الرجل المسن والفتى الغرير. وما عليك إلا أن تترك الغرور وتسأل الذين عرفوه قبلك، وميزوا قدراته وعلى الأَخَص في المجال الذي يُسْتَخْدَمُ فيه القلم.

وإذا نظرت إلى الناس فانظر إليهم نظر العاقل اللبيب وافهم من يقف أمامك من ملاحظتك له قبل مساءلته:

فـالمـرء يَـعـرف مـن يـرى مـن وجـهـهِ
عـينُ الـبـصـيـرةِ نـورُهَـا لا يُـحْـجَـبُ

للشاعر سليمان الجارالله قصيدة جميلة هي التي سوف نختار تقديمها هنا فهي إضافة إلى أسلوبها الراقي ومعانيها الجميلة تدل على محبته لوطنه، وشوقه إليه عندما يغترب عنه، ورغبته الملحة بالعودة إليه على الرغم مما في البلد الذي يزوره من محاسن طبيعية وغيرها.

القصيدة بعنوان: «عودة إلى الوطن» وقد قالها ردًا على أولئك الذين سألوه قائلين: أحقًا نويت المغادرة والعودة إلى الوطن؟ وأبيات القصيدة تقدم صورة للمكان الذي سوف يرحل منه، وهي صورة تدل على أن العزم على المغادرة ليس بسبب سوء المكان الذي أمضى فيه أيام رحلته، بل هو مكان يستحق الإقامة، لولا أن الوطن له مكانته في النفس، وهو يدعونا إلى العودة إليه بما في قلوبنا من حب له، وإشفاق عليه.

إنهم يقولون: لماذا لا تبقى هنا في هذا المكان الجميل أيامًا أخرى بين جمال الطبيعة والأصحاب الذين يحبونك؟ فيقول لهم:

فـأجـبـتُـهـم لـم يُـثـنـنـي إغـراؤكـم
كـلّا، ولـو سـدَّ الـغـبـارُ دروبـا
بـلـدي الـعـزيـزُ، وإنْ بَـعُـدتُ، محـلُّـهُ
فـي الـقـلـب هـل يـسلـو الحـبـيـبُ حبيبا
عشـنـا بـه مـنـذُ الـطـفـولـة صِـبـيـةً
وبـه مـضـى غـصـنُ الـشـبـاب رطـيـبـا

شـطـفُ المـعـيـشـةِ مـنــه نـلـنـا حـقّـنـا

وبـهــا لـقـيـنــا قـســوةً وكُـروبــا

وَقَـسَـا عـلـيـنـا الـدهـــرُ فـي أيـــامـه

مـضـت الـسـنـونَ مـعـامـعًـا وحُـروبـا

و قَـســـــاوةُ الأيـــام فـيـنـا لــم تُـهِـنْ

منـــا العـــزائـم فِـتـيـــةً أو شـيـبـا

صـبــرُ وتـضـحـيــةُ وعـــزمُ ثــابـتُ

حـتـى صـددنــا عـن حِـمـانـا الـذِّيـبـا

يــا مـوطـنـي دمــتَ الـحـيــاةَ مُـنـعـمًـا

لـلـمـكـرُمـــاتِ أخًـا لـهـا ونـسـيـبـا

وطـنَ الـرخـا وطـنَ الـسـعـادةِ والـهـنـا

لا زلــتَ فــي صِـيـدِ الـرجـالِ خـصـيـبـا

****

٣٨ - ناصر جاسم الغانم

هذا شاعر قديم لا أمتلك عنه معلومات كافية إذ لا أعلم عن سيرته الذاتية، ولا عن مسيرة حياته، ولا من هم أصحابه من أهل الكويت. لأن كل ذلك لم يتيسر لي على الرغم من البحث والسؤال.

عرفته، وقرأت شعره في مجلة «الكويت» التي كان يصدرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد منذ سنة ١٩٢٨م. فقد كان الشيخ ينشر بعض القصائد له ويتحدث عنه وعن أسرته حديثًا طيبًا. ولم أعثر في هذه المجلة على أكثر من قصيدتين. كانت الأولى في الجزء الثامن من المجلد الأول، وقد صدر هذا الجزء في شهر ربيع الثاني ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م).

وهي بحسب الظاهر ليست بقصيدة كاملة بل هي مقتطعة. وقول الشيخ الرشيد يدل على ذلك والقطعة المختارة منها مكونة من مقطعين سوف يذكرهما. ولكن ما يستحق ذكره هنا هو ما قدم به الشيخ عبدالعزيز هذه الأبيات حين قال: «من قصيدة للأديب الفاضل ناصر بن جاسم الغانم الكويتي، وهو من الأدباء المنتمين إلى أسرة آل زايد العائلة المعروفة في الكويت بالشجاعة والشرف، وقد لعب بعض أفرادها أدوارًا مهمة في تاريخ الكويت قديمًا وحديثًا، واشتهر منهم بالسخاء رجال ضرب بهم المثل».

ولم يورد الشيخ أية معلومات تتعلق بالشاعر ناصر الغانم أكثر مما أورده، وقدمناه هنا، ويبدو أنه كان لا يدلي بمعلومات كاملة عن نفسه حتى يدرجها الشيخ عبدالعزيز فيما كتب.

وهذا الشعر الذي ورد في الموضوع الذي ذكرناه بعض من قصيدة لشاعرنا هذا، وهو يخضع لاختيار صاحب المجلة، ولكننا في حالة اضطرار للحديث عنه كما جاء فيها.

وكما ذكرنا سالفًا فإن اختيار الشيخ الرشيد من قصيدة ناصر الغانم يتكون من فقرتين، كما يلي:

جاءت الفقرة الأولى في أسلوب جميل، وألفاظ منتقاة تدل على أن الشاعر يهتم بلغته ويعني بمعرفة أصولها، ولو لم يكن كذلك لوجدنا قوله مهلهلًا ضعيفًا ولكن ما نجده في الفقرة الأولى على عكس ذلك ففيها الجودة وحسن السبك وطلاوة اللفظ وتداعي المعاني.

يذكر في البداية جزعه مما يواجهه من الأمور التي تقلق الإنسان وتؤرقه، وتجعله دائم التفكير في حالته القائمة وفي مستقبله. وليس الذي هاله – كما يقول– لخوفه من فراق من يهوى، أو هو أمر من أمور القلوب كالحب مثلًا، فهو لا يعاني من ذلك، وهذا هو ما يفزع له القلب. وهو لم يهتم – كذلك– بما يفعله ذلك الجهول الذي يخوض في أعراض الناس، ويغض بقوله القبيح من كرامة الكرام. ولكنه يحمل همًا من نوع آخر، فهو يرى أمته وهي تتعرض للتفرق بعد الائتلاف، وهي اليوم في حالة ليس لها غير الله مفزع ينجيها مما هي فيه ويعيد صفوفها إلى ما كانت عليه قبل الشتات.

ويضيف:

إنني أخاف على أمتي من عدو مكابر لا تُهِمّهُ إلا نفسه وتحقيق مآربه، وهو يمضي – دائمًا– في النيل منها وخداعها، وإنه لخداع. فكم مَج السم في نهر المودة الذي يغمر هذه الأمة ولم يتركها إلا وهي متألمة متوجعة.

جزعتُ وما خوفًا من البين أجزعُ
وما هالني أمر به القلب يَفْزَعُ
ولا همني ذاك الجهول الذي غدا
يغير على عرض الكرام فَيَقْدَعُ
ولكنني أخشى تفرقَ أُمةٍ
لها الله من دون البرية مفزعُ

ثم تأتي الفقرة الثانية، وفيها يوجه النداء إلى أُمةِ الإسلام قائلًا لهذه الأمة لينتبه كل فرد منكم إلى ما هو حادث، فإن صفوفكم تعرضت لخطب كبير يزعزع اركان دياركم، وعليكم أن تعيدوا النظر فيما أنتم فيه، وأهم أسباب ما يحدث هو العداوة التي تسود الجميع صباحًا، والأضغان التي تفتك بالجميع مساءً.

إننا يا قوم في أمر مفجع، فوا لهفي على فقدان ما كان يسود أمتنا من تآلف وتعاون حتى أصبنا بهذا الوضع المزري المزعج. إن صاحب النفس الأبية لا يرضى هدمًا لدينه بسكوته على الأخطار.

فيا أمة الإسلام هذي جموعكم
أَلَمَّ بها خطب خطير مُزَعزِعُ
إذا أصبحت ألفيتها في عداوة
وإن هي أمست فالضغائن تصرعُ

فـــوا أســفــي مـــا هـــــذه الـذلــــــة الــتـي
أصـبـنــــا بــهــا يـــا قـــوم فـالـخـطـب مُــفْــزِعُ

ومما نراه في الفقرتين هو أن الرجل ينظر إلى الأمة بصورة عامة، ويرى أن ما يحل في بلد من بلاد الإسلام سوف يصب أذاه على البلدان كلها.

☆☆☆☆

وهذه هي القصيدة الثانية للشاعر ناصر جاسم الغانم التي أوردها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلته. وقد قدم لها بعد عنوانها وهو: «شكوى الكويت» بقوله: «قصيدة غراء للأديب الفاضل ناصر بن جاسم آل غانم الكويتي، وجهها إلى صاحب هذه المجلة يشكو فيها ما أصاب الكويت من التأخر والانحطاط، وما منيت به من مصائب وأرزاء، نُثبتها هنا لأنها...... الحقيقة الراهنة في الكويت التي كتب الله أن نكون أحد أبنائها».

ولنا ملاحظة على هذه المقدمة، وربما مست الملاحظة شيئًا من القصيدة، ذلك إن العبارات التي وردت عن الكويت، وكتبها الشيخ عبدالعزيز الرشيد لا تمثل الواقع. فالكويت في وقت نشره للقصيدة لم تكن على تلك الصورة البشعة التي صورها بها، ولم يكن بها تأخر أو مصائب كما قال، بل كانت تسير في طريقها بحسب إمكاناتها وظروفها ولم تتأخر عن ذلك. وإذا كانت المجلة قد صدرت في عام ١٩٢٨م، فإننا لو تتبعنا أحداث الكويت منذ سنة ١٩٢٧م لوجدنا تقدمًا ولمسنا اهتمامًا بتطوير الحياة بكافة وجوهها، ولا ذنب للكويت أن قلّت مواردها بسبب ضعف مواسم الغوص والسفر وتراجع التجارة بعد ذلك. فهذه أمور ليست من صنع الأهالي، وهي تحدث لكل وطن.

في سنة ١٩٢٧م جرت الأمور التالية:

- جرى تنظيم المحاكم في البلاد، وأُسنِدَت رئاستها إلى الشيخ عبدالله الجابر الصباح.

- افتتح المطار الأول في الكويت، وكان موقعه قريبًا من السور الثالث خلف بوابة الشعب التي يطلق عليها فيما مضى اسم دروازة البريعصي.

- سجل الفنان عبداللطيف الكويتي أول اسطوانة له، وهو أول فنان كويتي تسجل له أغنية.

- تم في هذه السنة نقل البريد من وإلى الكويت عبر العراق. وكانت خطوة مهمة لاتصال الكويت بالعالم.

وفي سنة ١٩٢٨م جرى ما يلي:

- جرت معركة أطلق عليها: معركة الرقعي وذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر يناير لهذه السنة.

- وصدرت مجلة الكويت، أصدرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد ومجرد صدورها دليل على هدوء الأحوال، وعلى الإحساس بالاطمئنان.

كانت أوضاع البلاد من الناحية الصحية أوضاع مريحة، ولم تحدث في هذه السنة أوبئة، وقد جاء ذلك في تقرير بريطاني.

وهذا - أيضًا - من الأمور التي تريح البال وتبعد الإرباك عن كافة المواطنين.
وفي سنة ١٩٢٩م وهي السنة الثانية من سنوات المجلة المذكورة جرى ما يلي:

– تم تشكيل دائرة بلدية الكويت، وصار سليمان العدساني أول مدير لها.

ولم يجر أي أمر ملفت للنظر.

وعلى كل حال فقد كانت حالة المجتمع هادئة، وكان الناس يزاولون حياتهم المعتادة، ويلتقون في أسواقهم وديوانياتهم، ويتزاورون، ويرعى بعضهم شأن بعض، وليس في أحداث السنوات الثلاث ما يكدر عدا معركة الرقعي، ويكفي أن يقال أنها آخر معركة جرت واشتركت الكويت بها.

وعلى الرغم من الملاحظات التي أوردناها حول تعليق الشيخ الرشيد، وفحوى قصيدة الشاعر ناصر الغانم، فإن مما ينبغي أن نذكر ما يلي:

١ – هذه القصيدة قدمت بالفعل إلى الشيخ عبدالعزيز وورد ذكره بالاسم خلالها.

٢ – فيها شكوى من أوضاع سيئة لم تُحدد، وقد يكون منها ما أشار إليه من وجود بعض الفتن.

٣ – قد تكون في القصيدة إشارات ولكنها مبهمة بعض الشيء عن أمور أشار إليها الشيخ عبدالعزيز الرشيد، ووردت في عدة قصائد من أشعار شاعر الكويت صقر الشبيب، وهي إشارة يقصد بها ظهور بعض المتعنتين الذين واجههم الشيخ الرشيد والشاعر الشبيب، وكان صراعًا مريرًا بين طرفين أحدهما هذان الرجلان والآخر هم المتزمتون. وكلا الرجلين المعارضين كانا من رجال الدين ولكنهما لم يرضيا بأن يكون في الدين تعنت، واتبعوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى».

إن الحالة التي بيناها هنا هي التي يقصدها الشاعر ناصر الغانم لا محالة. ولم يكن في حاجة إلى حَث الشيخ عبدالعزيز الرشيد على القيام بعمل ما ضد مثيري الفتنة. وإنه بعد مقدمة مكونة من خمسة أبيات يتوجه بحديثه إلى الشيخ الرشيد قائلًا:

يا شيخنا إن الكويتَ لتشتكي
من جورِ أفراد من الإخوانِ
جعلوا التفرق دأبهم فيها فما
راموا سوى التخريب للأوطان
هم أزهقوا روح الهدى بضلالهم
هم صيرونا في الحضيض الداني
كم مزّقوا شملًا لنا بتقشفٍ
كم أوقعونا في هوى فتانِ
يا شعبنا إياك أن ترضى بما
يأتيك من جور ومن بهتانِ
دعهم يخوضوا في السفاهة برهةً
حتى نراهم في عَمًى حيرانِ
وأقبِل إلى روح الرقي فطالما
قد كنت عن أمثالها متواني
شَمِّرْ وخضْ بحرَ الحياة فإنها
فينا مكان الروح في الأبدانِ
دعْ عنك أقوالَ الوشاةِ فطالما
صدّوا أخَا العلياء بالهذيان

تــبًّــا لــقـــــوم قـــد أتــــوك ببغيـــهم

فــتـــرصـــدوا كــتـــرصــد الخـســـــران

أحـيـيـت يــــا عـبـدالعزيـــــز شبيبةً

مـــن روح عـلـــمٍ أو هُـــــدًى ربّـــانـي

قــم يــا ابـن أحـمـدَ فـاشفـهـا مــن دائـهـا

فـــي بــث روح الـعـلـــم والـعــرفــــانِ

هذا هو ما يمكن أن يقال عن الشاعر ناصر جاسم الغانم، وهو قول وإن كان مختصرًا فإنه مفيد يؤدي الغرض منه.

****

٣٩ - جاسم عيسى النصرالله

لم أجد رجلًا في مثل حرص جاسم عيسى النصرالله على متانة اتصاله بأصحابه، وحبه لهم، وإخلاصه الذي لا نظير له لكل من يرتبط معه بصلة، ولعلِّي من الشهود على ذلك لأني عرفته شخصيًّا منذ رأيت صلته بالخال المرحوم داود سليمان الجراح، ورأيت مدى محبته له، وحرصه على عدم الانقطاع عنه.

كان جاسم النصرالله محبًّا للشعر يقرأ منه كل ما يقع أمام ناظريه، ويحفظ منه ما يشاء ثم إنه بعد ذلك شاعر، يقول كل ما يخطر على باله شعرًا جميلًا رائقًا.

وهو إضافة إلى ذلك كثير الترحال يُمْضِي من شهور السنة ما لا يقل عن ثلاثة أشهر في سفر مستمر، وهذه المدة حددها لنفسه بعد أن استقر به المقام، ولكنه كان قبل ذلك شبه مقيم في بلدان مختلفة تنقل بينها، منها البحرين وشرقي المملكة العربية السعودية والهند، وكان عملُهُ في هذه البلدان الثلاث، ومن أجل ذلك فإنه قد أطال المكث فيها، وعندما عاد إلى الكويت تسلم أحد الأعمال الحكومية، وكان ذلك في دائرة العدل (وزارة العدل فيما بعد) وكان له فيها اسم لامع، يرتاح الناس إلى التعامل معه لأنه امتاز بخلق قويم، ورغبة صادقة في مساعدة كل من يأتي إليه لكي ينجز له عمله.

وفي الكويت ثابر على طريقته الأولى وهي الاتصال بالأصحاب، وغشيان مجالسهم، وتبادل الأفكار والأشعار معهم، وكان إلى أيامه الأخيرة يتردد علينا في ديوانية الثلاثاء فنحظى بوجوده ونستمع إلى تعليقاته اللطيفة، كما يعرض علينا – في بعض الأحيان – ما مر به من تجارب، وبعض ما قرأه وحصل به على معلومات قيمة نرتاح إلى سماعها ونستفيد مما يقوله لنا منها، ثم هو حريص على التردد على رابطة الأدباء الكويتيين، فله هناك عدد من الأصدقاء الذين يحبونه، ويسعون إلى مجالسته والاستفادة من خبراته.

وكان لأبي عيسى شعر جميل، ولكنه يأبى أن يعلنه أو ينشره، ولذا فإننا نتمنى على أولاده الأعزاء أن يقوموا بدورهم في هذا المجال وذلك بجمع شعر والدهم ونشره. وأنا أعرف أن له شعرًا كثيرًا، وأنه كان يتبادل القصائد مع الخال المرحوم داود سليمان الجراح، وبخاصة عندما تُفَرِّق بينهما الأسفار. وإذا نظرنا إلى ما لدينا الآن مما بقي من شعر داود الجراح فإننا سوف نجد فيه بضعة قصائد يوجهها إلى صاحبه جاسم النصرالله، ولعل من أهمها قصيدته التي قدمها له عندما تزوج فقال له:

عَمَّ السرور وعمَّ فيه صفائي
فطفقت من طرب أعيد غنائي

وبلابل الأفراح تبعث شدوها
من روضةٍ في مهجتي غنّاء

كان الأستاذ جاسم النصر الله – فيما أعلم – حريصًا على تسجيل أفكاره، واختياراته من الأشعار والنوادر الأدبية، وكان عندما يقوم بإحدى سفراته فإنه يكتب في دفتر صغير لديه كل ما يلاحظه أو يمرُّ أمام عينيه من أمور تلفت النظر.

ولقد اطلعت على مجموعة من رسائله التي كان يتبادلها مع صديقه المرحوم داود سليمان الجراح فوجدت فيها كنوزًا من المعارف، فهو يصف لصاحبه كل شيء، ويبلغه بكل حادث، وينقل إليه كثيرًا من قراءاته المتعددة، ولو طبعت هذه المراسلات لحصلنا على كتاب مفيد في بابه، إذ يندر أن نجد اليوم مثيلًا لهذه المراسلات التي تضم على صفحاتها معلومات ثرة، وفوائد جمَّة.

إن الرسائل المتبادلة بين هذين الرجلين ذات أهمية كبرى من حيث الدلالة على متانة العلاقة بينهما، ومما ينقصنا في هذا المجال أننا نجد رسائل الشاعر داود سليمان الجراح إلى صاحبه ولا نجد بين أيدينا ما يقابلها من رسائل جاسم النصرالله. وهذا ما نأمل التوصل إليه بعد النداء الذي قدمناه بهذا الخصوص.

لقد كانت هذه الرسائل ذات دلالة على عمق الصلة بين الطرفين، لأننا نجد فيها معلومات شخصية، وعائلية، كما تجد فيها أخبار الأصدقاء وأخبار العمل، إضافة إلى أخبار بعض الأحداث التي تجري في البلاد.

ومما تحسن الإشارة إليه هنا أن الشاعر الجراح قد سافر إلى بومبي بالهند رغبة في رؤية صاحبه بعد فترة طويلة من الافتراق، وقد وجد أن جاسم النصرالله كان في خارج تلك البلاد ومن هناك كتب له رسائل يختمها بتوقيع: غريب الهند، ثم يكتب اسمه، وقد تحدث إليه في إحدى رسائله هذه عن بعض المأكولات، فقد كان أبو عيسى يحب حلوى (الرهش)، ولم يكن يجد منه شيئًا في الهند، وقد تيسر له هذا النوع عندما انتقل إلى شرقي المملكة العربية السعودية واستوطن منطقة (المشعاب)، وقد كتب إليه داود الجراح أبياتًا منها قوله:

إن فـاتَـكَ الـرهـش فـي بـومـبـاي تـأكـلـه
فــلا يـفـوتـنـكـم فــي رأس مـشـعـاب

ومن الجميل في تلك الرسائل أنها تحتوي على مقتطفات من أبيات الشعر التي تأتي مسايرة للمعاني، سواء أكانت من شعرهما أم مما يختارانه من قراءاتهما، وفي الرسائل - أيضًا - إيراد لبعض المعلومات في النحو واللغة.

ولقد كنت أتوق إلى الاطلاع على الرسائل التي أرسلها النصر الله إلى صاحبه، أو على نماذج منها، ولقد كنت متأكدًا من وجودها لأن المودة السائدة بين الرجلين تدعو إلى احتفاظ كل منهما بما لديه من آثار صاحبه، وقد تحقق ما توقعت بحصولي على الرسائل التي كنت اتمنَّى العثور عليها، وذلك حين تعطَّف الأستاذ جاسم بتقديمها إليَّ، فأسعدني بذلك، وعندما اطلعت على تلك الرسائل وجدتها مشابهة لرسائل صديقه، ففيها عواطف متبادلة، وحرص على التواصل، وتبادل المعلومات والأشعار وقد لاحظت أن لهما أصحابًا مشتركين ومزاجين متشابهين.

وقد سبق أن أوردنا فقرة رسالة له أرسلها إلى صاحبه، وهي التي ذكر له فيها أنه لم يرد إبلاغه بموعد سفره لأنه يكره الفراق، وكانت تلك الرسالة قد أرسلت من البحرين.

وفي هذه الرسالة كما رأينا أوضح دليل على إشفاق صاحبنا على صاحبه، ورغبته الأكيدة في عدم تكديره، لأنه يعلم أن الفراق صعب وأن اللقاء سوف يتم مرة أخرى بعد زمن طويل.

وفيما يتعلق بالسيرة الذاتية للمرحوم جاسم عيسى النصرالله فإننا لا نستطيع أن نذكر أكثر مما يلي:

– ولد في البحرين سنة ١٩٢١م، وكان أبواه قد نزحا من بلدهما الأصلي: الكويت وأقاما هناك حيث ولد، وقد نشأ بينهما في ذلك البلد الذي تربطه بالكويت روابط متينة منها روابط الدين واللغة والنسب.

– درس صاحبنا في الموضع الذي نشأ فيه وتخرج في مدرسة الهداية الخليفية بالمنامة، ثم صار بعد ذلك مدرسًا.

– ولم يلبث أن غادر البحرين إلى الهند حيث شغل نفسه قليلًا في تجارة خاصة به، ثم عمل بالتدريس لبعض أبناء الجالية العربية في بومبي.

– وبعد زمن أمضاه في تلك البلاد النائية جاء إلى الكويت، وتزوج فيها واستقر، وتنقل هنا بين أعمال متنوعة منها ما هو في دائرة الجمارك، ومنها ما كان في شركة نفط الكويت وذلك في سنة ١٩٤٦م وهي السنة التي جرى فيها تصدير أول شحنة من النفط الخام الكويتي.

– وابتدأ في سنة ١٩٥٠م عملًا جديدًا حيث تسلم وظيفة من وظائف المحاكم، وقد بقي في عمله هذا مدة طويلة تقاعد في نهايتها وكان ذلك في سنة ١٩٧٢م.

وللأستاذ جاسم النصرالله دور في دنيا الشعر فهو يقرؤه، ويحفظه، ويحرص على جمع دواوين الشعراء المطبوعة، ويجالس الشعراء فيستمع إليهم، ويبادلهم شعرًا بشعر في مناسبات كثيرة، ولم يكن يتحدث في أمر من الأمور إلا وقد استشهد له ببيت أو أكثر من الشعر مما يدل على حضور بديهته، وحفظه، وحبه للشعر.

ولكنه – كما سبق أن أشرنا – لا يريد أن يُعلن شعره، ولا أن ينشره بين الناس، ولي معه تجربة مهمة في هذا الخصوص، ذلك أنني كتبت عنه كلمة في إحدى صحف الكويت أنوه به وأذكر مكانته بصفته أديبًا شاعرًا وقد مثَّلت لشعره بأبيات لا أذكر من أين التقطتها، وفي الغالب أن ذلك كان من إحدى زوايا الذاكرة.

وَنُشر المقال، وجاءنا في يوم الثلاثاء وكان دخوله على غير عادته إذ كان مسرعًا وكان اتجاهه إليَّ مباشرة، وعندما وصل إلى المكان الذي أجلس فيه وقفت لتحيته، فوجدته في وضع مختلف إذ بادرني فورًا بسؤال هذا نصه:

– من أين جئت بهذه الأبيات؟

فضحكت وقلت له ألم يمر بك القول المشهور: الشعر يأبَى الإسرار، وأن بيتًا من الشعر يقوله شاعر ما يطوف في كل مكان فيتلقفه الناس.

وأضفت إلى ذلك:

– إلى متى وأنت تخفي شعرك؟ إنك تقول شعرًا جيدًا وأنا أعرف ذلك، بل أنت تعرف ذلك عني بحكم صلتي الطويلة، وكل ما أرجوه هو أن تبادر بالنشر، وتسعد محبيك بإطلاعهم على شعرك.

وانتقلنا بعد ذلك إلى أحاديث أخرى ولكن لم يعد إلى هذا الذي دار بيننا وحافظ على تمسُّكه بشعره لا ينشره، ولا يُطلع أحدًا عليه.

☆☆☆☆

ويأتي الآن دور الاختيار، ولما كنا قد قلنا أنه يتكتم شعره، ولا ينشره فإن الاختيار منه محدود، وأمامنا الآن قصيدة بناها بتخميس قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، وهي قصيدة:

علّموه كيف يجفو فجفا
ظالم لاقيت منه ما كفى

وقد أخذ جاسم النصرالله أبيات أحمد شوقي وبثها في قصيدته على طريقة التخميس بأن جعل كل بيت من القصيدة الأصل مندمجًا مع ثلاثة أشطار من شعره هو بحيث تتكون القصيدة من خماسيات وهذا العمل الشعري فن يحتاج إلى جهد وفكر، قال:

خدعوا ظبي الفلا حين صفا
ووشوا بي عنده وا أسفا
حسدوني إذ رأوه منصفا
(علموه كيف يجفو فجفا
ظالم لاقيت منه ما كفى)
بدر تمٍّ ما له من مُشبهِ
أنا صَادٍ من لماهُ اشتهي
رشفةٌ تشفي فؤادَ المولهِ
(مسرفًا في هجرِهِ ما ينتهي
أتُرَاهم علّموه الشَّرفا)

هذا وما بين القوسين هو ما قاله أحمد شوقي.

أما القصيدة التي نود إثباتها هنا فهي بعنوان «حنين الغريب» وقد كتبها عندما كان في الهند بعد مغادرته للبحرين التي ولد بها وعاش على ثراها، وقد جاءت قصيدة الحنين هذه للدلالة على حبه لمسقط رأسه، وللدلالة – أيضًا – على إحساسه بالغربة في بلاد الهند، يقول:

وطـنـي نـحـو مـائـك الـعـذب حَـنّـا
مـغـرمٌ طـيـرُ قـلـبـهِ فـيـك غـنّـى
يـا بـلادَ الـحـبـيـبِ مـسـقـطَ رأسـي
وأمـانـي الـكـئـيـب إذ يـتـمـنّـى
يـا بـلادي ويـا سـمـيـرة روحـي
كـيـف يـسـلـوك مـولـعٌ ومـعـنّـى
يـا بـلادي ويـا مـرابـع أُنـسـي
قـد تـركـتِ الـجـمـال لـلـنـاس فـنّـا
يـا (أوالُ) مـرضـتُ مـن طـول بـعـدي
هـل دواءٌ مـن (المحـرّق) يُـجـنـى
كـم لـيـالٍ عـلـى ربـاك تـقـضّـتْ
لـو رآنـي بـهـا الـعـذولُ لَجُـنّـا
بـين جـنـبـيَّ طـاهـرُ الـحـبِّ يملـي
مـن لـذيـذ الـحـديـث آيـات حـسـنـي
جـمـعـتـنـي والـظـبـيَ عـيـنُ عـذارى
فـبـروحـي أفـدي الـغـزال الأغـنّـا
يـتـشـكـى وفـي تـشـكـيـه عـذلٌ
يـتـرضـى وفـي تـرضـيـه مـعـنـى

كــــــلُّ هــــــذا تــــــدلّــــــلُ وتجـــــنٍّ

غـيــر أن الـــــدلال لـلـنـفـس أهـنـا

لـيـت شـعـري هـل الـتـدانـي حـلـيفي

أم أعـــانــي جـيـش المـنــون فـأفـنـى

إن قـضـى الـلـهُ بـالـلـقـا عـن قـريـبٍ

لـــم أعـــدْ ذاكـــــرًا لـــهـنـدِ ولـبـنـى

أنــــا مـــا زلــت حـافـظًـا لـعـهـودي

وأكـيـــلُ الـــوفـــاء وزنًـــا فَـــوَزنـــا

رحم الله الشاعر جاسم عيسى النصرالله، فقد كان صديقًا، وكانت له مكانته عند كل من يعرفه.

****

٤٠ - أحمد عنبر

الأستاذ أحمد عنبر شاعر طالما أسمعنا شعره الجميل، وكانت له مواقف كثيرة عبّر من خلالها عن احتفائه بالمناسبات الدينية والوطنية. وأسمعنا إلى جانب ذلك أحلى الأناشيد. وهو معنا في الكويت منذ سنة ١٩٤٦م حين جاء معارًا من الحكومة المصرية من أجل التعليم في مدارس الكويت. وحين انتهت مدة إعارته، وعاد إلى موطنه لم يصبر كثيرًا على فراق الكويت، فعاد إليها في أول فرصة أتيحت له بعد أن غاب عنها سنوات أربع قال فيها:

حـلَّ روض الشعر خِصبًا مُمرعا
ذلـك الصـدَّاح هـلاَّ اسمعا
غـاب عنكـمْ سنـواتٍ أربـعا
يـلزم الصمتَ حزينًا مُوجعا

وفي ختامها:

عـندما الأيـامُ أمسَت طُـوَّعا
هـزَّه الشـوقُ إلـيكم فسعى
ليت هـذا الدهـرَ نقضيهِ معا
نـبعثُ الماضي جـديدًا ممتعا

وكان ذلك في شهر أكتوبر لسنة ١٩٥٢م حين وقف في حفل حاشد ليلقي قصيدة بدأها بهذه الأبيات التي تحقّقت أمنيته التي قالها فيها، فقضى الدهر في

الكويت. وقدم للبلاد كثيرًا من الخدمات في مجال التربية ومجال الشعر بصورة عامة، وقد أحب الكويت حبًّا شديدًا وأنشد في حبها قصائد جمة، وكان هذا الحب الظاهر في استمراره بها سنين طويلة، وفي أناشيده التي ردّدها في حبها، وفي علاقاته الطيبة مع عدد كبير من أهلها كل ذلك كان مبررًا لحصوله على جنسية البلاد، فأصبح كويتيًّا منذ سنة ١٩٧٦م لا يختلف عن أي كويتي آخر، وهو يستحق ذلك لطول مدة إقامته وحبِّه للبلاد وخدمته لها، ولم يكتف الأستاذ أحمد عنبر بكتابة البحوث والمقالات، ولا بكتابة الأشعار، بل زاد على كل ذلك بالمطارحات الشعرية التي يجريها مع أمثاله من الشعراء الكويتيين، حيث يتبادل معهم الشعر في موضوعات مختلفة منها ما هو جاد، ومنها ما يميل إلى الفكاهة والمزاح. ونذكر من هؤلاء الشعراء الشاعر محمد ملا حسين الذي تحدثنا عنه فيما سبق وأوردنا نبذة تُمثِّل لعلاقته بالشاعر أحمد عنبر وشعره الموجه إليه.

ولد الأستاذ عنبر في مصر، وتوفي في الكويت، وكان قد تخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٣٧م، وبدأ عمله مدرسًا في الكويت سنة ١٩٤٦م، ثم عاد في سنة ١٩٥٢م بعد انتهاء إعارته الأولى وقد وجد راحته في البقاء هنا مع أصحابه وتلاميذه الذين اكتسبهم خلال إقامته، وتدرج من مهنة التعليم المباشر إلى التوجيه الفني، ثم صار مراقبًا لشؤون الامتحانات في وزارة التربية.

وهو عضو في جمعية المعلمين الكويتية، ورابطة الأدباء الكويتيين. وقد أنتج شعرًا كثيرًا جاء في ثلاثة دواوين أولها ديوان «من وحي الكويت في عشرين عامًا» وقد صدر في سنة ١٩٦٦م، وديوان «إشراقة الصباح» ثم ديوان «من شعر المعركة»، وهذا ينبغي أن يضاف إليه ما نشر في مجلة البعثة قديمًا، وما نشر في بعض الصحف الكويتية الأخرى.

أما كتبه المطبوعة فكان منها كتاب «قضية الأدب بين اللفظ والمعنى» صدر في سنة ١٩٥٤م، وكتاب «جولة مع ابن الأثير في كتابه: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» وصدر في سنة ١٩٥٤م أيضًا، وكتاب: «ثلاثية الزمن» وهو كتاب فلكي فيه تقويم لعدد قادم من السنين، طبع في سنة ١٩٧٠م.

وتضاف إلى ذلك مجموعة من البحوث والكتب لم يجد الفرصة لطبعها ونشرها، وكل ذلك يدل على اهتمامِهِ بالعمل الثقافي والأدبي إلى جانب ما كان يهتم به من أمر الشعر الذي أكثر من قوله في مختلف الأغراض، وجال به في مجالات كثيرة كان من أهمها مجال النشيد الوطني، فقد كتب عددًا من الأناشيد الوطنية التي ترنم بها أساتذة الموسيقى من العاملين في وزارة التربية، وكان أول نشيد سمعناه له هو ذلك الذي كان مطلعه: يا جابر الشعب الذي قدمه مدرسو وزارة التربية بمناسبة تسمية الشيخ جابر الأحمد الجابر وليًا للعهد. وإذا ألقينا نظرة سريعة على ديوان أحمد عنبر «من وحي الكويت في عشرين عامًا» فإننا سوف نلحظ التنوع فيه، حتى لقد ضمنه أبياتًا باللهجة العامية المصرية، وكذلك مسرحية شعرية جميلة. وهو بما فيه من شعر يدل على مسيرة الكويت خلال عشرين سنة، وما مَرّ بها من أحداث، وما جرت فيها من احتفالات ومن مسابقات وتطورات.

ولكي نعرف مدى علاقة أحمد عنبر بشعراء الكويت فإننا نرى ذلك في مقدمتين شعريتين قال إحداهما الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري، وقال الثانية الشاعر محمد ملا حسين، وكان لهما صلة قوية بهذا الشاعر مما جعلهما يسارعان إلى التنويه به وبديوانه الذي صدر بعد انتظار.

يقول الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري ما يعبر به عن إعجابه بالأستاذ أحمد عنبر، وذلك في سنة ١٩٥٥م قبل صدور الديوان، ولكن الشاعر أبى إلا أن يُصَدِّرَ ديوانه بما كتبه الأستاذ الأنصاري الذي كان معجبًا بشعر عنبر حين قال:

ذهبتَ إلى الكويت فصغتَ شعرًا
له تَهتَزُّ من طربٍ قلوبُ
وأنتَ على ضفاف النيل تشدو
غناءً في القلوب له وجيبُ
سليلَ العُربِ أنت جمعتَ فخرًا
أديبٌ، شاعرٌ، سمحٌ أريبُ

وكانت هذه المقطوعة الجميلة من ستة أبيات، ولكنها معبرة أصدق تعبير عن شعور قائلها.

وفي اليوم الثلاثين من شهر ابريل لسنة ١٩٦٥م كتب الشاعر محمد ملا حسين قصيدته التي حظيت بمكان بارز في ديوان عنبر. وقد جاء فيها:

أنشدني عنبرُ من ديوانه
فكدتُ ان أُسْحَرَ من بيانه
قد وضع العسجد في جُمانه
زان به الإلهام من حسانه
قل لامرئٍ لم يدرِ عن بُستانه
يَمِّمْهُ إن الخلدَ في جِنانه
فلستَ محتاجًا إلى رضوانه
بطلب منه إلى استئذانه

والقصيدة طويلة، فيها صدق العاطفة والإقرار بتمكن الشاعر أحمد عنبر في شعره.

والآن أليس من المفروض أن نتحدث عن شعر الشاعر. بلى إن ذلك قد آن أوانه. فلقد جاء إلى الكويت وهو شاعر له قصائد يعرفها أهل وطنه الأول، ولكنه في الكويت ازداد اهتمامًا بالشعر، وتوجه إليه توجهًا كاملًا، وقد عبّر عن ذلك في مقدمات هذا الديوان فقال إنه تعلم أشياء كثيرة في الكويت، فهو يرى الناس والحياة أمامه فيكتسب خبرة وعلمًا. ومن المجالات التي زادته على ما كان عليه، هو مجال الشعر الذي قال عنه:

«بقي أن أقول: إنني تعلمت الشعر في الكويت، فقد عدت من الكويت شاعرًا إذا استُسيغَ مني هذا القول. وقد كنت أقول الشعر قليلًا قبل ذهابي إلى الكويت، فما إن رأيت فيها احتفال الناس للشعر والأدب، وما أن قلت أول قصيدة ورأيت اهتمامهم ومجاملتهم للشاعر، حتى بعث ذلك في نفسي نوعًا من الزهو، مصحوبًا بشدة حرصي على محاولة تجويد ما أقول، فأنا بين أدباء يفهمون الشعر ويُقدِّرونه».

وفي هذا الجو الذي وصفه الأستاذ أحمد عنبر بدأ شعره الكويتي فقال أول قصيدة له هنا في شهر أكتوبر لسنة ١٩٤٦م بعنوان: «ريح الصَّبا» وقد ذكر في الديوان موقعها من شعره كلِّه، ويبدو أنه قد كانت لهذه القصيدة مكانة في نفسه، لأنه جعلها أول ما في ديوانه من قصائد، وهو فيها يخاطب ريح الصَّبا، وهي الريح التي طالما خاطبها الشعراء الأوائل. وهو - كذلك - يتودّد إلى هذه الريح ويذكر طيبها وأنسامها العذبة التي تسر الحزين فتجلو همومه، وتنعش باله إذا كان غير مرتاح في فترة من فترات حياته، هي بلسم المجروح وشفاء العليل.

أنــتِ الــرســول مــن الأحــبــة بــالـكـويــ
ــت إلــى الأحــبــة بــيـن نجـدٍ والــبـطـاحِ
تَـسْـعَـيــنَ مـن هــذا الخـلـيـج فـتصـعديْـ
ـنَ إلـى الجـزيـرة في الـغدوِّ وفي الـرّواحِ

ثم يتساءل موجهًا تساؤله إلى ريح الصَّبا قائلًا: هل يستمر عبورك هذه الآفاق حتى تَصِلِي إلى آفاق أخرى هي آفاق مصر ذات الحضارة وموئل النيل العظيم.

وعند هذا الحد فإننا نراه يتحدث عن المواقع المصرية التي تمر بها هذه الريح شمالًا وجنوبًا، برًّا وبحرًا حتى يستعرض كافة ما يتذكره من وطنه الأول، فيصفه مُعْجبًا به.

وهو في سنة ١٩٤٧م، وفي ليلة من لياليها كان ينتظر بزوغ الفجر حتى يرحل إلى مصر وهو يظن أنه لن يعود إلى الكويت مرة أخرى، ولكنَّ ظنه هذا لم يتحقق، فعاد وبقي بيننا إلى أن توفي رحمه الله.

في تلك الليلة بدأ قصيدة يقول مطلعها:

أيــهــا الــسَّــاهــر شــوقًــا وهُــيــامــا
هـــــذه أخــــرى لــيــالــيــك مــقــامــا
وغــــــدًا تــبــلــغُ مــــصــــرًا بــعــد مــا
شَــقَّــك الــوجــد عــذابًــا وســقــامــا
قــد قـضـيـت الــعــام يُـضـنـيـكَ الــهــوى
وعــجــيــبٌ مــنــك أن تــصــبــرَ عــامــا

ونحن حين نقرأ أبيات هذه القصيدة لنكاد نشعر بما يعتمل في نفس الشاعر، بل إننا لنشاركه المشاعر ذاتها. فقد جاء إلى الكويت فترة عمل بها، وكوَّن له صداقات من أبنائها، وكان شعره عنوانًا له في كافة أرجائها، وليس من المعقول أن تمر به لحظة الفراق دون أن يحسَّ بألم ممضٍّ حتى ولو كان ذاهبًا إلى مسقط رأسه. ولكننا سوف نقدم هنا اختيارًا جميلًا من تلك القصيدة، وهو آخر أبياتها ففيها دلالة على المودة والوفاء. وفيها نصح:

أيـهـا الـسـادةُ إنـي مـعـجـبٌ
إذ أرى فيكم صفاتٍ لا تُسَامَى
خُـلُـقٌ عـفٌّ وعـزمٌ صـادقٌ
في الملماتِ وإن كانت جِسامَا
أيـهـا الإخـوانُ هـل أنـتـم لنا
مثلما نحن على الودِّ دواما؟
قـد ألـفـنـاكـم وأُولِـعـنـا بكم
فانقضَى العامُ صفاءً وَوِئاما
كـدتُ أنـسـى الأهـلَ في داركُـمُ
وتسلَّيتُ فليتَ العامَ داما
ولعل الدهـرَ أن يجمعَنا
مـرةً أخرى وعامًا ثم عاما
فلكُمْ حُبّي وإنْ طالَ المدى
ولكم شكريَ بدءًا وختاما

هذا هو ختام القصيدة التي اخترنا منها ما تقدم، وقبل أن ننهي حديثنا فإن من المهم أن نذكر أن الأستاذ أحمد عنبر قد تلقى الإجابة على تساؤله حين قال هل أنتم لنا مثلما نحن على الود؟ فإنَّ ما لحق ذلك العام من أعوام حياته قد كان فيه الجواب.

****

٤١ - صالح النصر اللّه

الأستاذ صالح النصرالله شاعر كويتي له شعر جميل يحرص الناس على متابعته وقراءته، فهو من النوع السهل الممتنع الذي لا يصعب على أحد تذوقه أو فهمه، له قصائد متنوعة، وله في الشعر طريقان أولهما طريق الشعر العربي الفصيح وثانيهما طريق الشعر الشعبي النبطي.

ومجالنا هنا هو الحديث عنه وعن شعره الفصيح بقدر ما حصلنا عليه من هذا الشعر الذي نظن أنه كان أكثر بكثير مما حصلنا عليه عن طريق أولاده وفقهم الله.

الأستاذ صالح النصرالله من المدرسين الكويتيين الأوائل الذين بذلوا جهدهم منذ سن الشباب في العمل التربوي، وعلّموا أبناء وطنهم منذ أمد بعيد، ولد في منطقة القبلة من العاصمة في سنة ١٩٢٩م، ودرس في عدد من الكتاتيب أسوة بمن كانوا في مثل سنه، وممن درس عندهم الشيخ أحمد خميس الخلف، والملا عبدالعزيز ناصر العنجري والملا محمود بن الملا محمد الحرمي، ثم التحق بالمدرسة المباركية التي انتقل منها إلى المدرسة الأحمدية ثم المدرسة القبلية. وعندما أنهى دراسته التحق بمهنة التعليم منذ سنة ١٩٤٦م. واستمر بها إلى أن تقاعد في سنة ١٩٧١م.

ولقد تنقل في أثناء عمله بين عدة مدارس هي المباركية وروضة البنين ومدرسة المرقاب ومدرسة عمر بن الخطاب، واختتم عمله في مدرسة قتيبة، وقد زامل في هذه المدارس عددًا لا بأس به من قدامى المعلمين الكويتيين نذكر منهم الأستاذ عبدالعزيز الدوسري، والأستاذ خالد المسعود والأستاذ عيسى اللوغاني والأستاذ

محمد الشايجي وغيرهم. ودرَّس عددًا من الكويتيين الذين برزوا في دنيا الأعمال الكويتية الحكومية والأهلية.

وكما ألمحنا في البداية فإن الأستاذ صالح النصر الله شاعر بارز في اللغة الفصحى وفي اللهجة العامية. ونضيف إلى ذلك أن شعره متنوع الأغراض متجدد دائمًا بحسب الظروف السياسية والاجتماعية التي تمر بها البلاد، إضافة إلى البعد الإنساني لشعره فهو يعبر من خلاله عن خلجات نفسه. كما إننا نجد فيه الروح الوطنية، ومهاجمة أعداء البلاد. إضافة إلى القصائد التي يتبادلها مع أصحابه من الشعراء، والغزل، والتهاني التي يرسل بها إلى من يحب في المناسبات التي تقتضي ذلك.

ولقد تقدمت إليه إحدى الصحف الكويتية – أثناء نشاطه – بعدد من الأسئلة، فقام بالرد عليها جميعًا. وكانت الأسئلة والردود التي قدمها مما يدل على إحاطته بكثير من الأمور ومعرفته الواسعة وسعة صدره. وقد ذكر شيئًا عن دراسته، وعن عمله في التدريس، واهتمام والدته به باعتباره قد فقد والده وهو صغير.

ومما قاله ما يلي:

حصلت من المدرسة الأحمدية على شهادة الصف الرابع، وكنت الأول يومذاك. وقد تم نصحي من إدارة المدرسة بالذهاب إلى مصر من أجل الاستمرار في الدراسة، ولكن والدتي خافت عليَّ وأصرت على بقائي إلى جانبها رحمها الله.

قدمت أوراقي إلى إدارة المعارف من أجل العمل في سلك التدريس، وكان وضع هذه الدائرة في ذلك الوقت كالآتي:

الرئيس هو الشيخ عبدالله الجابر الصباح، والمدير هو الأستاذ طه السويفي، ومديرها المالي هو السيد عبدالله الزيد، أما أمين الصندوق فهو عبدالعزيز العثمان. وكانت الدائرة تشغل مبنى مستأجرًا يتكون من خمس غرف ومطبخ لعمل الشاي والقهوة ويعمل في المبنى فراش كويتي اسمه عثمان لا أذكر باقي اسمه.

عندما ذهبت إلى دائرة المعارف قدمت طلبًا للعمل في اليوم التاسع من شهر سبتمبر لسنة ١٩٤٦، وقد تم قبول طلبي فورًا، هذا وكنت قد تقدمت إلى المدرسة الجعفرية الوطنية وصرت معلمًا فيها لمدة شهر تقاضيت عنه مبلغ تسعين دينارًا. أما عندما عملت في دائرة المعارف فقد كان أول راتب تقاضيته هو خمس وستون ومائة ربية. وكان هذا مبلغًا كبيرًا في ذلك الوقت.

هناك عبارة ألتزم بها، وأعتبر أنها تمثل فلسفتي في الحياة، وهي «الدنيا سوق، بضاعتها اللذة، وعملتها الألم» وأنا أرى أن الإنسان في حياته معرض للذة والألم على حد سواء.

☆☆☆☆

وجاء الآن دورنا للحديث عن الشعر، والشعر الذي نقصده هنا هو الذي أبدعه الشاعر صالح النصر الله. وهو شعر - على الرغم من قلة ما وردنا منه - قوي ويدل على ملكة شعرية يتمتع بها هذا الشاعر، ويكفي أنه كان يقول الشعر منذ أوائل سنوات حياته، ولم ينقطع. وكان كما سوف نرى، وكما أشرنا إليه من قبل لا يترك مناسبة وطنية إلا وقال فيها شعرًا، بالإضافة إلى حرصه على مداومة الاتصال بزملائه من الشعراء، وكان يتبادل معهم الشعر مما سوف نقدم له أمثلة فيما بعد ولكننا نتتبع هنا المجموعة الصغيرة التي استطاع ابنه نصر الله صالح النصرالله أن يجمعها في سنة ١٩٩٢م، وقد ذكر في بداية أوراق هذه المجموعة قوله الذي وجهه إلى و الده:

«هذه هي محاولتي الثانية لتجميع قصائدك التي بحوزتي. وإخراجها على شكل ديوان شعري، وذلك لحفظها، وإخراجها في ملف واحد لمعجمي وقراء الشعر مستقبلًا».

وقد قام نصرالله بهذا الأمر حرصًا على شعر والده، وإحياء لذكره، فقرّب إلينا مسألة الحصول على ما يمكن من شعر شاعر كويتي كريم الطبع متفوق في كافة شؤون حياته.

ولعل ما يلفت النظر في هذه المجموعة أمران هما قلّة عدد القصائد، وذلك راجع إلى الشاعر نفسه لأنه لم يكن يهتم بنشر شعره الذي لا نشك في أنه أكثر بكثير مما ورد في هذا الملف. والأمر الثاني هو أن هذه المجموعة تضم أشعارًا بالفصحى وأشعارًا أخرى نبطية.

ونحن الآن في طريقنا إلى تقديم أمثلة من شعره الفصيح، أما النبطي من شعره فله موضع آخر نتحدث عنه فيه.

وأول ما نراه في مجموعته التي ذكرناها قوله هذا الذي يدل على الانتماء إلى الوطن، ومحبة الأرض التي نشأ بها وعاش على ثراها، وذلك في خمسة أبيات من الشعر الرصين هي:

تُسائلُنِي أيّ المذاهب مذهبي
إلى أيِّ دينٍ أنتمي وأدينُ
فقلتُ لها ديني السلامُ ومذهبي
هوًى لبلادي بالفؤاد دفينُ
أَأُنكِرُ دارًا قد نشأتُ بظلِّها
وأَجحدُها إني إذن لَخؤونُ

إذا أنـا لـم ارعَ الـوِدادَ لموطني
فَحُبِّي وإخلاصي لمن سيكونُ؟
سأبقى وفيًّا للكويت وأهلِها
وإن نَظرتْ شزرًا إليَّ عيونُ

ولقد دام على وفائه لوطنه، ولسنا في حاجة إلى إيراد دليل على ذلك أكثر مما قد نص عليه في أبياته الخمسة هذه.

ومن وطنياته هذه القصيدة التي قالها في شهر يونيه لسنة ١٩٩١م، وفيها يوجه القول إلى الكويت مؤازرًا لها إثر محنة الغز العراقي الغاشم وقد جاء فيها قوله:

تُفَدِّيكِ منا يا كويت على المدى
نفوسٌ أبتْ ألا تُباعَ ولا تُشْرَى
وشعبٌ على الجُلَّى شديدٌ مراسهُ
إذا اقبلتْ سودُ الليالي له تترا
صبور إذا الضراء حلَّت بساحه
وإن ما دعا داعي الفدا أرخص العمرا

والقصيدة طويلة ومعبرة عن مشاعر مواطن يحب وطنه ويفديه بروحه.

ومما يتعلق بالوطن تعليقه على قصيدة كتبها صديقه الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين في سنة ١٩٩٨م يرثي بها سوق الخضرة القديم عندما قررت بلدية الكويت هدمه وإعادة بنائه، ولهذا السوق ذكريات جميلة في نفوس أبناء الكويت، وهو يلبي كافة حاجاتهم الغذائية، ومطلع القصيدة المشار إليها:

أَطْلَقْتُ آهاتي بسوق الخضرةِ
مصحوبةً مني بسائل دمعتي

لَـهـفـي وهــل يُـجــدي عـلـيـك تـلـهُّـفـي
أو زفــرتــي الـحـــرَّى وصـــادق لـوعـتـي

ولم يكن الشاعر صالح النصرالله بأقل آسفًا لما حل بهذا السوق التراثي الذي يحبه الكويتيون جميعًا، ويرتادونه صباحًا ومساءً، فقال قصيدة يشير بها إلى القصيدة التي أوردنا مطلعها، فيقول:

يــا نــاعـيًــا ســوق الـخــضــار بـحـرقـةٍ
أمْــسِـكْ فـقـد أذكـيْـتَ نــارَ الـحـسْـرةِ
رحــمـــاك قـــد أدمـــى فـــؤادي ذكــره
وَنَــكــأتَ جــرحًــا كــان مـكـمـنَ عِـلَّـتـي

إلى آخر الأبيات.

ولكن مما يذكر عن مطارحات الشاعر صالح النصرالله مع شعراء زمانه هذه الحكاية التي انجزت عددًا من القصائد شارك في إنشائها وإنشادها عدد من الشعراء.

ذلك أنني اطَّلعت على صورة لامرأه كانت معروفه في الكويت القديمه باسم «حسينه حلوة» وكان الصغار والكبار ينتظرون مرورها في الطرقات لكي يمزحوا معها . فقلت يومذاك:

تَـــذَكَّـــرَ مــاضـيًــا وشــجــاهُ رســمٌ
قـــديمٌ عــهــده بــ(حـسـيـنـه حــلــوه)
فــأقــبــلْ مُــنــشـدًا شـعــرًا بـديـعًـا
وأشــعــلْ فــي صـمـيـم الـقـلـب جُـذوه
وذكَّـــرنـــي الـصِّــبــا وزمـــانُ أُنـــسٍ
حـبـانـا مــن لـذيـذ الـعـيـشِ صـفـوه

وقد كانت محاورة اشترك فيها كل من الشاعر عبداللطيف الديين والشاعر أحمد الغنام والشاعر عبدالحميد البسيوني، الشيخ إبراهيم سليمان الجراح والشاعر سليمان الجارالله.

أما الشاعر صالح النصرالله فقال:

أثـــــارتْ صـــــورة لحـسـيـنـه حـلـوه
خـــواطـــرَ شـــاعـــر فـــأهـــاجَ شـجـوهْ
فـــعـــاوده الحـــنـــينُ إلـــى صـبـاهُ
فـجـاشـتْ نـفـسُـه فـدعـا لـنـدوهْ
فـصـاغَ مـن الـقـريـض الجـزلِ سـحـرًا
وتـــابَـــعَـــهُ مـــن الـشـعـراء إخْـــوُهْ

هذا بيان سريع عن الشاعر الكويتي المعروف صالح النصرالله وعن شعره الجميل، نرجو أن يكون في ما تقدم دلالة على ما أردنا أن نصل إليه من كتابة ذلك، فهو يستحق منا أن نذكره ونشيد بمآثره وآثاره الشعرية.

****

ختام

ها نحن قد انتهينا من اختياراتنا الشعرية التي رأينا أن يكون عنوانها: «الحماسة الكويتية» وقد أشرنا إلى سبب اختيار هذا العنوان منذ بداية الكتاب، ولذا فإنه لا داعي إلى العودة إليه مرة أخرى، وقد حرصنا على أن يدرج هنا أكبر عدد من الشعراء الكويتيين حفظًا لذكرهم وبيانًا لمكانة شعرهم، وليس هؤلاء الذين ذكرناهم وأوردنا نماذج لما قالوه من أشعارهم كلَّ شعراء الكويت، فهناك شعراء آخرون لم نجد مجالًا لذكرهم ليس بسبب يتعلق بمستواهم الشعري فإن منهم شعراء مجيدون نفخر بهم ونعتز، ولكن المقام محدود، وأمامنا المثيل الذي تحتذيه وهو ما صدر من كتب تحت عنوان الحماسة، فإن هذه الكتب لم تورد مختارات لأشعار جميع الشعراء العرب الذين سبقوا المؤلفين أو عاصروهم.

إضافة إلى ذلك فإننا لابد وأن نشير إلى أن هذه المجموعة التي نقدمها اليوم، وهي كما يرى القارئ - من الشعر المكتوب باللغة العربية الفُصْحَى، سوف تتلوها مجموعة أخرى ضمن كتاب آخر، ولكنها سوف تكون محتوية على اختيارات من أشعار الشعراء الكويتيين الذين كتبوا الشعر النبطي، ونأمل أن يكتمل هذا الجزء قريبًا وأن يكون بين الأيدي حتى نكون قد استكملنا حديثنا واختيارنا من نوعي الشعر الفصيح والنبطي، ونوهنا بأكبر عدد من شعراء وطننا.

والله الموفق،،،

****

المحتوى

- التصدير، أ. عبدالعزيز سعود البابطين ٣

- المقدمة، د. يعقوب يوسف الغنيم ٥

شعراء الحماسة

١ - ١ - فهد العسكر ١٣

١ - ٢ - فهد العسكر ٢٠

٢ - محمود شوقي الأيوبي ٢٨

٣ - أحمد مشاري العدواني ٣٥

٤ - محمد أحمد المشاري ٤٢

٥ - صقر الشبيب ٤٨

٦ - فاضل خلف ٥٣

٧ - عبدالمحسن محمد الرشيد ٥٩

٨ – إبراهيم سليمان الجراح ٦٥
٩ – عبدالرزاق عبدالعزيز العسكر ٧١
١٠ – زين العابدين بن الحاج حسن ٧٩
١١ – عبدالعزيز العندليب ٨٥
١٢ – أحمد خالد عبدالله المشاري ٩١
١٣ – أحمد السقاف ٩٨
١٤ – أحمد البشر الرومي ١٠٤
١٥ – علي السبتي ١١١
١٦ – عبداللطيف عبدالرزاق الديين ١١٧
١٧ – هاشم حسين السبتي ١٢٣
١٨ – جاسم محمد السلامة ١٢٨
١٩ – سالم عباس خدادة ١٣٤
٢٠ – داود سليمان الجراح ١٤٠

٢١ – راشد السيف ١٤٨
٢٢ – عبدالعزيز سعود البابطين ١٥٤
٢٣ – عبدالرزاق البصير ١٦٠
٢٤ – عبدالله محمد العتيبي ١٦٧
٢٥ – عبدالجليل الطبطبائي ١٧٤
٢٦ – يوسف بن عيسى القناعي ١٨١
٢٧ – عبدالعزيز الرشيد ١٨٨
٢٨ – عبدالله سنان محمد السنان ١٩٦
٢٩ – عبدالله محمد الفرج ٢٠٤
٣٠ – خالد محمد الفرج ٢١١
٣١ – حجي بن جاسم الحجي ٢١٨
٣٢ – ١ – عبدالله زكريا الأنصاري ٢٢٦
٣٢ – ٢ – عبدالله زكريا الأنصاري ٢٣٣

٣٣ – عيسى مطر حسن مطر ٢٤٢
٣٤ – محمد ملا حسين ٢٥٠
٣٥ – عمر فهد العمر ٢٥٨
٣٦ – عبدالله العلي الصانع ٢٦٦
٣٧ – سليمان جارالله الحسن الجارالله ٢٧٤
٣٨ – ناصر جاسم الغانم ٢٨٢
٣٩ – جاسم عيسى النصرالله ٢٩٠
٤٠ – أحمد عنبر ٢٩٩
٤١ – صالح النصرالله ٣٠٦
– الختام ٣١٣
– المحتوى ٣١٤

****